مجلة الدراسات الإفريقية

العدد الأول ١٩٧٢

يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية

العدد الأول ١٩٧٢

يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

رئيس التحرير : د . محمد السيد غلاب

المراسلات باسم : د . شوقى الجمل
٢٣ شارع المساحة بالدقى ـ القاهرة

مجلتنا هـذه

هذا هو العدد الأول من المجلة العلمية التى يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة ، والهدف من المجلة – كما يتضح من الأبحاث المنشورة هنا – علمى بحت ، هو نشر الأبحاث العلمية الجديدة التى يقوم بها المتخصصون من أساتذة المعهد وغيرهم والمتعلقة بالقارة الافريقية فى مختلف المجالات .

فالمعهد فى الحقيقة – ينظر الى هذه المجلة على أنها تكملة لرسالته العلمية ، فهو كمعهد متخصص يهدف قبل كل شىء لتشجيع الدراسات المتعلقة بقارتنا العظيمة ثم نشر كل جديد يصل اليه البحث العلمى الدقيق عنها ، وتبادل هذه المعلومات مع المتخصصين الآخرين فى هذا المجال سواء فى المعاهد والجامعات الأخرى أو المؤسسات العلمية .

ونحن اذ نرحب بهذا التبادل الذى يخدم الهدف العلمى المشترك – نرجو أن تحقق الدراسات عن القارة الافريقية وكل ما يتعلق بها وبسكانها ونشاطهم وحضاراتهم التى أسهموا بها فى رقى البشرية منذ أقدم العصور تقدما مسطردا باستمرار .

وستصدر مجلتنا هذه – مؤقتا فى عدد سنوى واحد فى شهر يونيو ، وان كان الامل الذى نرجو أن يتحقق فى القريب العاجل أن نستطيع اصدار عددين فى العام الواحد ، والله الموفق .

المحرر

المحتـــويات

الصفحة

القسم العربى :

١ – د . محمد السيد غلاب – عميد المعهد البحوث والدراسات الأفريقية
الدراسات الأفريقية ١

٢ – د . حسن عثمان
أفريقيا فى جحيم دانتى ٩

٣ – د . سعد زغلول عبد ربه
الإستعمار البرتغالى فى انجولا – مرحلة الغزو (١٤٨٢ – ١٨٣٦) . . . ٤٧

٤ – د . السعيد إبراهيم البدوى
الوباويون – دراسة أنثروبولوجية ٧١

٥ – د . سمير إبراهيم غبور
الطيور – كافات زراعية فى أفريقيا ١٠١

٦ – السيد فوزى مكاوى
النشاط التجارى فى مملكة مروى ١٢٥

القسم الافرنجى :

٧ – دكتور يوسف الجوهرى
النشاط التجارى فى البحر الأحمر خلال الأمبراطورية الرومانية (باللغة الإنجليزية) . ١

٨ – دكتور شوقى الجمل
وثيقة غير منشورة عن تاريخ الصراع الإنجليزى الفرنسى على السيادة
فى أعالى النيل . (باللغة الإنجليزية) ٩

٩ – دكتورة حورية مجاهد
إمبراطوريات السودان الغربى – تحليل سياسى . (باللغة الإنجليزية) . ٢٣

١٠ – دكتورة سعاد شعبان
بحث ميدانى أنثروبولوجى على قبائل البجا بالسودان (باللغة الألمانية) . ٤٣

الدراسات الإفريقية

AFRICAN STUDIES

The importance of African studies to Egypt cannot be exaggerated. Egypt is African by its position, its Nile, and its very soil. The founders of the Egyptian civilization were indigenious people who descended from the neighbouring plateaux when arid conditions prevailed in Northan African about 10,000 B.C. The Egyptians were always interested in the South ; they kept sending excurtions, campains and missions up to the fourth cataract. The Nile in fact links the Mediterranean shores with the Equatorial Plateau. The flow of culture continuied to sweep to eastern African through the Nile, where as the flow of water kept flooding the black earth of Egypt, year after year since millenia of years.

Feeling the need for systematic standy of Africa, Cairo University founded the Institute of Sudanese studies in 1947. Eminent scholars such as the Late Prof. Awad and the Late Prof. Ghorbal prepared a team of reseachers in Geography and History. Some of the gradutes of the Inst. are now professors of Geog. History and occupy key-posts in the country.

Lately the need arose to widen the scope of the Inst. and raise the standard of the reseachers as well. A new Institute was inaugurated in 1970 to replace the old one.

The new Institute is a research centre forning an independent unit of the Univ. of Cairo. It consists of six departments : Natural Resources, Geography, History, Anthropology, African Languages and Economic and Political Systems. The Student should be a University graduate with a «Good» level Degree. Students Attend a two years courses in African studies and prepare an M. A. or M. Sc. thesis in his third year. He can also proceed to Ph. D. research.

M. El-Sayed Ghallab

« من افريقيا يأتي دائما شيء طريف »

«Ex Africa Semper a liquid nove»
[Pliny N. H. VII, 17].

ان أهمية الدراسات الأفريقية فى وطننا الذى يخرس مدخل أفريقيا الشمالى الشرقى ، والذى تتكون تربته مما يحمله نهر النيل العظيم من فتات صخور هضبة الحبشة لا تحتاج الى بيان . فمصر أفريقية بحكم موقعها ، أفريقية بنيلها ، أفريقية بفيضاناتها . والمصريون أفريقيون زحفوا الى الوادى الذى يجرى بالماء طول العام عندما عز المطر وجفت الأعشاب وذوت الأشجار فى ربوع أفريقيا الشمالية منذ أكثر من سبعة أو ثمانية آلاف سنة فهدوا الى اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوان ، وكان هذا الحيوان المستأنس أفريقى الأصل ، أما النبات المستأنس فكان شركة بين أفريقيا وجارتها الشرقية ، جنوب غرب آسيا . فالمصريون اذن أفريقيون ، ولم يأتوا من مكان آخر والحضارة المصرية الأولى أصيلة فى هذا المكان ولم تفد من مكان آخر رغم أن مصر فتحت أبوابها لمؤثرات أسيوية وأوروبية كثيرة على طول تاريخها الطويل . وهذا شأن الحضارات العريقة الحية شديدة الفعالية والتفاعل .

ولقد كانت مصر دائما يتجاذبها عاملان ، عامل يشدها نحو الشمال والشرق وعامل يبعدها مرة أخرى نحو الجنوب ، عامل آسيوى وعامل أفريقى ، وهى وان كانت جزء لا يتجزأ مما اصطلح على تسميته بجنوب غرب آسيا الا أنها تظل دائما أفريقية ، فمنبع حياتها يأتى من قلب أفريقية ومصدرها متصل بأمطار تأتى من جنوبى الأطلنطى مندفعة نحو مرتفعات الحبشة ، فان اشتدت ارتفع الفيضان وعم الرخاء وان وهنت انخفض الفيضان وساد البلاد غم وشدة.

هذا النبض الذى سجلته قصة يوسف عليه السلام كان هو العامل الفيصل دائما فى تاريخ البلاد ازدهارا وضعفا ، انتشارا وانكماشا .

وكان اتجاه مصر الاقتصادى نحو الجنوب باستمرار ، ففى فترات الاستقرار والازدهار الاقتصادى أيام مصر الفرعونية كانت سفن مصر تتجه نحو الجنوب لتأتى منها بكل طريف ، وتسجل جدران معهد الدير البحرى بالأقصر الأشجار الأفريقية التى نقلت الى مصر وصور الطيور والحيوانات الأفريقية التى جلبت لها . كانت القوافل تتجه عبر الصحراء ومع النيل نحو الجنوب وأن

أول توسع مصرى لم يتجه نحو الشرق أو الغرب ، بل بحذاء النيل نحو الجنوب فيما سمى فيما بعد ببلاد النوبة •

فعلى ضفاف النيل حتى دنقلة قامت المدن المصرية ذات القلاع ، ثم القرى المصرية الوادعة والهياكل والأهرامات وبذلك نما جزء من مصر فى النيل الأوسط • أخرج فيما بعد عندما أغار الأشوريون عليها أسرة مصرية تطرد المغيرين •

وعندما فكرت مصر فى مشاريع ضبط النيل كان اتجاهها نحو الجنوب ، فلأول مرة — وربما كانت هذه هى الحالة الوحيدة من نوعها فى العالم — ينشأ مشروع هندسى لحجز المياه لصالح بلد من البلاد فى خارج حدودها فأقيم خزان جبل الأولياء ثم السد العالى • واستطاعت مصر أن تحقق وحدة مائية حقيقية مع السودان الشقيق عام ١٩٥٩ •

ان مصر التى أدخلت شعاع المدنية والحضارة الى قلب القارة منذ عصر بعيد هى التى فتحت القارة للمدنية الحديثة فى القرن التاسع عشر ، وكانت أول دولة حديثة تصل الى خط الاستواء • وهى التى حملت لواء التحرر ومحاربة الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية ، وهى التى تمد يد العون الفنى والاقتصادى لدولها المتحررة •

هذه بعض أضواء على العلاقات المصرية الأفريقية ، فلا غرو أن يكون لنا اهتمام خاص بهذه القارة ، أرضها وشعوبها وثرواتها وسياستها واقتصادها ومن ثم جاء التفكير الجاد نحو انشاء معهد متخصص فى الدراسات الأفريقية فى القاهرة •

وقد بدأت فكرة دراسة أفريقيا عام ١٩٤٧ عندما أنشىء معهد الدراسات السودانية تابعا لكلية الآداب وكانت مدة الدراسة فيه سنتين • ثم أصبح معهدا مستقلا تابعا للجامعة مباشرة عام ١٩٥٠ وطورت فيه الدراسة فأصبحت ثلاث سنوات • ثم ضم المعهد مرة أخرى لكلية الآداب عام ١٩٥٤ •

وقد قام المعهد فى سنى انشائه الأولى بفضل جهود نخبة من الأساتذة الأجلاء نذكر منهم المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد الذى أرسى

البدوى) ، ومدينة الخرطوم (د . سليمان خاطر) وكلها دراسات جديدة نتيجة أبحاث ميدانية . وقدمت رسائل عديدة عن تاريخ السودان الحديث ورسالة عن تاريخ المناطق المطلة على البحر الأحمر (د . شوقى الجمل) .

وكان اهتمام المعهد منصبا على جغرافية القارة وشعوبها وتاريخها ، كما كانت الأبحاث ولا سيما لمرحلة الدكتوراه تتجه نحو السودان . وقدمت رسائل جيدة عن كثير من أجزائه ، عن اقليم القاش (د . عبد العزيز كامل) وشرق السودان (د . صلاح الشامى) وأرض الجزيرة (د . شريف محمد شريف) والمديرية الاستوائية (د . عبد الغنى سعودى) ومنطقة جبال النوبة (د . سعيد

ومنطقة جبال النوبة (د . سعيد البدوى) ، ومدينة الخرطوم (د . سليمان خاطر) وكلها دراسات جديدة نتيجة أبحاث ميدانية . وقدمت رسائل عديدة عن تاريخ السودان الحديث ورسالة عن تاريخ المناطق المطلة على البحر الأحمر (د . شوقى الجمل) .

ثم اتسع اهتمام الباحثين بعد ذلك فشمل غرب أفريقية وشرقها حيث قدمت رسالتان للدكتوراه فى الجغرافيا السياسية الأولى (د . ياسين مراد والثانية آجية يونان) . وقدمت رسالة أيضا عن أوغندة (د . محبات شرابى) .

هذا قليل من كثير من الأبحاث التى قدمها طلبة المعهد وخريجوه ، الذين واصلوا الدرس بعد ذلك وشغلوا مناصب هيئة التدريس بالجامعات المصرية ومنهم من شغل كراسى الأستاذية . ونرى لزاما علينا أن ننوه بجهودهم حتى يأتى اليوم الذى تجمع فيه هذه الدراسات وتصنف وتبوب فى محاولة لتقويم نشاط المعهد .

وقد استرعى العمل فى المعهد انتباه كثير من الدارسين فى ميادين المعرفة الأخرى ، فبدأت المطالبة بتطويل الدراسة فيه لا اتهاما لها بالقصور ، بل رغبة فى توسيع مجال البحث والدراسة فى كل ما يتعلق بالدراسات الأفريقية .

وقد نشأت الحاجة الى اعادة النظر فى برامج الدراسة فى المعهد ، ولا سيما بعد أن أصبح قسما واحدا غير متخصص منضما الى كلية الآداب عام ١٩٥٥ ، فتشكلت عدة لجان منبثقة عن لجنة العلوم الانسانية التابعة للمجلس الأعلى للجامعات لدراسة تطوير المعهد . وقدمت عدة مشروعات لهذا الغرض وبدىء

بتفريع الدراسة فيه الى جغرافية وأنثروبولوجيا من ناحيـة وتاريخ من جهـة أخـرى •

ثم صدر القرار الجمهورى رقم ١٨٠٣ فى ١١/٥ عام ١٩٧٠ بانشاء معهـد مستقل للبحوث والدراسات الأفريقية يكون تابعا مباشرة للجامعـة • وكان صدور هذا القرار ايذانا بنشاط فعال نحو تطوير الدراسة فى المعهـد تطويرا جـذريا •

وقد نصت المادة الأولى من مشروع اللائحة الداخلية للمعهد على أن الغرض من المعهد هو النهوض بالبحوث والدراسات الأفريقية وتنظيم برامج دراسية وتدريبية للعاملين فى مجال الدراسات الأفريقية • ونشر البحـوث والدراسات وتأليف الكتب والمراجع وتبادل النشرات العلميـة وعقـد مؤتمرات وندوات واجتماعات علمية فى مجال هذه البحوث » وان المعهد الذى يبدأ فى تحقيق أولى مهامه وهى تنظيم اجراء البحوث والدراسات الأفريقية وتوجيهها ، ليرقى الى اليوم الذى تتاح له فرص تحقيق بقية مهامه •

وان فى نية القائمين بالبحث والدراسة فيه اقامة علاقات ثقافية مع المعـاهد التخصصية الأخرى مثـل معهد داكار وأكرا فى أفريقيا والمعـاهد الشبيهة فى الاتحاد السوفيتى وبريطانيا وأمريكا •

ان المعهد بصورته الجديدة يتألف من ستة أقسام متخصصة هى :

١ ـ قسم الموارد الطبيعية •

٢ ـ قسم الجغرافيـا •

٣ ـ قسم الأنثروبولوجيـا •

٤ ـ قسم التاريخ •

٥ ـ قسم النظم السياسية والاقتصادية •

٦ ـ قسم اللغات واللهجات الأفريقية •

كما أنه يمنح درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه فى الفلسفة فى الدراسات الافريقية السالفة الذكر •

واذا كانت الجغرافيا والتاريخ من الأقسام القديمة راسخة القدم فى المعهد ، فان الدراسات الافريقية ستثرى دون شك باضافة تخصصات أخرى عديدة تدخل فى نطاق العلوم الانسانية ، كما أنها ستكون أكثر ثراءا بافساح المجال للدراسات الطبيعية المختلفة •

وقسم الموارد الطبيعية يهتم بدراسة قارة أفريقيا من النواحى الطبيعية مثل الجيولوجيا والمناخ والنبات والحيوان والتربة • بقصد استكشاف موارد الثروة الطبيعية وهى موارد دولا يزال معظمها فى حالته الطبيعية • ولا تزال القارة فى حاجة الى كشف علمى ومسح شامل فى نواحيها الطبيعية المختلفة ، وينتظر أن تخرج خريطة افريقية الجيولوجية هذا العام بعد أن يقرها المؤتمر الجيولوجى الدولى الذى سينعقد فى كندا كما أن حياتها النباتية والحيوانية لم تسجل حتى الآن • ونحن نرجو أن تتمكن من ارسال بعثات علمية لدراسة نواحى مختلفة فى القارة حتى تساهم مصر فى كشفها العلمى كما أسهمت مصر فى كشفها الجغرافى •

وفى نية المعهد اعداد نخبة من الباحثين الذين سيتمكنون من القيام بهذا العمل وهم مدربون أحسن تدريب ، مزودون بمعلومات وافية عن جغرافية القارة وتاريخها وشعوبها •

ورغم أن الانثروبولوجيا مثل الجيولوجيا نشأت أول الأمر فى أحضان قسم الجغرافيا ، الا أن تشعب الدراسات الانثروبولوجية وتنوع ثقافات القارة استوجبا تخصيص قسم للانثروبولوجيا ، والقارة فى الحقيقة حقل متسع لهذه الدراسات ، فهى من ناحية لا تزال تخرج كل يوم جديدا يلقى ضوء على مسألة أصل الانسان بعامة وأصل الشعوب الافريقية بخاصة والكشوف الاركيولوجية الخاصة بعصر ما قبل التاريخ تخرج من تحت الثرى فى الصحراء الكبرى والواحات ومن خوانق شرق افريقيا ومن سهول الفلد فى جنوبها ما غير كثيرا من الآراء التى كانت سائدة عن أصل الانسان وتطوره ، وتطور ثقافاته الأولى فى عصر ما قبل التاريخ وفجره ، كما أنها ألقت ضوءا ساطعا على نشأة السلالة الزنجية وتطورها وعن علاقة شمال افريقيا بما يقع جنوبى الصحراء وعن علاقة

مصر خاصة بغرب افريقيا • هذا باب جديد يتسع للبحث له قيمته العلمية فى الذى تشغله الصحراء الكبرى لم يكن حاصرا بين شمال وجنوب ، بل كان اقليم بالبعض الآخر ، وفى تأكيد وحدة القارة التى يحاول بعض الكتاب الغربيين فصمها • فمن تحت الثرى يأتى الدليل على أصالة الايسان فى افريقيا ، وأصالة التطور المحلى ، ويأتى أيضا الدليل على أن القارة وحدة واحدة ليست شمال الصحراء وجنوب الصحراء • ويأتى أيضا الدليل على أن بحر الرمال الواسع الذى تشغله الصحراء الكبرى لم ين حاضرا بين شمال وجنوب ، بل كان اقليم التقاء يمرح فيه الانسان وراء حيوان الصيد ثم مواطن للحضارة الزراعية فى الواحات ثم بحر تقطعه سفن القوافل بين شماله وجنوبه الى أن جاء الاستعمار وفصم هذه العلاقة ردحا لم يطل من الزمن •

أما عن شعوب القارة الحالية وثقافاتها وفنونها فالمجال متسع رحيب لدراسات تتسم بالحيدة والتعاطف مع هذه الشعوب بعيدا عن التعالى والتعصب الأوربى •

ولقد كانت شعوب القارة جنوبى الصحراء ، ذات الصلات العديدة عبر الصحراء مع شعوب شمالها ، تسير نحو التطور الطبيعى لتكوين قوميات كبيرة ذات وزن ، لها نظمها وشكلها السياسى ، متأثرة بذلك بالاسلام وذلك لشعوب النطاق السودانى ، أو السافانا من غرب افريقية حتى البحر الأحمر • الآسيوى والافريقى من المعمور ، والذى كان ملهما للتنظيم التشريعى والقانونى لشعوب النطاق السودانى ، أو السافانا من غرب افريقية حتى البحر الأحمر • وتكونت فعلا نوايات لدول عديدة فى هذا النطاق ، كما تكونت نوايات أخرى فى وسط افريقيا وجنوبها ، غير أن حومة الاستعمار الأوروبى أجهضت هذه المحاولات الأولى وقتلت الوليد فى مهده وسحقت تلك النويات •

وقد ترك الاستعمار بصماته قوية فى جسد القارة ، تتمثل الآن فى تقسيمها بين المتحدثين بالفرنسية والمتحدثين بالانجليزية ، والمستعمرات البرتغالية والأسبانية المتخلفة ، ونظام التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية وروديسيا •

هذه وغيرها من المشاكل تستحق الدراسة . كما أن التطور الاقتصادى لبلاد عاشت طويلا فى ظل التخلف غنية بموادها الخام لم تبدأ فيها بعد مشاريع للتنمية ذات قيمة ، كل هذه الارهاصات الاقتصادية فى حاجة الى دراسة .

وأخيرا وليس آخرا ما نظن أننا نستطيع التعاطف مع شعوب لا نعرف عن لغتها شيئا فمئات اللغات الافريقية تحتاج الى فك رموزها لغويا والى تصنيف ، كما تحتاج إلى دراسة فوتوطيقية ، تمهيدا لكتابتها فهل يستطيع باحثونا القيام بهذه الأعباء .

وبعد هذه قارة جديدة تحتاج لاستكشاف علمى وما أظن معهدنا أنشىء الا لهذا الغرض .

د . محمد السيد غلاب

أفريقيا فى جحيم دانتى *

Africa in Dante's Inferno

The known parts of Africa to the Ancient and the Medieval Worlds played an important part in all human activities, and so it participated in the composition of Dante's Divine Comedy, which is one of the eminent master-pieces of the Medieval Civilization. We here try to give an account of this participation in what regards Dante's Inferno. Dante in his Inferno drew from Africa, as well as from other multiplicate sources of inspiration, many pictures and situations. He drew a good deal of his material from Africa's legends, histories, dramas, peoples, cities, countries, men of learning, heroes, leaders, conquerers, battles, deserts, sands, reptiles, mountains, winds, sea-shores and its Nile. He elaborated all his African detailed units with such subtilty and minuteness, so that all his pictures and situations came in perfect harmony with the ideas that he tried to express.

كانت المناطق المعروفة من أفريقيا ، بحكم موقعها الجغرافى ، جزءاً هاماً من العالم القديم ، وظهرت بها حضارات عريقة ، وأخذت تؤثر فيما[٢] حولها وتتأثر به ، وجولت تعطى وتأخذ ، وتمثل وتهضم ، وتساهم فى ثمرات البشرية ومصائرها ووضحت آثار ذلك فى شتى النواحى : فى الأجناس والأساطير والأديان والحروب والتجارة والعلم والفن والأدب . وتناول كتاب العصر القديم نواحى من أساطيرها وأخبارها وأحوالها مثل[٣] هيرودوت وبلينى وفرجيليو . وفى العصور الوسطى اضطردت الصلات بين أفريقيا والعالم الخارجى ، وعلى الأخص عندما قامت الدولة العربية وشملت شمالى أفريقيا ، ومنها أنشأ العرب دولتهم فى الأندلس وسيطروا على صقلية . وقويت العلاقة بين الأوروبيين والشرق الأدنى بشقيه فى الشام ومصر[٤]، وعرفوا بعض أجزاء من أفريقيا عن طريق الرحلات والتجارة ، وفى أثناء الحروب الصليبية . وأدى هذا الاتصال إلى انتقال عناصر هامة من التراث العربى الإسلامى ،

بما يتضمنه من عناصر التراث الشرقى اليونانى ، إلى الأندلس وإيطاليا ثم إلى أنحاء أوروبا ، وامتزج ذلك كله بتراث الغرب فى العصور الوسطى ، الذى كان آخذا فى التطور والتهيؤ لبلوغ عصر جديد ، مما ساعد على ظهور عصر النهضة فى إيطاليا وفى أوروبا .

وفى النصف الأول من القرن الثالث عشر كان الإمبراطور فردريك الثانى يعيش فى جنوبى إيطاليا ، تاركا أملاكه فى شمالى أوروبا لغيره من أفراد أسرة هوهنشتاوفن (١) . وعاصر فردريك المدرسة الأدبية الصقلية (٢) التى تأثرت بتراث العرب والشرق ، والتى تعتبر مرحلة هامة فى نشأة الأدب الإيطالى الوليد(٣). وانتقلت آثار المدرسة الصقلية إلى مدرسة بولونيا (٤) التى أضافت إليها ثمراتها . وانتقلت هذه الآثار بدورها إلى المدرسة الفلورنسية الحديثة (٥) فأضفت عليها نتاجها ، وأخذ الأدب الإيطالى ينمو ويتطور وفى ثناياه عناصر من التراث الشرقى الإسلامى العربى الأفريقى .

وفى فلورنسا وفى إيطاليا الشمالية عاش دانتى أليجييرى الشاعر السياسى الجندى الفنان ، عاش فى وطنه وفى المنفى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر إلى إحدى وعشرين سنة خلت من القرن الرابع عشر (٦) . وكان دانتى رجلا واسع الثقافة متعدد الجوانب ، فتأثر بتراث القدماء وبتراث العصورالوسطى ، وبآثار الأدب الإيطالى الوليد ، وبثقافة الشرق والعرب وأفريقيا . وكتب دانتى « الكوميديا الإلهية » بأقسامها الثلاثة « الجحيم والمطهر والفردوس » وأشادها على معرفته وأصالته ، واستمدها من الماضى والحاضر والمستقبل ، من الذكريات والأمانى ، من التجارب والمحن والآلام ، من العلم والفن ، من النبات والحيوان والإنسان ، من الآثام والخطايا والعواطف الرقيقة النبيلة ، من غرائز الجسد والزهد والتبتل ، من اليأس والإيمان والأمل ، من الأرض والسماء ، من الأنهار والبحار والصحارى والجبال والبلدان والأقطار والقارات .

كانت أفريقيا من العناصر التى استمد دانتى منها مادته ، فأخذ منها طائفة من الصور والأساطير والشخصيات والحوادث والبلدان . ووضعها فى مواضع مختلفة ، وأحكم صياغتها حتى جاءت وحدة متماسكة متآلفة مع شتى الجزئيات

العديدة التى تألف منها عالمه العظيم . وسنعرض الآن لما أورده دانتى عن أفريقيا فى « الجحيم » .

فى الأنشودة الرابعة وصل دانتى برفقة أستاذه ودليله ڤرجيليو إلى منطقة اللمبو أولى حلقات « الجحيم » ، التى تعتبر فى الحقيقة خارجها (٧) . وهى تحتوى على أرواح أولئك الذين عاشوا وماتوا قبل المسيحية ، والذين لم ينالوا التعميد فى العهد المسيحى . وهؤلاء لا ينالهم عذاب سوى أنهم يأملون فى رؤية الله دون جدوى ويطلقون تنهداتهم حسرة وأسفا ، وهنا يلاقى دانتى وڤرجيليو شعراء العالم القديم مثل هوميروس وهوراتيوس وأوڤيديوس ولوكانوس (٨) . وأحسن هؤلاء استقبال دانتى وأومأوا إليه برؤوسهم فابتسم ڤرجيليو علامة الرضا والاطمئنان (٩) . وتمنى دانتى أن يكون موضعه فى الآخرة مع هذه الجماعة العظيمة (١٠) . ومضى دانتى وڤرجيليو مع هؤلاء العظماء وهم يتحدثون فى سيرهم ، حتى جاءوا إلى قلعة نبيلة تحوطها سبعة أسوار عالية ومن حولها جدول يحميها ، فعبروه كأنهم يسيرون فوق أرض ثابتة ودخلوا جميعا سبعة أبواب ، ووصلوا إلى مرعى ذى خضرة نضرة . وشهد دانتى جماعة من عظماء العالم القديم بعيون هادئة وقورة ، وبدت على وجوههم أمارات سلطان عظيم ، وتكلموا نادراً وبأصوات رقيقة (١١) . ورأى بين هؤلاء بعض الشخصيات الرومانية مثل بروتس ولوكريتزيا وجوليا وكورنيليا (١٢) . فى هذا الوسط شهد دانتى فى جانب صلاح الدين وحيدا (١٣) . وهذا هو السلطان صلاح الدين الأيوبى مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر والشام فى القرن الثانى عشر للميلاد ، وبطل الحروب الصليبية الذى أثار إعجاب العالم المسيحى ببطولته وفروسيته وتسامحه ، وقد روى أدب الغرب أخباره وقصصه . وإذا كان دانتى قد اعتبر صلاح الدين من أهل « الجحيم » — لأن الدين الأمثل عنده هو الدين المسيحى — فقد أبدى إعجابه به ومجده على طريقته ، بوضعه فى هذا المكان النبيل المختار فى مقدمة « الجحيم » مع حكماء العالم القديم وأبطاله وعظمائه، الذين تمنى أن يكون فى زمرتهم .

وكذلك رأى دانتى هنا بعض شخصيات الأساطير اليونانية مثل أورفيوس ، وشهد جماعة من العلماء والمفكرين القدماء مثل ديوسقوريدس ولينوس وسينيكا (١٤) ،

ونظر من بينهم إقليدس الهندسى الرياضى الإسكندرى الذى كتب فى الرياضة والهندسة والموسيقى والبصريات (١٥) ، ورأى بطليموس الرياضى الجغرافى الفلكى الإسكندرى الذى ظلت كتاباته فى الجغرافيا سائدة حتى عصر كوبرنيكوس وجاليليو (١٦) .

وفى الأنشودة الخامسة فى الحلقة الثانية ، حيث تبدأ « الجحيم » الحقيقية عند دانتى ، بلغ هو وأستاذه ڤرجيليو المنطقة التى يعذب فيها أولئك الذين غلبوا العاطفة على العقل فى أثناء الحياة ، وارتكبوا الخطيئة بسبب الحب . وينقسم هؤلاء قسمين ، الطائفة الأولى منهم جماعة الذين أمعنوا فى حياة الهوى وشهوة الجسد (١٧) . رأى دانتى أرواح هذه الجماعة تطير فى عاصفة هوجاء ، وتطلق صرخاتها كأنها الكراكى تنوح بصوتها الحزين فى أثناء هجرتها من المناطق الباردة فى أوروبا إلى المناطق الدافئة فى أفريقيا .

تساءل دانتى عن هؤلاء المعذبين ، فأجابه ڤرجيليو بأن الأولى من بينهم كانت إمبراطورة لشعب متعدد اللهجات ، وقد استسلمت لشهوة الجسد حتى أصبحت لذة الغرائز مشروعة فى قوانينها(١٨) ، وهى سميراميس ملكة أشور التى يقال إنها عاشت فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، كما يقال إنها خلفت نينو إبنها وزوجها فى وقت واحد ، وقد دان لها ملك يحكمه السلطان (١٩) . ويقصد دانتى بهذا سلطان مصر فى عهد المماليك البحرية . ويظن دانتى أن حكم سلطان مصر قد امتد حتى شمل الدجلة والفرات . وهذا خطأ وقع فيه ، وهو يخلط بين « بابلونيا » — بابل — على الفرات (وبابلونيا) — الفسطاط — على النيل .

وأشار ڤرجيليو إلى ديدو ملكة قرطاجنة (٢٠) ، زعيمة الطائفة الثانية من المعذبين فى هذه الحلقة ، الذين ارتكبوا الإثم بسبب الحب ، ولكنهم لم يمعنوا فى الخطيئة بل أخلصوا فى الحب لشخص واحد ، ولا يزال يسودهم الخلق النبيل والوفاء للمحبوب . ويقال فى الأساطير إن ديدو كانت زوجة لسيكيو وأقسمت عند موته ألا تتزوج ، ولكنها وقعت فى حب إينياس عند مروره بقرطاجنة بعد حرب طروادة ، وأسلمت له نفسها ثم هجرها إلى إيطاليا ، فتولاها اليأس وانتحرت أسى ولوعة .

ورأى دانتى من بعد ديدو كليوپاترا (٢١) ، آخر ملكة للبطالسة فى مصر ، وهى تنتمى للطائفة الأولى من هؤلاء الآثمين ، وقد تقلبت فى حب قيصر وأنطونيوس ، وانتحرت بعد انتصار أوكتاڤيوس على أسطولها فى موقعة أكتيوم وحينما يئست من اجتذابه إليها فى ٣١ ق. م .

وعاد دانتى فى هذه الأنشودة الرابعة إلى ذكر ديدو ، عندما رأى روحى فرنتشسكا دا ريمينى وپاولو مالاتستا اللذين ارتكبا الخطيئة بسبب الحب ، ولكنهما أخلصا فى العشق وماتا وجداً وهياماً ، وقتلهما جانتشوتو زوج فرنتشسكا وشقيق پاولو العاشق . أحس دانتى برغبة ملحة فى التحدث إلى هاتين الروحين اللتين اندفعتا معاً وسط العاصفة الهوجاء ، وناداهما دانتى ، فسرعان ما لبيتا النداء كفرخى حمام ناداهما الهيام إلى العش الحبيب ، وهكذا خرجا من جماعة ديدو الآثمة المخلصة فى هواها (٢٢) .

وفى الأنشودة الرابعة عشرة فى الحلقة السابعة ، حيث يعذب أولئك الذين ارتكبوا العنف ضد الله وضد الطبيعة والفن ، وذلك بممارستهم اللواط ، وهم يعاقبون بأن تسقط عليهم من السماء شواظ من اللهب فوق رمال قاحلة جرداء ، وصل دانتى وڤرجيليو إلى سهل رملى قاحل أحاطته غابة المنتحرين . ووصف دانتى هذا السهل بأنه كان رملا قاحلا كثيفاً لا تختلف طبيعته عن السهل الذى وطئه كاتو السياسى الرومانى فى رمال ليبيا المحرقة ، حينما انضم إلى پومپى ضد قيصر وهرب بعد معركة فارساليا إلى أفريقيا فى ٤٨ ق. م (٢٣) .

ومضى ڤرجيليو يطلع دانتى على أسرار « الجحيم » ويرشده ويحفظه من الأخطار ، وأحس دانتى برغبته الشديدة فى المعرفة وأراد أن يعلم أصل الجدول الماثل أمامهما والذى تخمد عليه ألسنة اللهب ، فسأل أستاذه أن يزيده من الغذاء الذى أذكى شهيته إليه (٢٤) . قال ڤرجيليو إن كريت تستوى فى وسط البحر ، وقد كان العالم طاهراً فى ظل ملكها ساتورن ، وإن زوجته ريا اختارت جبل إيدا بهذه الجزيرة لكى تخفى فيه إبنها جوپيتر من بطش أبيه ، وكانت تحدث أصواتاً عالية حتى تمنع سماع بكائه . وقال إن فى ذلك الجبل يستوى تمثال ضخم قديم صنع من الذهب والفضة والنحاس والفخار ، وقد أدار كتفيه لدمياط (٢٥) ،

ونظر إلى روما كأنها مرآته . ودمياط هنا رمز الشرق عند دانتى لشهرتها فى العالم الغربى فى أثناء الحروب الصليبية . والمقصود بهذا التمثال الخرافى أن دموع المعذبين كانت تصب فى شق فيه ثم تتجمع وتصنع أنهار «الجحيم» (٢٦) .

وفى الأنشودة الرابعة والعشرين فى الخندق السابع من الحلقة الثامنة ، حيث يعذب اللصوص بين الزواحف القاتلة ، رأى دانتى منها حشدا مخيفا ما تزال ذكراه تجمد الدم فى عروقه . وقال دانتى إنه لا يجوز لليبيا أن تفخر برمالها مزيدا ، لأنه رأى هناك من الطواعين القاتلة ما ليس له فى أرضها مثيل أبداً ، ولا فى إثيوبيا كلها ، ولا فى البلاد الواقعة على البحر الأحمر ، ويقصد بذلك ساحل بلاد العرب وساحل مصر (٢٧) .

وفى الأنشودة السادسة والعشرين فى الخندق الثامن من الحلقة الثامنة ، حيث يعذب أولئك الذين بذلوا خادع الرأى فأصابوا غيرهم بالكوارث ، وتسير بهم شعلات من النار ، رأى دانتى شعلة ذات لسانين من اللهب بعكس سائر الشعلات . وكانت هذه الشعلة تضم أوليسيس وديوميد اللذين قاما بأعمال الخداع لإحراز النصر فى حرب طروادة . قال أوليسيس إن الروابط الأسرية والعواطف الإنسانية لم تغلب حماسته لكى يصبح خبيرا بالدنيا وبأحوال البشر ، فركب متن البحر العميق المفتوح مع جماعة من رجاله الأمناء ، وشهد فى مسيره الشاطىء الأوروبى حتى أسبانيا ، ورأى الشاطىء الأفريقى حتى مراكش ، وبلغ الممر الضيق الذى اتخذ هرقل عنده علامتيه ، أى موضع جبل طارق فى الشاطىء الأسبانى وموضع قمة بنى حسن فى الشاطىء المراكشى ، ونظر فى الشاطىء الأسبانى أشبيلية ، ورأى سبتة فى شاطىء مراكش (٢٨) .

وفى الأنشودة السابعة والعشرين فى ذات الخندق وذات الحلقة والتى هى استمرار للأنشودة السابقة ، لقى دانتى جويدو دا مونتفلترو زعيم الجبليين فى أوربينو فى القرن الثالث عشر الذى هزمته قوات البابا مارتينو الرابع ، وامتاز بالخبث والرأى الخادع . قال دا مونتفلترو إن أمير الفريسيين الجدد ــ أى بونيفاتشو الثامن عدو دانتى ــ قد أعلن الحرب على آل كولونا ، وكان جديرا به أن يحارب العرب واليهود أعداء المسيحية عنده وعند أهل العصر ، ولم يكن من أعدائه بعض المسيحيين

الذين انضموا إلى المسلمين فى الاستيلاء على عكا فى سنة ١٢٩١ ، وكذلك لم يكن من بين أعدائه بعض المسيحيين أو اليهود الذين اتجروا مع بلاد السلطان فى الأسلحة والأخشاب ، على رغم قرار البابا بتحريم الإتجار مع المسلمين فى هذه المواد . وسلاطين مصر فى عهد دولة المماليك البحرية الذين عاصروا دانتى هم الملك الأشرف خليل بن قلاوون الذى استولى على عكا . والملك الناصر محمد ، والملك العادل كتبغا ، والملك المظفر ركن الدين بيبرس ، وقد حكموا من ١٢٩٠ إلى ١٣٤١ . ولم يحفل البابا فى عدائه للمسيحيين المخاصين بمركزه الرفيع ولا برداء الرهبنة الذى لبسه دا مونتفلترو بعد توبته (٢٩) ، حينما سأله بونيفاتشو الرأى الخادع للتغلب على أعدائه (٣٠) .

وفى الأنشودة الثامنة والعشرين فى الخندق التاسع من الحلقة الثامنة ، حيث يعذب مثيرو الشقاق ومروجو الفتن بقطع أعضائهم وتمزيق أوصالهم على يد شيطان زنيم ، رأى دانتى مشهداً رهيباً وأبدى قصوره عن وصف ما شهده من الدماء والجروح . وقال دانتى إنه إذا اجتمع كل من بكوا دماءهم فوق أرض أبوليا ضحية للطرواديين ، وللحرب الطويلة التى تكدست فيها خواتم الذهب من أصابع القتلى ، وإذا أظهر الجرحى أعضاءهم الممزقة ، فلن يساوى هذا شيئا بجانب ما رآه فى الوادى التاسع الرهيب . ويقصد دانتى بالحرب الطويلة الحروب البونية بين روما وقرطاجنة والتى استمرت خلال القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ويريد على الأخص معركة كان (٣١) .

وفى الأنشودة الثلاثين فى الخندق العاشر من الحلقة الثامنة ، حيث يعذب مزيفو الأشخاص والكلام والنقود ، رأى دانتى المعذبين وقد أصابتهم الأمراض ومن بينهم أدامو دا بريشا الذى زيف عملة فلورنسا الذهبية فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر (٣٢) . وسأله دانتى عن معذبين استلقيا على الأرض متلاصقين وقد تصاعد منهما الدخان . فأجابه أدامو أنهما ظلا هكذا دون حراك منذ أن هبط هو إلى هذه الهاوية ، وأن أحدهما هى الزائفة التى اتهمت يوسف زوراً وبهتاناً بمحاولة اغتصابها عندما لم يستجب لإغوائها . والزائفة هى زوجة فوطيفار المصرى فى عهد الهكسوس فى حوالى القرن الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد كما ورد فى الأساطير القديمة (٣٣) .

وفى الأنشودة الحادية والثلاثين فى الطريق إلى الحلقة التاسعة ، كان دانتى وفرجيليو يسيران فى منطقة المردة الذين ثاروا على الآلهة فكان عقابهم أن يقيدوا بالأغلال والسلاسل . وسار فرجيليو بدانتى إلى المارد أنتيوس الذى لم يشترك فى ثورة المردة على الآلهة – كما جاء فى الأساطير اليونانية – ولذلك لم يقيد بالسلاسل وتكلم دون قيود ، ورأى الشاعران جزءاً هائلا من أنتيوس خارج البئر فخاطبه فرجيليو وناداه بالذى غنم ألف سبع فى الوادى المحتوم – أى وادى باجرادا فى نوميديا وتسمى المعركة معركة زاما – فى شمالى أفريقيا ، والذى أورث المجد لشيپيون القائد الرومانى الملقب بالأفريقى ، حينما انهزم هانيبال فولى ظهره مع رجاله ، وقال إنه إذا كان قد انضم إلى سائر المردة فى الثورة على الآلهة فربما انتصر أبناء الأرض عليهم . وسأله فرجيليو أن يضعهما فى أسفل حيث نهر كوتشيتوس قد تجمدت مياهه (٣٤) ، ويربط دانتى بين هذه الصورة وانتصار شيپيون الأفريقى على هانيبال ملك قرطاجنة فى زاما فى ٢٠٢ ق . م .

وفى الأنشودة الرابعة والثلاثين فى آخر جزء من الحلقة التاسعة ، حيث يعذب الخائنون إلى مَنْ أحسنوا إليهم فى منطقة واسعة من الثلج والزمهرير ، رأى دانتى إمبراطور العالم الأليم – لوتشيفيرو – إبليس – وقد خرج من الثلج بنصف صدره ذى الحجم الهائل ، وكان قبيح المنظر ومصدرا لكل أسى وحزن . وعجب دانتى عندما رأى لرأسه ثلاثة وجوه ، وكان الوجه الأمامى أحمر اللون ، وبدا الأيمن بين البياض والصفرة ، وكان الوجه الأيسر فى لون قوم يعيشون حيث ينبع نهر النيل ، ويقصد دانتى بذلك الإثيوپيين ذوى اللون الداكن (٣٥) .

وعلى ذلك نجد دانتى قد وضع فى إطار واحد – مع تفاوت فى بعض التفصيلات – كلا من هوميروس وأوڤيديوس ولوكريتزيا وصلاح الدين الأيوبى ، فى زمرة عظماء العالم القديم . ووضع ديوسقوريدس وأورفيوس مع إقليدس وبطليموس الإسكندريين . وربط بين شميراميس وديدو وكليوپاترا . ونقل صورة دقيقة عن كاتو وهو يجوب صحراء ليبيا القاحلة . وربط بين كريت وريا وروما ودمياط . ووصل بين زواحف ليبيا وإثيوپيا وسواحل البحر الأحمر . وربط بين آوليسيس وساحل أسپانيا وأشبيلية وساحل أفريقيا ومراكش وسبتة . واقتبس بعض

صوره من السلطنة المصرية فى عهد دولة المماليك البحرية . وقارن بين أشلاء القتلى والجرحى فى « الجحيم » وبين قتلى حروب طروادة وحروب الرومان والقرطاجنيين وجرحاهم . واستوحى قصة يوسف وزوجة فوطيفار المصرى وربطها بسينون إغريقى طروادة الكذوب . وربط بين المارد أنتيوس وشيبيون وهانيبال ومعركة زاما . ومزج بين لون وجه من وجوه لوتشيفيرو — إبليس — والإثيوبيين ومنبع نهر النيل .

هذه هى الصور الأفريقية التى استمدها دانتى فى « الجيم » من أساطير أفريقيا وتاريخها وأهلها وعلمائها وأبطالها وقوادها وغزاتها ، ومن بلادها وصحاريها وزواحفها وجبالها وشطآنها وبحارها ونيلها ومصرها . ومزج دانتى فى ذلك كله بين الأسطورة والتاريخ ، وبين الخيال والواقع ، وبين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وبين الطبيعة والإنسان . ولم تبد واحدة من صوره قلقة فى موضعها أو متنافرة مع ما يحيط بها أو منفصلة عن السياق العام ، بل جاءت كلها فى ثنايا « الجحيم » ممتزجة متسقة مع سائر العناصر والجزئيات ، ومتآلفة مع الأفكار والمعانى التى آقام دانتى عليها بناءه الشامخ . وهذه بعض مواهب دانتى . ومَن غيره استطاع أن يأتى بمثل هذا الفن العظيم ؟

صلاح الدين الأيوبي : ٤ : ١٠٦– ١١٤ ، ١٢٧ – ١٢٩

١٠٦ جئنا إلى أسفل قلعة نبيلة ،
محاطة سبع مرات بأسوار عالية ،
ومحمية من حولها بجدول جميل (٣٦) :

١٠٩ وهذا خطوناه كأرض صلبة (٣٧) ؛
ودخلت سبعة أبواب مع هؤلاء الحكماء :
ووصلنا إلى مرعى ذى خضرة نضرة :

١١٢ كان هناك قوم ذوو عيون هادئة
وقورة ، وفى وجوههم أمارات سلطان عظيم :
تكلموا نادراً وبأصوات رقيقة (٣٨) :

... ...

١٢٧ ورأيت بروتس (٣٩) ، هذا الذى طرد تاركوينوس (٤٠) ،
ولوكريتزيا (٤١) ،وجوليا (٤٢) ،ومارتزيا (٤٣)، وكورنيليا (٤٤)؛
وفى جانب رأيت صلاح الدين وحيداً (٤٥) :

إقليدس الإسكندرى – بطليموس الإسكندرى : ٤ : ١٣٩ – ١٤٤

١٣٩ ورأيت ذلك الطبيب جامع الخصائص ،
أعنى ديوسقوريدس (٤٦) ؛ ورأيت أورفيوس (٤٧) ،
وتوليوس (٤٨) ، ولينوس (٤٩)، وسينيكا الأخلاقى (٥٠) ؛

١٤٢ وإقليدس الهندسى (٥١) ؛ وبطليموس (٥٢) ،
وهيبوقراطيس (٥٣) ، وابن سينا (٥٤) ، وجالينوس (٥٥) ،
وابن رشد ، الذى صنع التفسير الكبير (٥٦) :

هجرة الكراكى (إلى أفريقيا الدافئة) – سلطان مصر : ٥ : ٤٦ – ٦٠

٤٦ وكما تمضى الكراكى شادية بصوتها الباكى ،
وقد جعلت من نفسها فى الهواء صفاً طويلا (٥٧) ،
هكذا رأيت أشباحاً تأتى وهى تطلق

Saladino : IV. 106—114, 127—129

106 Venimmo al piè d'un nobile castello,
sette volte cerchiato d'alte mura,
difeso intorno d'un bel fiumicello.

109 Questo passammo come terra dura ;
per sette porte intrai con questi savi :
giugnemmo in prato di fresca verdura.

112 Genti v'eran con occhi tardi e gravi,
di grande autorità ne' lor sembianti :
parlavan rado, con voci soavi.

... ...

127 Vidi quel Bruto che cacciò Tarquino,
Lucrezia, Julia, Marzïa e Corniglia ;
e solo, in parte, vidi 'l Saladino.

Eucdide—Tolomeo : IV. 139—144

139 e vidi il buono accoglitor del quale,
Dïoscoride dico; e vidi Orfeo,
Tullio e Lino e Seneca morale ;

142 Euclide geomètra e Tolomeo,
Ipocràte, Avicenna e Galïeno,
Averoìs, che 'l gran comento feo.

I gru (per Africa)—Il Soldano (d'Egitto) : V. 46—60

46 E come i gru van cantando lor lai,
faccendo in aere di sè lunga riga,
così vidi venir, traendo guai,

٤٩ صرخاتها ، وتحملها تلك العاصفة :
ولذا قلت : « أستاذى ، مَنْ هؤلاء القوم
الذين يضنيهم الهواء الأسود هكذا ؟ » .

٥٢ عندئذ قال لى : « الأولى بين مَنْ
تريد أن تعرف أخبارهم ، كانت
إمبراطورة على لغات عديدة[٥٨].

٥٥ إنها استسلمت لشهوة الجسد ،
حتى جعلت لذة الغرائز مشروعة فى قوانينها ،
لكى تمحو ما انغمست فيه من العار[٥٩] :

٥٨ هى سميراميس[٦٠] ، التى يُقرأ عنها
أنها خلفت نينو ، وكانت له زوجة :
ودان لها ملك يحكمه السلطان[٦١] .

ديدو — كليوپاترا : ٥ : ٦١ — ٦٣

٦١ والأخرى هى التى قتلت نفسها وقد
تيمها الحب ، وحنثت بيمينها لرماد سيكيو[٦٢] ؛
وبعدها كليوپاترا أسيرة الشهوات[٦٣] » .

ديدو : ٥ : ٧٣ — ٨٧

٧٣ بدأت[٦٤] : « أيها الشاعر[٦٥] ، كم أود
أن أتحدث[٦٦] إلى هذين الإثنين[٦٧] اللذين يذهبان
معاً ، ويبدوان هكذا خفيفين أمام الريح[٦٨] » :

٧٦ أجابنى : « سترى حينما يصبحان
أقرب إلينا[٦٩] ؛ ادعهما عندئذ باسم
الحب الذى يقودهما[٧٠] ، وسيأتيان[٧١] » .

٧٩ وإذْ مالت بهما الريح إلينا[٧٢] ،
رفعت صوتى[٧٣] : « أيهاتان النفسان المعذبتان[٧٤] ،
تعاليا حدثانا ، إن لم يمنعكما عن ذلك أحد[٧٥] » :

49 ombre portate dalla detta briga :
per ch' i' dissi : « Maestro, chi son quelle
genti che l'aura nera sì gastiga?».

52 « La prima di color di cui novelle
tu vou' saper » mi disse quelli allotta,
« fu imperadrice di molte favelle.

55 A vizio di lussuria fu sì rotta,
che libito fè licito in sua legge
per tòrre il biasmo in che era condotta.

58 Ell' è Semiramìs, di cui si legge
che succedette a Nino e fu sua sposa :
tenne la terra che 'l Soldan corregge.

Dido—Cleopatra : V. 61—63

61 L'altra è colei che s'ancise amorosa,
e ruppe fede al cener di Sicheo ;
poi è Cleopatràs lussurïosa ».

Dido : V. 73—87

73 I' cominciai : « Poeta, volentieri
parlerei a quei due che 'nsieme vanno,
e paion sì al vento esser leggieri ».

76 Ed elli a me : « Vedrai quando saranno
più presso à noi ; e tu allor li priega
per quello amor che i mena, ed ei verranno ».

79 Sì tosto come il vento a noi li piega,
mossi la voce : « O anime affannate,
venite a noi parlar, s'altri nol niega!».

٨٢ وكحمامتين دعاهما الهيام[٧٦] ، تأتيان عبر
الهواء بأجنحة مرفوعة ثابتة إلى العش
الحبيب ، وقد حملهما الشوق[٧٧] ؛

٨٥ هكذا خرج هذان[٧٨] من جماعة فيها ديدونى[٧٩] ،
آتيين نحونا وسط الهواء الخبيث[٨٠] ،
إذْ كان قوياً ندائى الجياش بالعاطفة .

كاتو (فى ليبيا) : ١٤ : ٧ — ١٥

٧ ولكى أحسن وصف الأشياء الجديدة[٨١] ،
أقول إننا وصلنا إلى سهل ،
تطرد أرضه كل نبات[٨٢] .

١٠ الغابة الأليمة من حوله إكليل ،
كالمستنقع الحزين من حولها[٨٣] ،
وهنا أوقفنا خطانا على حافة السهل[٨٤] .

١٣ كان الفضاء رملا قاحلا كثيفاً ،
لا تختلف طبيعته[٨٥] عن ذاك الذى
كان كاتون قد وطئه بقدميه[٨٦] .

دمياط : ١٤ : ٩٤—١٠٥

٩٤ عندئذ قال : « فى وسط البحر[٨٧]
تستوى بلاد خربة تدعى كريت ،
وقد كان العالم طاهراً فى ظل ملكها[٨٨] .

٩٧ وهناك جبل يدعى إيدا ، كان من قبل
سعيداً بالماء وأوراق الشجر[٨٩] ؛
وهو الآن قفر مثل غابر الأثر .

١٠٠ كانت ريا قد اختارته لابنها
مهداً أميناً ، ولكى تحسن إخفاءه ،
كانت تدوى بالصراخ عند بكائه[٩٠] .

82 Quali colombe, dal disio chiamate,
con l'ali alzate e ferme al dolce nido
vengon per l'aere dal voler portate ;

85 cotali uscir della schiera ov' è Dido,
a noi venendo per l'aere maligno,
sì forte fu l'affettuoso grido.

Cato (in Libia) : XIV. 7—15

7 A ben manifestar le cosc nove,
dico che arrivammo ad una landa
che dal suo letto ogni painta rimove.

10 La dolorosa selva l' è ghirlanda
intorno, come 'l fosso tristo ad essa :
quivi fermammo i passi a randa a randa.

13 Lo spazzo era una rena arida e spessa,
non d'altra foggia fatta che colei
che fu da' piè di Caton già soppressa.

Damiata : XIV. 94—105

94 « In mezzo mar siede un paese guasto »
diss' elli allora, « che s' appella Creta,
sotto 'l cui rege fu già il mondo casto.

97 Una montagna v' è che già fu lieta
d'acqua e di fronde, che si chiamô Ida :
or è diserta come cosa vieta.

100 Rea la scelse già per cuna fida
del suo figliuolo, e per celarlo meglio,
quando piangea, vi facea far le grida.

١٠٣ وفى داخل الجبل ينتصب قائماً عجوز
ضخم[٩١] ، وهو يدير كتفيه للمياط ،
وينظر إلى روما كأنها مرآته[٩٢] » :

ليبيا ـ إثيوبيا ــ ساحل البحر الأحمر : ٢٤ : ٧٩–٩٠

٧٩ نزلنا الجسر عند الرأس ،
حيث يلتقى بالشاطىء الثامن ،
وعندئذ انكشف لى الوادى[٩٣] ؛

٨٢ ورأيت هناك بداخله حشداً مخيفاً
من الأفاعى العجيبة الأنواع ،
حتى ما يزال يهرب دمى لذكراها :

٨٥ ألا لاتفخر ليبيا برمالها بعد[٩٤] :
لأنها إذا كانت تنتج دخّانات[٩٥] ، وقفازات[٩٦] ،
وحفارات[٩٧] ، ورقطاوات[٩٨] ، ومعها أفاعين[٩٩] ،

٨٨ فان مثل هذه الطواعين[١٠٠] العديدة
القاتلة ، لم تظهر فيها أبداً ، ولا فى إثيوبيا كلها ،
ولا فى البلاد التى تقع على البحر الأحمر[١٠١] :

مراكش ــ سبتة : ٢٦ : ٨٥–١١١

٨٥ بدأ يهتز القرن الأكبر[١٠٢] فى
الشعلة القديمة ، وهو يدوى مثل
تلك التى ترهقها الريح ؛

٨٨ وبينما هو يحرك طرفه من ناحية
لأخرى ، كأنه اللسان الذى يتكلم[١٠٣] ،
أطلق صوته وقال[١٠٤] : « حينما

٩١ رحلت عن تشيرتشى[١٠٥] ، التى
احتجزتنى أكثر من عام هناك بقرب جايتا ،
قبل أن يسميها إينياس كذلك[١٠٦] ــ

103 Dentro del monte sta dritto un gran veglio,
che tien volte le spalle inver Damiata
e Roma guarda come suo speglio».

Libia—Etiopia—Mar Rosso : XXIV. 79—90

79 Noi discendemmo il ponte dalla testa
dove s'aggiugne con l'ottava ripa,
e poi mi fu la bolgia manifesta ;

82 e vidivi entro terribile stipa
di serpenti, e di sì diversa mena
che la memoria il sangue ancor mi scipa.

85 Più non si vanti Libia con sua rena ;
chè se chelidri, iaculi e faree
produce, e cencri con anfisibena,

88 nè tante pestilenzie, nè sì ree
mostrò già mai con tutta l'Etïopia,
nè con ciò che di sopra al Mar Rosso èe.

Morrocco—Setta : XXVI. 85—111

85 Lo maggior corno della fiamma antica
cominciò a crollarsi mormorando,
pur come quella cui vento affatica ;

88 indi la cima qua e là menando,
come fosse la lingua che parlasse,
gittò voce di fuori, e disse : « Quando

91 mi diparti' da Circe, che sottrasse
me più d'un anno là presso a Gaeta
prima che sì Enea la nomasse,

٩٤ لم يكن شغفى بابنى[١٠٧] ، ولا العطف
على أبى الشيخ [١٠٨] ، ولا الحب الواجب الذى
كان ينبغى أن يجعل پنيلوپ سعيدة [١٠٩] ـ

٩٧ مستطيعا أن يغلب فى نفسى
الحماسة التى كانت عندى ، لكى أصبح خبيرا بالدنيا
وبمساوىء البشر وفضائلهم [١١٠] ؛

١٠٠ ولكنى وضعت نفسى على البحر [١١١]
العميق المفتوح [١١٢] ، فى سفينة واحدة ، مع تلك الجماعة
القليلة التى لم تتخل عنى :

١٠٣ رأيت هذا الشاطىء وذاك [١١٣] ،
حتى أسپانيا ، وحتى مراكش ، وجزيرة السردينيين ،
والجزر الأخرى [١١٤] التى يغسل ما حولها ذلك البحر :

١٠٦ كنت ورفاقى شيوخا بطاء [١١٥] :
حينما بلغنا ذلك الممر الضيق [١١٦] ،
حيث اتخذ هرقل علامتيه [١١٧] ،

١٠٩ كى لا يسير الإنسان قدما :
وتركت إلى اليمين أشبيلية [١١٨] ،
وفى الجانب الآخر كنت قد خلفت سبتة [١١٩] » :

السلطان : ٢٧ : ٨٥ ـ ٩٣

٨٥ « إن أمير الفريسيين الجدد [١٢٠] ـ
وقد أعلن الحرب على مقربة من لاتيرانو [١٢١] ،
لا على العرب ولا على اليهود [١٢٢] ،

٨٨ لأن كل عدو له كان مسيحيا ،
ولم يذهب أحدهم لفتح عكا [١٢٣] ،
ولم يتجر فى بلاد السلطان [١٢٤] ـ

94 nè dolcezza di figlio nè pièta
del vecchio padre, nè 'l debito amore
lo qual dovea Penelopè far lieta,

97 vincer poter dentro da me l'ardore
ch' i' ebbi a divenir del mondo esperto,
e delli vizi umani e del valore ;

100 ma misi me per l'alto mare aperto
sol con un legno e con quella compagna
picciola dalla qual non fui diserto.

103 L'un lito e l'altro vidi infin la Spagna,
fin nel Morrocco, e l'isola de' Sardi,
e l'altre che quel mare intorno bagna.

106 Io e' compagni eravam vecchi e tardi,
quando venimmo a quella foce stretta
dov' Ercule segnò li suoi riguardi,

109 acciò che l'uom più oltre non si metta :
dalla man destra mi lasciai Sibilia,
dall' altra già m'avea lasciata Setta ».

Il Soldano : XXVII. 84—93

85 « Lo principe de' novi Farisei,
avendo guerra presso a Laterano,
e non con Saracin nè con Giudei,

88 chè ciascun suo nimico era Cristiano,
e nessun era stato a vincer Acri,
nè mercatante in terra di Soldano ;

٩١ لم يراع فى شخصه المركز الرفيع [١٢٥]
والنظم المقدسة ، ولا فى شخصى ذلك الحبل [١٢٦] [،
الذى اعتاد أن يجعل مَنْ تمنطقوا به أنحف جسما [١٢٧] » :

الرومان والقرطاجنيون : ٢٨ : ٧–١١ ، ١٩ –٢١

٧ وإذا اجتمع بعد كل الناس
الذين كانوا قد بكوا دماءهم ،
فوق أرض أبوليا [١٢٨] المشؤومة [١٢٩]

١٠ بسبب الطرواديين [١٣٠] والحرب
الطويلة [١٣١] ، التى جعلت من خواتم الذهب
غنائم عظيمة ، كما يكتب ليڤيوس الذى لا يخطىء [١٣٢] —

... ...

١٩ وإذا أظهر جريح أعضاءه الممزقة ،
وكشف آخر عضوه المقطوع ، فلن يساوى هذا
شيئا إلى مظهر الوادى التاسع الرهيب [١٣٣] :]

يوسف وزوجة فوطيفار : ٣٠ : ٩١ — ٩٩

٩١ قلت له : « مَنْ الخسيسان
اللذان يُصعِّدان دخانا كيدين ابتلتا فى الشتاء [١٣٤] ،
وقد استلقيا متلاصقين إلى يمينك [١٣٥] ؟ » :

٩٤ أجابنى : « هنا وجدتهما ، حينما
هبطت إلى هذه الهاوية [١٣٦] ، ولم يتحركا بعد ؛
ولا أعتقد أنهما سيتحركان إلى الأبد :

٩٧ فواحدة هى الزائفة التى اتهمت يوسف [١٣٧] ؛
والآخر هو إغريقى طروادة سينون الكذوب [١٣٨]
يطلقان بوطأة الحمى دخانا كثيرا » .

91 nè sommo officio nè ordini sacri
guardò in sè, nè in me quel capestro
che solea fare i suoi cinti più macri ».

Romani e Cartaginesi : XXVIII. 7—21

7 S'el s'aunasse ancor tutta la gente,
che già in su la fortunata terra
di Puglia fu del suo sangue dolente

10 per li Troiani, e per la lunga guerra
che dell' anella fè sì alte spoglie,
come Livio scrive che non erra,

... ...

19 e qual forato suo membro e qual mozzo
mostrasse, d' aequar sarebbe nulla
il modo della nona bolgia sozzo.

Giuseppo e moglie di Putifarre : XXX. 91—99

91 E io a lui : « Chi son li due tapini
che fumman come man bagnate 'l verno,
giacendo stretti a' tuoi destri confini ? ».

94 « Qui li trovai—e poi volta non dierno—»
rispuose, « quando piovvi in questo greppo,
e non credo che dieno in sempiterno.

97 L' una è la falsa ch' accusò Giuseppo ;
l'altr' è il falso Sinon greco da Troia :
per febbre aguta gittan tanto leppo ».

وادى باجرادا — شيپيون — هانيبال : ٣١ : ١١٢ — ١٢٣

١١٢ عندئذ تابعنا المسير إلى الأمام ،
وبلغنا أنتيوس [١٣٩] الذى ظهر منه خارج البّر ،
فيما عدا الرأس ، خمس أذرع كاملة [١٤٠] :

١١٥ « أنت يامَنْ أخذت ألف سبع
غنيمة فى الوادى المحتوم [١٤١] ، ومَنْ أورث
شيپيون المجد ، حينما ولى

١١٨ هانيبال ظهره مع رجاله [١٤٢] ،
وإذا كنت قد اشتركت فى حرب إخوتك الكبرى ،
فيبدو أنه ما يزال هناك مَنْ يعتقد

١٢١ أن أبناء الأرض كانوا سيظفرون [١٤٣] ؛
ضعنا فى أسفل ، حيث يحبس الزمهرير مياه
كوتشيتوس [١٤٤] ، ولا يأخذك الخجل من ذلك » .

الإثيوپيون — إثيوپيا — نهر النيل : ٣٤ : ٢٨—٤٥

٢٨ لقد خرج بنصف صدره من
الثلج إمبراطور عالم الآلام [١٤٥] ؛ وإننى إلى
طول مارد لأقرب

٣١ من المردة إلى حجم ذراعيه :
فانظر الآن كم ينبغى أن يكون ذلك الكل
الذى يناسب مثل هذه الأجزاء [١٤٦] ؛

٣٤ ولئن كان ذات يوم فائق الجمال
كما هو قبيح الآن ، ورفع عينيه على خالقه ،
فهو جدير أن يصدر عنه كل حزن :

٣٧ آه كم بدا لى من عُجاب العجب ،
حينما رأيت ثلاثة وجوه لرأسه [١٤٧] !
كان الأمامى أحمر اللون [١٤٨] ؛

112 Noi procedemmo più avante allotta,
e venimmo ad Anteo, che ben cinque alle,
sanza la testa, uscia fuor della grotta.

115 « O tu che nella fortunata valle
che fece Scipïon di gloria reda,
quand' Annibàl co' suoi diede le spalle,

118 recasti già mille leon per preda,
e che se fossi stato all' alta guerra
de' tuoi fratelli, ancor par che si creda

121 ch' avrebber vinto i figli della terra ;
mettine giù, e non ten vegna schifo,
dove Cocito la freddura serra ».

Gli Etiopici—Etiopia—Il Nilo : XXXIV. 28—45

28 Lo 'mperador del doloroso regno
da mezzo il petto uscia fuor della ghiaccia ;
e più con un gigante io mi convegno,

31 che giganti non fan con le sue braccia :
vedi oggimai quant' esser dee quel tutto
ch' a così fatta parte si confaccia.

34 S' el fu sì bello com' elli è or brutto,
e contra 'l suo fattore alzò le ciglia,
ben dee da lui procedere ogni lutto.

37 Oh quanto parve a me gran maraviglia
quand' io vidi tre facce alla sua testa !
L' una dinanzi, e quella era vermiglia ;

٤٠ والآخران كانا وجهين
اتصلا به على وسط كلا الكتفين ،
واتحدت جميعا فى مكان اليافوخ :

٤٣ بين البياض والصفرة بدا الأيمن [١٤٩] ،
وكان الأيسر حين تراه مثل أولئك الذين
يأتون من هناك ، حيث يهبط نهر النيل [١٥٠] :

l'altr' eran due, che s'aggiungnieno a questa
sovresso 'l mezzo di ciascuna spalla,
e sè giugnieno al luogo della cresta :

e la destra parea tra bianca e gialla ;
la sinistra a vedere era tal, quali
vegnon di là onde 'l Nilo s'avvalla.

الحواشى

* – سبق أن نشر هذا المقال فى مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية عدد ١٠ سنة ١٩٥٦ وقد أدخلت عليه بعض التعديلات نتيجة المزيد من الدراسة . ومن المناسب أن يعاد نشره فى مجلة «معهد البحوث والدراسات الأفريقية» بجامعة القاهرة تعميماً للفائدة .

(١) أسرة هوهنشتاوفن (Hohenstaufen) أسرة ألمانية من وورتمبرج شغلت عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة من ١١٣٨ إلى ١٢٥٤ . وفردريك الثانى من أشهر أفرادها وكان واسع الأفق عالمـا وحارب البابوية وعقد معاهدة مع الملك الكامل فى ١٢٢٩ .

(٢) المدرسة الصقلية مرحلة فى نمو الأدب الإيطالى وظهرت فى صقلية فى النصف الأول من القرن الثالث عشر . وظهربها الشعر التقليدى الذى يتناول قصص العصور الوسطى وأساطير الشرق والأخلاق والعلم كما وجد بها عنصر إنسانى يحاول التعبير عن بعض خفايا النفس .

(٣) كتب الإيطاليون شعرهم فى القرن الحادى عشر باللغة الفرنسية ثم بلغة پروڤنس التى تأثرت بأدب التروبادور بما فيه من بعض عناصر التراث العربى الشرقى . وفى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر بدأت تظهر فى إيطاليا اللهجات العامية وظهرت أشعار دينية مثل شعر يواكيمودافلورا وفرنتشكوداسيسى وتلا ذلك ظهور شعر المدرسة الصقلية . وبذلك كان الأدب الإيطالى فى ذلك العصر أدبا وليدا . ويرجع تأخر ظهور الأدب الإيطالى إلى تأثر إيطاليا بالتراث اللاتينى وعدم استطاعتها التخلص منه بسهولة ، وإلى الظروف المضطربة التى سادت إيطاليا عقب غارات البرابرة الجرمان على الإمبراطورية الرومانية .

(٤) مدرسة بولونيا مدرسة أدبية ظهرت فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر وتمتاز بشعرها التقليدى والإنسانى على السواء واتخذت لهجة تسكانا أداة لها ، ويرجع ذلك إلى نقاء اللهجة التسكانية وقلة تأثرها بلهجات الغزاة الأجانب فأتيحت لها الفرصة لكى تنمو وتتطور فى بيئتها المحلية تطورا تدريجيا ، وكذلك لتفوق تسكانا فى المجتمع السياسى والاقتصادى ، ومن شعراء هذه المدرسة جويدو جوينتزلى .

(٥) المدرسة الفلورنسية الحديثة أو مدرسة تسكانا هى آخر مرحلة – سابقة على دانتى فى نمو الأدب الإيطالى ، واجتمع فيها كذلك الشعر التقليدى والشعر الإنسانى العاطفى وكان من شعرائها جويدو كاڤالكانتى ودانتى .

(٦) دانتى أليجييرى (١٢٦٥ – ١٣٢١ Dante Alighieri) ولد فى فلورنسا ومات فى راڤنا . وهو من أعظم شعراء الأرض وكان متعدد النواحى فاشترك فى الحرب واشتغل بالسياسة وأحب الرسم والموسيقى وعاش فى المنفى سنوات طويلة ، وكانت الآلام والمحن التى انصبت عليه بوتقة عبقريته ، ومن آثاره « الحياة الجديدة » و «الوليمة» و «الملكية» و «الكوميديا الإلهية» .

(٧) *Inf.* IV. I...

(٨) *Ibid.* 73—90

(٩) *Ibid.* 94—99

(١٠) *Ibid.* 100—103

(١١) Ibid. 106—114

(١٢) *Ibid.* 127—128

(١٣) *Ibid.* 129

(١٤) *Ibid.* 139—141

(١٥) *Ibid.* 142

(١٦) *Ibid.* 143

(١٧) *Inf.* v. 25...

(١٨) *Ibid.* 46—57

(١٩) *Ibid.* 60

(٢٠) *Ibid.* 62

(٢١) *Ibid.* 63

(٢٢) *Ibid.* 73—87

(٢٣) *Inf.* XIV. 7—15

(٢٤) *Ibid.* 92—93

(٢٥) *Ibid.* 94—105

(٢٦) *Ibid.* 112...

(٢٧) *Inf.* XXIV. 79—90

(٢٨) *Inf.* XXVI. 85—111

(٢٩) *Inf.* XXVII. 85—93

(٣٠) *Ibid.* 94...

(٣١) *Inf.* XXVIII. 7...

(٣٢) *Inf.* XXX. 58...

(٣٣) *Ibid.* 91—99

(٣٤) *Inf.* XXXI. 112—123

(٣٥) *Inf.* XXXIV. 28—45

(٣٦) يرى بعض النقاد أن القلعة رمز للعلم ويحوطها سياج العلوم مثل النحو والخطابة والهندسة والموسيقى ، والجدل رمز لاستعداد العقل لتلقى العلم ، ويرى آخرون أن القلعة رمز للفلسفة يحوطها سياج الطبيعة وما وراءالطبيعة و الأخلاقو السياسة... ولم يصل النقادإلى رأى نهائى فى تفسير هذه الأبيات . ووصف القلعة وأسوارها مأخوذ من قلاع العصور الوسطى . وجعل دانتى هذه القلعة موطن النفوس العظيمة من رجال العالم القديم ، وهو نوع من المطهر الدائم لهذه النفوس ، وإن كان موضعها فى مقدمة « الجحيم » .

(٣٧) أى مثل دانتى وڤرجيليو ومعهما هوميروس وهوراتيوس وأوڤيديوس أعضاء المدرسة الجميلة وساروا كما يسير الإنسان على أرض صلبة ثابتة مما يجعل السير عليها سهلا .

(٣٨) هكذا رسم دانتى صفات عظماء الفلاسفة والشعراء والأبطال بهذه الكلمات القليلة التى تدل على خصالهم .

(٣٩) لوتشيوس بروتس (Lucius Brutus) اشترك فى طرد تاركوينوس العظيم وأقام الجمهورية فى روما فى أواخر القرن ٦ ق . م .

(٤٠) لوتشيوس تاركوينوس العظيم (Lucius Tarquinus Superbus)عاش فى القرن ٦ ق . م . وحكم روما حكماً مستبداً واشترك لوتشيوس بروتس فى التآمر عليه وطرده من روما .

(٤١) لوكريتزيا (Lucrezia) زوجة تاركوينوس كولاتينوس الذى اعتدى عليها ابن تاركوينوس السالف الذكر .

(٤٢) جوليا (Julia) إبنة يوليوس قيصر وزوجة پومپى الكبير عاشت فى القرن ١ ق. م.

(٤٣) مارتزيا (Marzia) إبنة ماركيوس فيليپوس وزوجة كاتون الثانية .

(٤٤) كورنيليا (Cornigiia) إبنة شيپيون الأفريقى وزوجة تيبريوس جراكوس .

(٤٥) صلاح الدين الأيوبى (١١٣٧ – ١١٩٣ Il Saladino) مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر والشام وبطل الحروب الصليبية . أثار إعجاب العالم المسيحى ببطولته وأخلاقه وكان موضع التقدير عند دانتى الذى عاش فى آخر عصر الحروب الصليبية .

(٤٦) ديوسقوريدس (Dioscorides) طبيب يونانى عاش فى القرن ١ ق . م . ووضع كتابا فى خصائص الأعشاب .

(٤٧) أورفيوس (Orpheus) شاعر وموسيقى من شخصيات الميتولوجيا اليونانية ويقال إن موسيقاه كانت تجذب الأحجار والحيوانات إليه . وقد وضع جلوك فى القرن الثامن عشر ألحان أوپرا أورفيوس وأوريديس التى تصور هبوط أورفيوس إلى العالم السفلى بعد موت أوريديس وقد تأثر إله الحب بموسيقاه فاستجاب له وأعاد أوريديس إلى الحياة :

Gluck, Ch., W.: Orpheus and Eurydice, opera. Vienna, 1762 (Decca).

(٤٨) توليوس تشيشيرون (Tullius Cicero) سياسى وفيلسوف رومانى عاش فى القرن ١ ق . م. وأخذ عن فلاسفة اليونان ما وافق عقله وآمن بالله وبحرية الإرادة ، وكتب فى الخطابة والتكهن بالغيب والأكاديمية والواجب .

(٤٩) لينوس (Linus) شاعر وموسيقى من شخصيات الميتولوجيا اليونانية وهو أستاذ أورفيوس.

(٥٠) سينيكا (Seneca) فيلسوف وشاعر رومانى عاش فى القرن ١ م . وكان معلم نيرون وكتب فى الأخلاق والفلسفة وله تراجيديات .

(٥١) إقليدس (Eucleides) الرياضى الإسكندرى الذى عاش فى القرنين ٤ و ٣ ق . م . وكتب فى الرياضة والهندسة والموسيقى والبصريات .

(٥٢) كلاوديوس بطليموس (Claudius Ptolemaeus) عاش فى القرن ٢ م . وهو الرياضى الجغرافى الفلكى الإسكندرى ، ترجمت مؤلفاته فى الفلك والجغرافيا إلى العربية ومنها إلى اللاتينية ، واعتبر بطليموس الأرض ثابتة وأنها مركز الكون وأن سائر الكواكب تدور حولها ، وأن اليابس بحكم ثقله اتخذ أدنى المواضع فى الأرض ثم يعلوه المـاء فالهواء والنار والأثير الذى تقوم فيه السماوات ، وبنيت نظرية بطليموس فى الفلك على أساس الحركة الظاهرة .

(٥٣) هيپوقراطيس (Hippocratis) عاش فى القرنين ٥ و ٤ ق . م وهو الطبيب اليونانى أبو الطب واشتهر بتشخيص الأمراض ويعرف بأبقراط .

(٥٤) إبن سينا (Avicenna) عاش فى القرنين ١٠ و ١١ م . وهو الفيلسوف والطبيب الإسلامى . ولد فى بخارى وعاش فى فارس ، وكتب التعليق على أرسطو والقانون فى الطب .

(٥٥) كلاوديوس جالينوس (Clauidius Galenus) عاش فى القرنين ٢ و ٣ م . وهو الطبيب اليونانى الذى عاش فى الأناضول والإسكندرية وروما وكتب فى الطب والفلسفة .

(٥٦) ابن رشد (Averrois) عاش فى القرن ١٢ م . وهو الفيلسوف والطبيب الأندلسى . كتب التعليق على أرسطو وقد ترجم إلى اللاتينية .

ويوجد له رسم فى كاتدرائية فلورنسا فى قبة الأسپان فى صورة علوم الأرض ، وظهر فيها مع آريوس وتوماس أكويناس .

(٥٧) هكذا تفعل الكراكى عندما تهاجر من المناطق الباردة فى أوروپا إلى المناطق الدافئة فى أفريقيا .

(٥٨) المقصود بهذا شعب بابل .

(٥٩) يقصد سميراميس التى وضعت من القوانين ما جعل خطايا الجسد مشروعة .

(٦٠) هناك طائفتان من الآثمين الذين غلبوا العاطفة على العقل ، والطائفة الأولى التى على رأسها سميراميس هى الطائفة التى أمعنت فى حياة الخطيئة ، وسميراميس (Semiramis) ملكة الأشوريين شخصية تحوطها الأساطير ويقال إنها عاشت فى القرن ١٤ ق . م . وخلفت زوجها نينو (Nino) على العرش بعد تآمرها عليه ويقال إنه كان إبنها فى الوقت نفسه . وكان نينو أول ملك تطلع إلى إقامة دولة عالمية . وقد ذكرها أوڤيديوس (Ov. Met. IV. 58, 88) وبرونيتو لاتينى (Lat. Trèsor, 1. 26) .

ووضع روسينى (١٧٦٢ — ١٨٦٨) ألحان أوپرا سميراميس التى تصور حياة العشق والمتعة التى عاشتها ملكة الأشوريين :

Rossini, G. : Semiramide, opera. Venezia, 1823 (Columbia).

(٦١) هذا يعنى أحد سلاطين دولة المماليك البحرية فى مصر المعاصرين لدانتى . والمقصود أن سميراميس حكمت دولة واسعة فى حوض الدجلة والفرات وظن دانتى أنها وقعت يوماً تحت حكم سلطان

مصر ، وذلك لخلطه بين بابل على الفرات والفسطاط على النيل وكل منهما تسمى بابلونيا (Babilonia) فى الإيطالية .

(٦٢) ديدو (Dido) على رأس الطائفة الثانية من ارتكبوا الخطيئة بسبب العاطفة ولكنهم أخلصوا فى الحب لشخص واحد ، وديدو فى الأسطورة ملكة قرطاجنة وأقسمت بعد موت زوجها سيكيوس (Sychaeus) ألا تتزوج ، ولكنها وقعت فى حب إينياس وانتحرت عندما هجرها إلى إيطاليا : Virg. Æn. VI. 450...

وتوجد صورة من عمل روبنز (١٥٧٧ – ١٦٤٠) لديدو وهى تغمد السيف فى صدرها وهى فى متحف اللوفر فى پاريس . وكذلك توجد صورة لمصرعها من صنع سباستيان بوردون (١٦١٦ – ١٦٧١) وهى فى متحف الإرميتاج فى لينينجراد .

ووضع پرسل (١٦٥٩ – ١٦٩٥) ألحان أوپرا ديدو وإينياس التى تصور قصة العاشقين وتوضح مأساة ديدوفى :

Purcell, H. : Æneas and Dido, opera. Chelsea, 1689 (HMV).

(٦٣) كليوپاترا (Cleopatra) ملكة مصر فى عهد البطالسة ، يقال إنها اتخذت من علاقتها بقيصر وأنطونيوس من بعده وسيلة لتحقيق مصلحة مصر ، وانتصر أسطول أوكتاڤيوس على أنطونيوس فى موقعة أكتيوم فى ٣١ ق. م. وانتحرت كليوپاترا عندما أخفقت فى استمالة أوكتاڤيوس وبذلك انتهت دولة البطالسة فى مصر .

(٦٤) قال إنه بدأ أى أنه لم يتكلم مباشرة واحتاج دانتى إلى بعض الجهد والوقت حتى تمالك نفسه ، بعد أن كاد يفقد الوعى عند مشاركته آلام المعذبين قبل رؤية هذين الإثنين .

(٦٥) ينادى دانتى ڤرجيليو بالشاعر وهى الصفة الخالدة عند دانتى وڤرجيليو معاً .

(٦٦) أى كم تحدوه الرغبة للتحدث إلى هذين الاثنين وهما فرنتشسكا دا ريمينى (Francesca da Rimini) وپاولو مالاتستا (Paolo Malatesta) . وملخص قصتهما أن أسرة دا پولنتا أمير راڤنا وأسرة مالاتستا أمير ريمينى جنحتا إلى السلام عن طريق المصاهرة وظنت فرنتشسكا إبنة دا پولنتا أنها ستتزوج پاولو مالاتستا الفارس الجميل ، ولكنها خدعت وربما عن غير قصد ، وزفت إلى أخيه جانتشوتو المشوه ، واستمرت صلة حب بين پاولو وفرنتشسكا وكشف الزوج هذه العلاقة ففاجأ العاشقين فى أحد مواقف الغرام وقتلهما معاً . ووقع الحادث فى ريمينى فى حوالى ١٢٨٥ وتأثر دانتى بهذا الحادث فخلده فى شعره . وفرنتشسكا من أبرز شخصيات الكوميديا ، وهى تمثل الإنسان الحى الحديث الذى يعبر عن عواطفه بصدق وبساطة وإخلاص وتمثل الحب والخطيئة واللعنة والموت . وهى شهيدة حب أكثر منها آثمة . وصنع رودان باب الجحيم من البرونز وهو موجود بمتحفه فى پاريس وفى أعلاه تمثال المفكر الذى يمثل دانتى وعلى الباب صور من الحفر البارز تمثل عذاب الآثمين ومن بينهم پاولو وفرنتشسكا وهما فى حالة من الوجد والهيام .

ورسم ديلاكروا (١٧٩٨ – ١٨٦٣) صورة لهذين العاشقين وهى موجودة فى مجموعة خاصة فى زيوريخ .

ووضع ليست (١٨١١ - ١٨٨٦) سيمفونية دانتي التي تصور عالم الجحيم ودنيا المطهر والتطلع إلى الفردوس ، ووضع سوناتا دانتي التي تصور حب العاشقين وعذابهما :

Liszt, F. : Dante Sonata, 1849 (Columbia).

Liszt, F. : Symphony to Dante's Divine Comedy, 1855-1856 (Brunswick).

وألف تشايكوسكي (١٨٤٠ - ١٨٩٣) افتتاحية سيمفونية عن فرنتشسكا دا ريميني تجاوب في أنغامها عصف الرياح وأنين العاشقين اللذين يذوبان وجدا وهياماً :

Tschaikowsky, P.I. : Francesca da Rimini, fantasia, 1878 (Decca).

وكذلك وضع تزاندوناي (١٨٨٣ - ١٩١٢) ألحان أوبرا فرنتشسكا دا ريميني على أساس كتاب دانونتزيو عنهـا :

Zandonai, R. : Francesca da Rimini, opera . Torino, 1914 (Columbia).

(٦٧) اختلف عقاب هذين الإثنين عن بقية الآثمين فلم تفرقهما الريح ولم تضرب أحدهما بالآخر بل حملتهما معاً على الدوام وأثار هذا الاختلاف انتباه دانتي .

(٦٨) أي يبدوان كريشة في مهب الرياح .

(٦٩) حاول ڤرجيليو بهذه الكلمات أن يحمل دانتي على الصبر والانتظار .

(٧٠) أي أن الحب يقودهما مع الريح والحب محور هذه القصيدة .

(٧١) يعني أنهما لن يتوانيا عن القدوم إذا ما استحلفهما دانتي باسم الحب .

(٧٢) أي أن الريح استجابت لنداء دانتي وحملتهما إليه ولم تذهب بهما بعيدا عنه .

(٧٣) يعني أنه من فرط تأثره لم يستطع النطق بسهولة فبذل جهداً ورفع صوته لكي يتكلم .

(٧٤) ناداهما دانتي بالحال الأليمة التي هما عليها ، وفي هذا عطف ومشاركة في آلام هاتين النفسين المعذبتين .

(٧٥) طلب إليهما دانتي أن يقتربا أكثر ويتكلما عن حالهما ولم يكد يتم قوله حتى أبدى هـذا الإعتراض الذي ولده الشك ، إذ ربما منعهما عائق عن القدوم يعني الله .

(٧٦) شبههما دانتي بالحمام لأنه طائر يعشق بإخلاص .

(٧٧) طارا بأجنحة قوية ممتدة مفتوحة حتى يصلا سريعاً إلى العش الحبيب ، ويشبه هـذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 450

(٧٨) يمكن أن تكون ترجمة هذه الثلاثية كالآتي : « حملتهما الرغبة الملحة عبر الهواء ، كفرخي حمام ناداهما الهيام بأجنحة مرفوعة ثابتة إلى العش الحبيب » .

(٧٩) ديدو (Dido) ملكة قرطاجنة التي عشقت إينياس بعد موت زوجها ليست من المعمنات في حياة الإثم ولا تزال تسودها الأخلاق النبيلة .

(٨٠) لم يمكنهما التأخر أمام نداء دانتي الحار وعبرا خلال الهواء الخبيث الأسود الملعون .

(٨١) أى العذاب الجديد الذى لم ير دانتى له مثيلا .

(٨٢) يعنى أن السهل رملى قاحل لا ينمو به أى نبات .

(٨٣) يحيط نهر أو مستنقع الدم بغابة المنتحرين كما يحيط بالغابة هذا السهل القاحل .

(٨٤) أى أقصى حافة السهل القاحل .

(٨٥) يشبه هذا الرمل صحراء ليبيا القاحلة .

(٨٦) ماركوس بورتشيوس كاتو (٩٥ – ٤٦ ق . م . Marcus Porcius Cato) سياسى رومانى من أنصار الجمهورية ومن تلاميذ المدرسة الرواقية. عارض كلا من قيصر وبومبى ولكن عندما قامت الحرب بينهما انضم إلى الأخير ، وهرب بعد معركة فارساليا إلى أفريقيا ولحق بقوات بومبى بعد سير شاق فوق رمال ليبيا المحرقة وهزم قيصر هذه القوات ولم يقبل كاتو الهزيمة كما لم يرض بالإنحياز إلى قيصر فآثر الانتحار . وسيجعله دانتى حارساً للطريق إلى جبل المطهر :

Luc. Phars. x. 411...
Purg. I. 31.

ويوجد تمثال نصفى من المرمر يرمز لكاتو وابنته وهو فى متحف الفاتيكان . وتوجد عنه مؤلفات موسيقية مثل مؤلف ڤيڤالدى (١٦٦٨ – ١٧٤١) ومؤلف جوهان كريستيان باخ (١٧٣٥–١٧٨٢) :

Vivaldi, A. : Catone in Utica, opera. Verona, 1737.
Bach, J. Ch. : Catone in Utica, opera. Napoli, 1761.

(٨٧) أى البحر الأبيض المتوسط .

(٨٨) يقصد العصر الذهبى لجزيرة كريت فى عهد ملكها ساتورن كما جاء فى الميتولوجيا اليونانية .

(٨٩) إيدا (Ida) جبل مرتفع فى وسط جزيرة كريت .

(٩٠) فى الميتولوجيا اليونانية أن ريا (Rhea) زوجة ساتورن أخفت إبنها جوبيتر فى جبل إيدا لإنقاذه من بطش أبيه الذى افترس بعض أبنائه :

Ov. Fasti, IV. 197—214.

(٩١) يقصد تمثالا كبيرا صنع من المعادن الأربعة التى تدل على العصور التى مرت بها البشرية كما ورد فى « الكتاب المقدس » :

Dan. II. 31—33.

(٩٢) أدار التمثال ظهره لدمياط رمز الشرق واتجه إلى روما رمز الغرب ، واتخذ دانتى دمياط رمزا للشرق دون غيرها من العواصم لأن شهرتها وصلت أوروبا فى عهد الحروب الصليبية وكانت ما تزال قائمة فى عصر دانتى .

(٩٣) هذا هو الوادى أو الخندق السابع حيث يعذب اللصوص .

(٩٤) اقتبس دانتى هذا القول من لوكانوس :

Luc. Phars. IX. 705..:

(٩٥) الدخانة (chelydrus) أفعى تعيش أغلب الوقت فى الماء ، وإذا سارت على الأرض أثارت التراب الذى يشبه الدخان فى تصاعده .

(٩٦) القفازة أو الطفارة (jaculi) أفعى تقفز من الأشجار على فريستها .

(٩٧) الحفارة (pareas) أفعى تحفر الأرض بذنبها .

(٩٨) الرقطاء أو النقطاء (cenchris) أفعى ذات جلد مرقش .

(٩٩) أفعوان (amphisbaena) أفعى تتحرك إلى الأمام وإلى الخلف ، ويطلق هذا اللفظ على ذكر الأفعى عامة ، وأورد لوكانوس صفات هذه الزواحف :

Phars. IX. 711...

(١٠٠) أى الزواحف السامة .

(١٠١) يقصد الصحارى الواقعة على ساحل البحر الأحمر أى صحارى بلاد العرب وصحارى مصر .

(١٠٢) أى لسان النار الأعلى وهذه إشارة إلى أوليسيس (Ulysses) من أبطال اليونان فى حرب طروادة ، ويمثل أوليسيس البطل الشجاع الذى لا يعبأ بالمصاعب ويخرج إلى البحار المجهولة للكشف عن عالم جديد . وكان رأيه فى المخاطرة سببا فى هلاكه مع رفاقه ، وهو يعاقب فى الجحيم مع الذين أبدوا خادع الرأى .

(١٠٣) يشبه دانتى اللهب بلسان الإنسان عندما يهتز ويتحرك للكلام .

(١٠٤) كان لابد أن يطلق أو يقذف الكلمات التى اعترضتها النيران حتى تصل إلى مسامع الشاعرين .

(١٠٥) تشيرتشى (Circe) ساحرة اجتذبت إليها أوليسيس بعد رجوعه من طروادة :

Virg. Æn. VI. 1—4, 10.
Hom. Od. X. 210...

(١٠٦) أطلق إينياس اسم مرضعته جاييتا (Gaeta) على هذه المدينة فى جنوبى إيطاليا :

Virg. Æn. VII. 1—4.

(١٠٧) تليماكوس (Telemachus) هو ابن أوليسيس .

(١٠٨) لايرتيس (Laertes) هو أب أوليسيس .

(١٠٩) پنيلوپ (Penelopè) هى زوجة أوليسيس الوفية .

(١١٠) كانت رغبة أوليسيس فى معرفة العالم والبشر أقوى من كل الروابط ونجد هنا روح دانتى المتوثب إلى المعرفة على رغم الأخطار .

(١١١) أى البحر الأبيض المتوسط .

(١١٢) هذا بالمقارنة بالبحر الأيونى عند ساحل اليونان .

(١١٣) أى الشاطئ الأوروبى والشاطئ الأفريقى .

(١١٤) يعنى صقلية وكورسيكا وجزر البليار .

(١١٥) أى كانوا شيوخا تعوزهم سرعة الشباب .

(١١٦) يعنى بوغاز جبل طارق .

(١١٧) عمودا هرقل على الشاطىء الأوروبي (موضع جبل طارق) وعلى الشاطىء الأفريقي (موضع قمة بنى حسن) هما الحد الغربي للعالم المعروف فى ذلك العصر .

(١١٨) أشبيلية (Sibilia) على ساحل أسپانيا .

(١١٩) سبته (Setta) على ساحل أفريقيا .

(١٢٠) أى البابا بونيفاتشو الثامن أمير الفريسيين المنافقين الجدد الذين شابهوا الفريسيين المنافقين فى عهد المسيح .

(١٢١) كان قصر لاتيرانو (Laterano) مقر البابوات فى روما فى عهد دانتى وكانت قصور آل كولونا (I Colonna) على مقربة منه ، وقد حاربهم البابا وانتصر عليهم .

(١٢٢) كان المفروض عند دانتى والمسيحيين أن يحارب البابا المسلمين واليهود لا المسيحيين وتأثر دانتى فى هذا بروح العصر . على أننا نلاحظ أن محاربة البابا لأعدائه من المسيحيين فى أرض إيطاليا دون العناية وقتئذ بمحاربة المسلمين واليهود معناه تغير العقلية الأوروپية وضعف العامل الدينى كسبب للحرب .

(١٢٣) يعنى أن البابا كان عدواً للمسيحيين الذين لم يذهب واحد منهم للاشتراك مع المسلمين فى فتح عكا آخر معقل للصليبيين فى الشرق فى ١٢٩١ . يعنى أن البابا عادى المسيحيين المخلصين الذين لم يخونوا المسيحية ولم يعاونوا المسلمين ضد الصليبيين ، وفى هذا تهكم وسخرية من جانب دانتى .

(١٢٤) ولم يتجر واحد ممن عاداهم البابا من المسيحيين مع المسلمين ولم يقدموا لهم الأخشاب أو الأسلحة التى تعمل على تقوية المسلمين فى البر والبحر ، وكما فعل بعض التجار المسيحيين أو اليهود وعلى الأخص من البنادقة الذين خالفوا قرار البابا ضد التجارة فى هذه المواد مع المسلمين وكانوا عنده جديرين وحدهم بعداء البابا . وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون سلطان دولة المماليك البحرية (١٢٩٠–١٢٩٣) هو الذى استولى على عكا . وسلاطين مصر الذين عاصروا دانتى بعد ذلك هم الملك الناصر محمد (١٢٩٣ – ١٢٩٤) والملك العادل كتبغا (١٢٩٤ – ١٢٩٦) والملك المنصور لاجين (١٢٩٦–١٢٩٩) والملك الناصر محمد (السالف الذكر ١٢٩٩ – ١٣٠٩) والملك المظفر ركن الدين بيبرس الثانى (١٣٠٩ – ١٣١٠) والملك الناصر محمد (السالف الذكر ١٣١٠ – ١٣٤١) .

(١٢٥) أى البابوية .

(١٢٦) هذه كناية عن ثوب رهبان الفرنتشسكان .

(١٢٧) أى أن رهبان القديس فرنتشسكو كانوا يعيشون حياة الزهد والتقشف ولذلك نحفت أجسامهم .

(١٢٨) المقصود بأپوليا (Puglia) هنا كل المنطقة الجنوبية من إيطاليا .

(١٢٩) هذا هو المقصود من لفظ (fortunata) .

(١٣٠) أريقت دماء كثيرة عندما قدم الطرواديون لبسط سلطانهم على جنوبى إيطاليا ٣٤٣ – ٢٩٠ ق . م .
Livius, Ab Urbe Condita Libri, X. 9...

(١٣١) أى حروب روما وقرطاجنة (الحروب البونية) وعلى الأخص معركة كان ، وفترات هذه الحروب هى : ٢٦٤ – ٢٤١ ق . م . و ٢١٨ – ٢٠٢ ق . م . و ١٤٩ – ١٤٦ ق . م .

(١٣٢) يعنى خواتم الذهب التى فقدها الرومان فى حروبهم مع قرطاجنة .

(١٣٣) أى أن منظر الخندق أو الوادى التاسع كان أبشع من تجمع القتلى والجرحى فى الحروب منذ عهد طروادة حتى عصر دانتى .

(١٣٤) عندما تبتل يد الإنسان فى الشتاء القارس يتصاعد منها البخار لارتفاع درجة حرارة الماء بملامسة الجسم .

(١٣٥) هذه جماعة من مزيفى الكلام الكاذبين الخادعين .

(١٣٦) أى عند موت أدامو دا بريشا (Adamo da Brescia) – الذى كان يحادث دانتى – فى ١٢٨١ ، وهو مزيف العملة الفلورنسية .

(١٣٧) هى زوجة فوطيفار الوزير المصرى فى عهد أحد ملوك الهكسوس فى حوالى القرن ١٨ أو القرن ١٧ ق .م. وهى التى اتهمت يوسف الصديق بالباطل بمحاولة إغرائها واغتصابها وورد ذكرها فى «الكتاب المقدس» :

Gen. XXXIX. 6—23.

وتوجد رسوم بالموزايكو فى إحدى قباب سان ماركو فى البندقية تسجل صورا من تاريخ يوسف ومنها قصته مع زوجة فوطيفار .

وقد وضع پولارولو (١٦٥٣ ؟ – ١٧٢٢) ورايموندى (١٧٨٦ – ١٨٥٣) مؤلفين موسيقيين عن يوسف :

Pollorolo, G.F. : Joseph in Aegypto, oratorio. Venezia, 1707.
Raimondi, P. : Putifar, Giuseppe, Giacobbe, oratorio.

(١٣٨) سينون (Sinon) هو الذى جعل الطروادين يأسرونه ثم حملهم على أن يدخلوا الحصان الخشبى داخل أسوارهم وبهذه الخديعة انتصر الإغريق :

Virg. Æn. II. 59...

(١٣٩) أنتيوس المارد (Antaeus) إبن نبتون والأرض ، لم يثر على الآلهة وقتله هرقل ولذلك فهو يتكلم دون قيود كما ورد فى الميتولوجيا اليونانية :

Luc. Phars. IV. 593—660.

(١٤٠) هذا دليل على حجم المـــارد الهائل .

(١٤١) هو وادى باجرادا (Bagrada) بقرب زاما فى شمال أفريقيا والمقصود بالوادى المحتوم أنه وقعت به أحداث خطيرة .

(١٤٢) انتصر شيبيون (Scipion) القائد الرومانى الملقب بالأفريقى على هانيبال (Annibale) ملك قرطاجنة فى وادى باجرادا وتسمى المعركة زاما وبذلك انتهت الحرب البونية الثانية فى ٢٠٢ ق . م .

وقد وضع هيندل (١٦٨٥ – ١٧٥٩) مؤلفاً موسيقياً عن شيبون :

Haendel, G. F. : Scipione, opera. London, 1726.

(١٤٣) أى لو أن أنتيوس انضم إلى إخوانه من المردة فى الثورة على الآلهة فربما كانوا ينتصرون على الآلهة .

(١٤٤) كوتشيتوس (Cocytus) هو نهاية نهر الجحيم الذى يتجمد فى الحلقة التاسعة .

(١٤٥) أى لوتشيفيرو (Lucifero) – إبليس .

(١٤٦) حاول بعض النقاد تحديد حجم لوتشيفيرو وجعل بعضهم طول ذراعه ٤١٠ متراً وطوله كله ١٢٣٠ متراً !

(١٤٧) يرى بعض النقاد أن المقصود بوجوه لوتشيفيرو الثلاثة مقابلة الأقانيم الإلهية الثلاثة عند المسيحيين .

(١٤٨) الوجه الأمامى ذو اللون الأحمر رمز الكراهية .

(١٤٩) الوجه الأيمن بين الأبيض والأصفر رمز العجز .

(١٥٠) الوجه الأيسر فى لون الإثيوبيين – حيث ينبع نهر النيل – رمز الجهالة عند دانتى .

وأشكر الزميلين الأستاذين الدكتور إبراهيم رزقانة والدكتور حمدى البكرى بجامعة القاهرة على ما تفضلا بإبدائه من بعض أوجه الرأى القيمة .

مكتبة البحث

أولا – مؤلفات دانتي :

(ا) في نصوصها :

Dante Alighieri : La Divina Commedia :

col commento di P. Fraticelli. Firenze, 1902.

nel testo della Società Dantesca Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.

con il commento di T. Casini rinnovata e accresciuta per cura di M. Barbi. Firenze, 1932.

commentata da L. Pietrobono. Torino, 1932.

testo critico a eura di M. Casella. Bologna, 1949.

col commento di G. A. Scartazzini rifatto da G. Vandelli. Milano, 1949.

commentata da A. Momigliano. Firenze, 1950.

presentazione di M. Appolonio, 6 voll. (ed. Fabri) Milano, 1965.

Le Opere di Dante Alighieri, a cura di E. Moore, nuovamente rivedute nel testo da P. Toynbce. Oxford, 1924.

Dante, Opere, a cura di Manfredi Porena e Mario Pazzaglia. Bologna, 1966.

Opere Minori. Firenze, 1935.

(ب) بعض ترجمات (إنجليزية وأمريكية) :

The Divine Comedy, trans. by H. F. Cary. Florence ?

The Divine Comedy, trans. J. B. Fletcher, with Botticelli Sketches. New York, 1931.

The Divine Comedy, trans. by M. Anderson. U.S.A. ?

The Divine Comedy, trans. by J. Carlyle, Ph. Wicksteed and Th. Okey. U.S.A., 1944.

The Divine Comedy, trans. by L. G. White. New York, 1948.

The Divine Comedy, trans. by J. D. Sinclair. London, 1948.

The Comedy of Dante Alighieri, Cantica I. Hell. trans. by D. L. Sayers. Edinburgh, 1949.

La Divina Commedia with an English trans. by H. M. Ayres. New York, 1949-1953.

The Inferno, trans. by J. Ciardi. New Brunswick, 1954.

The Divine Comedy of Dante Alighieri, English transtation by L. Biancolli, 2 vols. New York, 1966.

(ج) بعض ترجمات فرنسية :

La Divine Comédie, trad. par A. Pératé. Paris, 1921.

La Divine Comédie, trad. par H. Longnon. Paris, 1938.

La Divine Comédie, trad. par A. Brizeux. Paris 1943.

La Divine Comédie, trad. par A. Masseron. Paris, 1947-1950.

Dante, Œuveres Complètes, traduction et commentaires par A. Pézard (La Pléiade). Tours, 1965.

(د) ترجمات عربية :

الرحلة الدانتية فى الممالك الإلهية : الجحيم – المطهر – النعيم .
ترجمة عبود أبي راشد . طرابلس الغرب ، ١٩٣٠ – ١٩٣٣ .

جحيم دانتي : ترجمة أمين أبو شعر . القدس ، ١٩٣٨ .

كوميديا دانتي أليجييرى « الفلورنسى مولدا لا خلقا » :
النشيد الأول: الجحيم . ترجمة حسن عثمان . الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ . الطبعة الثانية المزيدة المنقحة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

ثانيا – بعض المراجع :

Dante, Essays in Commemoration. London, 1921.

De Sanctis, F. : Saggi Critici. Milano, 1921.

De Sanctis, F. : Storia della Latteratura Italiana. vol. I., Milano, 1934.

Gustarelli, A. : Dizionario Dantesco. Milano, 1946.

Hauvette, H. : Histoire de la Littérature Italienne. Paris, 1932.

Palhories, F. : Dante e La Divine Comédie. Paris, 1936.

Papini, G. : Dante Vivo. Firenze, 1943.

Papini, G. : Storia della Letteratura Italiana. vol. I. Milano, 1935.

Toynbee, P. : Dante Dictionary. Oxford, 1898.

Toynbee, P. : Dante Studies and Researches. London, 1902.

Tozer, H.E. : An English Commentary on Dante's Divina Commedia. Oxford, 1901.

Wilkins, E.H. : A History of Italian Literature. Cambridge. U.S.A., 1954.

Zingarelli, N. : La vita, I Tempi e le Opere di Dante. 2, voll. Milano, 1948.

حسن عثمان : فرنتشكا دا ريميني عند دانتي أليجييرى .
مجلة كلية الآداب بجامعة (القاهرة) مجلد ١١ ج ١ ، القاهرة ، مايو ١٩٤٩

حسن عثمان
Hassan Osman

الاستعمار البرتغالى فى أنجولا

(مرحلة الغزو) ١٤٨٢ - ١٨٣٦

The Portuguese Imperialism in Angola
The Period of Conquest
1482—1836

In the eve of 1482 the Portuguese navigator Diogo Cao discevered the mouth of the Congo river, erected a monument, and returned to portugal with four Captured Africans.

After 15 months he returned to the Congo coast with the captures and gifts for the king of the Congo. After giving these gifts he discovered the coast which is known now as Angola coast.

The king of the Congo asked the Portuguese king for technical and religious aids. The Portuguese took the chance and sent a small party of religious and trading men in 1490. This mission was the first start of Portuguese intervention in the affairs of the Congo kingdom, and led to the occupation of the land in latter years. The period from 1482—1836 was distinguished by the Portuguese armed intervention in Angola.

تقع أنجولا فى غرب افريقيا بين خطى عرض ٢٢ ٤° وخط ١٧ر٣° جنوبى خط الاستواء ، وبين خط طول ٤١ ١١° وخط طول ٥ ٢٤° شرقى جرينتش (١)٠ وتبلغ مساحتها حوالى ٤٨٠٠٠٠ ميل مربع ٠ وتتكون من قسمين منفصلين هما

(١) F. O. Hist. Sect. : Angola, N°. 120, P. 1 ; U. N. G. A. : Angola (Special Committee) A/A. C. 109/L. 451/Add I. 17 Apr. 1967, P. 2.

كابندا ، وتقع شمال نهر الكنغو ، وتبلغ مساحتها حـوالى ٣٠٠٠ ميل مربع ، ويحدها من الغرب المحيط الأطلنطى ، ومن الشمال والشرق والجنوب أفريقيا الاستوائية والكونجو كينشاسا • ويقع القسم الثـانى وهو القسـم الرئيسى جنوبى نهر الكونجو مباشرة ، ويحده من الشمال الكونجـو كينشـاسا ومن الشرق روديسيا الشمالية والكونجو كينشاسا ، ومن الجنـوب المنطقـة التى كانت معروفة باسم جنوب غرب أفريقيا الألمانية (١) •

وتعتبر مستعمرة أنجولا منطقـة انتقاليـة فيما يتعلق بالمنـاخ والنبـات والارتفاع • وتنقسم الى ثلاث مناطق جغرافيـة متميزة : الأولى منها أراضى ساحلية منخفضة يزيد اتساعها قليلا عن مائة ميل ، وتمتد من الحدود الجنوبية للمستعمرة الى قرب مصب نهر الكونجو فى الشمال وتلي المنطقـة السـاحلية هضبة منخفضة ضيقة يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠٠ و ٣٥٠٠ قدم فوق سطح البحر • أما المنطقة الثالثة فهى هضبة حقيقية تتكون من مجموعة من الهضاب يتراوح ارتفاعها بين ٤٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وتتجه الى الشرق •

ويخترق المستعمرة عدة أنهار مهمـة هى الكونجـو وكازاي والزمبيزى وكوانزا وكونين • ويعتبر نهر كوانزا من أكبر أنهار أنجـولا باستثنـاء نهـر الكونجو ، وهو مفتاح الطريق الى الأراضي الداخلية الواقعة شرقى لواندا فيما يختص بالتجارة والاستعمار البرتغاليين ، واتخذه البرتغاليون منذ القدم طريقا للتوسع البرتغالى فى الداخل ، وله أثر كبير فى تفضيل المنطقة الواقعة شماله ، وتركيز الجهود الأوروبية لاستغلال تلك المنطقة التى تضم مقاطعات جولونجو وكازينجا العليا • وتعتبر تلك المنطقة من أغنى منـاطق المستعمرة (٢) • ونهر كوانزا صالح للملاحة لمسافة ١٢٠ ميلا حتى مساقط كامبامبى يصبح بعدها غير صالح للملاحة • وقد استوطن كثير من البرتغاليين بجوار النهر أو على الهضبة على بعد قليل منه (٣) • أما نهر كونين فليس له أية قيمة كطريق مائى للوصول الى المنطقة الداخلية من أنجولا لسد الرمال لمصبه ، ولوجود مساقط مائية على

---

(١) F. O. Hist. Sect. : op. cit. P. 1.

(٢) Van Dongen, J. S. : Angola, (A. G. S.) Vol. II, N°. 2.

(٣) Whittlesey, D. S. : Geographic Provinces of Angola (G. R.) Vol. L, N°. 4, PP. 523—540.

بعد أميال قليلة من المصب (١) • وتصب أنها الكونجو وكوايزا وكونين فى المحيط الأطلنطى ، بينما يصب الزمبيزى فى المحيط الهنـدى • وتعتبر لواندا وبنجويلا من أهم موانى أنجولا وتقع على ساحل المحيط الأطلنطى (٢) •

ويمكن تقسيم مستعمرة أنجولا الى ستة أقسام رئيسية هى لواندا وحدود الكونجو وبنجويلا وموزاميدس والزمبيزى الأعلى وحدود صحراء كلهارى • وتقع أقسام لواندا وبنجويلا وموزاميدس على ساحل المحيط الأطلنطى ، وتمتد الى الداخل شرقا • أما المناطق الثلاث الأخرى فهى مناطق داخلية قليلة السكان ، ونشاطها الاقتصادى قليل باستثناء بعض الأماكن المنعزلة وهـذه المناطق غير مرغوبة عند الأوروبيين بسبب طقسها غير الصحى • ومنطقـة لواندا هى أول منطقة بدأ فيها النشاط البرتغالى بعد مملكة الكونجو ، وأرضـها الساحليـة منخفضة منعزلة وتربتها فقيرة فى العناصر الغذائية ، وتحصل لواندا على ما يلزمها من ماء عذب ومواد غذائية من الشمال ، وترتفع أراضيها تدريجيا ، ويمـكن الوصول الى الهضبة الواقعة شرقى لواندا بسهولة لتدرج ارتفاعها عن الهضاب الموجودة فى جنوب مستعمرة أنجولا (٣) • وقد نتج عن سهولة الوصول الى هضبة لواندا انتشار المستوطنات البرتغالية شرقى لواندا ، وأصبحت تمتد على بعد ١٨٠ ميلا من ميناء لواندا (٤) •

أما منطقة بنجويلا ـــ التى أطلق عليها لقب قلب مسـتعمرة أنجـولا لموقعها المتوسط وأهميتها كمنطقة سكنية ـــ فقد اعتقد البرتغاليون أن أراضيها الساحلية المنخفضة غير صحية فى أثناء قرون عديدة على الرغم من أنها تفضل منطقة لوايدا الساحلية • وتربة منطقة بنجويلا خصبة ، وتفضل تربة منطقة موزاميـدس ،

---

(١) Houk, R. J.: Recent developments in the Portuguese Congo (G. R.) Vol, XLVIII, N°. 2, ,PP. 201—221, Wittlesey, D. S.: op. cit. vol. XIV, N°. 1, P. 125.

(٢) Da Cruz, J. R.: Geographia de Angola, P. 49.

(٣) Whittlesey, D. S.: op. cit. PP. 122—126.

(٤) انشئت مستوطنة بونجو أندنجو فى سنة ١٦٧١ ، وتعتبر أبعد مستوطنة أوروبية فى داخل مستعمرة أنجولا ، وبقيت مدينة حدود ومركزا عسكريا برتغاليا لأكثر من قرن من الزمان رغم وصول التجار الأوروبيين الى أسـواق كاسانجى التجارية التى تقع شرق بونجو اندنجو .

والوصول الى الهضبة الواقعة وراء بنجويلا من الساحل صعب بسبب وعورتها ووجود أعلى جبال المستعمرة البالغ ارتفاعها ٨٠٠٠ قدم فى تلك المنطقة • وجو الهضبة الواقعة وراء بنجويلا صحى ومناسب لاستيطان البيض ، ويشبه فى ذلك جو الهضاب الواقعة فى جنوب مستعمرة أنجولا • وعلى الرغم من مشابهة جو تلك الهضبة لجو البرتغال الا أنه لم تحدث محاولة جماعية أوروبية للاستفادة منها حتى منتصف القرن الثامن عشر ، ويرجع ذلك الى صلاحية نهر كوانزا فى الشمال للملاحة مما حول انتباه المستعمرين البرتغاليين الى استغلال المنطقة الشمالية من المستعمرة • ومن العوامل التى ساعدت على تحويل أنظار البرتغاليين من البداية عن استعمار هضبة بنجويلا صعوبة المواصلات الداخلية على الهضبة التى يخترقها عدد كبير من المجارى المائية التى لا يمكن عبورها فى فصل الأمطار (١) •

وتقع منطقة موزاميدس على الساحل جنوبى بنجويلا ، وهى آخر منطقة أنشئت فيها مستوطنات أوروبية • والمنطقة الساحلية جافة وترتفع الهضبة ارتفاعا حادا فى اتجاه الشرق ، والوصول اليها صعب لوجود سلسلة جبال شيلا التى تعتبر العقبة الرئيسية بين الساحل والأراضى الداخلية • ويندر سقوط المطر فى المنطقة الساحلية • وتعتبر المنطقة الداخلية فى موزاميدس من أجف المناطق ، وأغلب المنطقة الواقعة شرق وجنوب موزاميدس جافة جدا ولا يمكن للأوروبيين الانتفاع بها بدون مشروعات رى كبرى • ولا يوجد بجبال شيللا سوى ممرات قليلة صالحة للمرور من الساحل الى الهضبة (٢) •

ومنطقة حدود صحراء كلهارى عديمة القيمة الاقتصادية بصفة عامة وتمتد فى اتجاه جنوب غرب أفريقيا • أما منطقة حدود الكونجو التى دخلها البرتغاليون فى أواخر القرن الخامس عشر وكان جوها ومصادر ثروتها مثبطا لهمم المستعمرين ، فهى تحتوى على غابة كثيفة وأرضها منخفضة وجوها غير صالح لسكنى الأوروبيين (٣) •

(١) Whittlesey, D. S.: op. cit., PP. 117—119.

(٢) Houk, R. J.: op. cit. PP. 201—221, Whittlesey, D. S.: op. cit. P. 125.

(٣) Houk, R. J.: op. cit., PP. 201—221, Whittlesey, D. S.: op. cit. P. 125.

وتقع عاصمتها ساو سلفادور على هضبة منخفضة فى موقع منعزل نسبيا ، وتبعد حوالى ١٠٠ ميل عن أقرب نقطة لنهر الكونجو وحوالى مائتى ميل عن الساحل الغربى لأفريقيا • وقد ثبت أن جو وموقع المنطقة غير مفيد لتقدمها الاقتصادى ، ولهذا حلت لواندا التى أنشئت فى سنة ١٥٧٥ محل ساو سلفادور كمكان مركزى للنشاط والتوسع البرتغالى فى الداخل • وتوجد منطقة كابندا شمالى نهر الكونجو وهى جزء من مقاطعة الكونجو ، وجوها غير صحى بالنسبة للأوروبيين ، ويوجد على ساحلها عدد قليل من الموانى الصالحة ، وأراضيها الداخلية غابات استوائية مطيره تبلغ نسبة البخار بها ٨٨٫٤٪ (١) •

وتقع منطقة الزمبيزى الأعلى فى شرق مستعمرة أنجولا ، وهى عباره عن جزء من منطقة وسط افريقيا ، وتمثل خط تقسيم المياه بين نهرى الزمبيزى الأعلى ونهر كازاى ، وأغلبها هضبة صحراوية تنحدر فى اتجاه الشرق الى منطقة أحواض المستنقعات الموبوءة بمرض الملاريا • وتنتشر فى المنطقة ذبابة التسى تسى التى تسبب مرض النوم • ويوجد بالمنطقة عدد من لأنهار تفيض مياهها أغلب أيام السنة مما يجعل عملية انشاء الطرق والكبارى صعبة جدا (٢) •

ويمكن تمييز فصلين جويين فى أنجولا هما فصل المطر الذى يبدأ فى شهر سبتمبر ويستمر حتى أوائل مايو ، وفصل الجفاف أو الضباب ويبدأ من أوائل شهر مايو ويستمر حتى أواخر شهر أغسطس • وقد أطلق عليه اسم فصل الضباب لانتشار الضباب بكثره كل صباح ، ويعتبر شهرا مايو وسبتمبر انتقاليان فى أنجولا (٣) • وتنتشر الأمراض التى تصيب الغنم بالمستوطنات الأوروبية فى فصل المطر • ونظرا لقصر فصل الجفاف الصالح للمواصلات فان الحملات العسكرية البرتغالية الى المنطقة الداخلية من أنجولا أصبحت مقيدة به ، كما أدى الى عدم استيطان الأوروبيين فى الأراضى الداخلية بعيدا عن الساحل (٤) • وكان للجو أثره على الاستيطان البرتغالى فى أنجولا اذ أن المستعمرين البرتغاليين لما وجدوا

---

(١) da Cruz, R. : op. cit. P. 62.

(٢) da Cruz, R. : Ibid. P. 76.

(٣) da Cruz, R. : Ibid. P. 76.

(٤) Wittlesey, D. S. : op. cit. P. 115.

منطقة مملكة الكونجو والأراضى الساحلية رطبة غير صالحة لسكناهم بحثوا عن المناطق المرتفعة ذات الجو البارد ، وركزوا جهودهم فى المنطقة المحيطة بلواندا (١) .

وكان الجو هو شغل البرتغاليين الشاغل واعتبروه عدوهم الأكبر ، وقد نتج عن عدم ملاءمة الجو موت الكثير منهم ، وأصبح الذين استطاعوا التغلب عليه فى حالة يرثى لها . وقد كتب مؤلف مجهول فى القرن السابع عشر يصف جو أنجولا وتأثيره على صحة البرتغاليين فقال أنه « ينظر الينا من عليائه بوحشية ، ويشن علينا حربا دموية يشترك فيها مع وعورة الأرض وشدة الوباء. وتؤدى الحرارة الشديدة الى انتشار الحمى الخبيثة التى تصيب الانسان مدة تتراوح بين ثلاثة وسبعة أيام ، وتقضى عليه ، وتؤدى الى دفن أكثر الناس قوة وتحملا تحت سطح الأرض (٢) ، وتنتشر حمى الملاريا فى أغلب مقاطعات الكونجو وتتركز فى السهل الساحلى المحصور بين نهرى الكونجو وكوانزا ، وفى أغلب أودية الأنهار الواقعة فى شمال المستعمرة كما تظهر حمى الملاريا فى المناطق المرتفعة فى الفترات التى تهطل فيها الأمطار بشدة . وينتشر مرض النوم فى المنطقة الواقعة شمالى خط عرض ١٢° جنوبى خط الاستواء (٣) .

كان الملاح البرتغالى ديوجو كاو أول من وصل الى نهر الكونجو فى أواخر سنة ١٤٨٢ أو أوائل سنة ١٤٨٣ فنزل الى الساحل بالقرب من مصب النهر ، وأقام أول نصب تذكارى حجرى يحمل فى أعلاه أسلحة برتغالية ونقش عليه الشعار البرتغالى بناء على تعليمات جاو الثانى ملك البرتغال الذى أمر بوضع نصب تذكارية فى المناطق التى يكتشفها البرتغاليون . وبذلك العمل أصبحت المنطقة تعرف باسم رأس بادرو أو رأس بادرون نسبة الى النصب التذكارى ثم أبحر كاو فى نهر الكونجو حتى وصل الى المساقط المائية التى تعترض مجرى النهر وتقع على بعد ١١٥ ميلا من مصب النهر ، ويؤيد ذلك وجود نقش

(١) Cadornega, A. O.: Historia das Guerras Angolanas, Vol. III, P. 383.

(٢) F. O. Hist. Sect.: op. cit. P. 13, Duffy, J.: Portugal in Africa, PP. 38—39, Prestage, E.: The Portuguese Pieneers, PP. 206—208, Ckilcote, R. H.: Portuese in Africa, P. 62.

(٣) Simmons, J. S.: Global Epidomiology, vol II, PP. 324—334.

محفور على صخرة مرتفعة عن الماء فى المنطقة يسجل تلك الحقيقة • وقد عمد كاو الى انشاء علاقات صداقة مع الزعماء الوطنيين وترك أربعة من رجاله بالمنطقة ، وزودهم بالهدايا لتقديمها لملك الكونجو ثم تابع رحلته جنوبا متتبعا الساحل الافريقى حتى المنطقة الجرداء • ولما عاد « كاو » من رحلته علم باحتجاز رجاله الأربعة فى بلاط ملك الكنغو فأسر فى مقابلهم أربعة من الافريقيين لضمان سلامتهم ، ووعد الزعيم الافريقى المحلى بالعودة بهم سالمين بعد خمسة عشر شهرا • وقد أعتبر ملك البرتغال ورجال حاشيته عمل كاو هذا من أبرع الأعمال الدبلوماسية (١) •

ولما كان « جاو الثانى » ومستشاروه يعتقدون أن قيام تحالف بين البرتغال ومملكة الكنغو سيكون فرصة ذهبية يستفيد منها البرتغاليون فى محاولة اختراق القارة الافريقية والبحث عن مملكة القس يوحنا فقد عملوا من جانبهم على اظهار ما يؤثر فى الافريقيين الأربعة واظهار الفائدة التى قد يجنونها من غنى وقوة البرتغال ، وبالتالى تحولهم الى رسل لنشر نوايا البرتغال الطيبة • وكان الافريقيون الأربعة ذوى فائدة كبيرة فى ابلاغ النوايا البرتغالية الطيبة لملكهم ، والفوائد التى يمكن لمواطنيهم الحصول عليها من صداقة الأوربيين ، وقد قاموا بذلك العمل أحسن من أى سفير برتغالى (٢) •

حافظ كاو على وعده ورجع الى ساحل الكنغو فى أواخر سنة ١٤٨٤ أو أوائل سنة ١٤٨٥ • وكانت عودته أكثر نجاحا من أى رحلة كشفية سابقة • وكان يحمل معه هدايا قيمة لملك الكنغو ، والرسائل التقليدية التى يعلن فيها البرتغاليون أملهم فى اعتناق ملك الكنغو الديانة المسيحية ، ثم تابع رحلته الساحلية جنوبا حتى وصل الى خط عرض ٢٢° جنوبى خط الاستواء • وعلى هذا يكون « كاو » قد اكتشف كل ساحل أنجولا الواقع بين مصب نهر كونين وخط عرض ١٧° جنوبى خط الاستواء • وقد استجاب ملك الكنغو لرسالة ملك البرتغال وأرسل مجموعة صغيرة من أتباعه الى البرتغال لتلقى العلوم الأوروبية ، وطلب من الملك جاو ارسال المبشرين والبنائين والتجار البرتغاليين

---

(١) Duffy, J. : op. cit. P. 39, Chilcote, R. H. : op. cit. P. 62.

(٢) Duffy, J. : op cit. p. 39, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 26.

لتعليم الكنغو الديانة المسيحية ، والحضارة الأوروبية ، وطرق التجارة الحديثة . ولم يتوان ملك البرتغال فى تلبية تلك الرغبة ، وأرسل أسطولا من ثلاث سفن وصل الى نهر الكنغو فى سنة ١٤٩٠ يحمل القسس والعمال الفنيين والآلات وبعض المعدات الدينية . وكان هدف الحملة سلميا لتحويل الوطنيين الى الديانة المسيحية ، وعقد تحالف مع ملك الكنغو . وكانت النتائج الأولى مبشرة بالخير اذ اعتنق ملك الكنغو وابنه أفونسو ونبلاء البلاط الديانة المسيحية وبدء القسس والفنيون البرتغاليون فى عملهم التعليمى فى مبانزا عاصمة الكنغو (١) .

وتعتبر الفترة من سنة ١٤٩٢ حتى اعتلاء أفونسو عرش أبيه فى سنة ١٥٠٦ من الفترات الغامضة فى تاريخ مملكة الكنغو ، ولا يعرف من حوادثها الا القليل ، ويظهر أن البرتغال لم ترسل الرجال والامدادات باتنظام ، وبمضى الزمن ارتد ملك الكنغو العجوز الى ديانة وتقاليد شعبه ، ووقف ضد رغبات القسس الذين بقوا فى مملكته . وعلى هذا فقد واجه عفونسو عند اعتلاء عرش الكنغو معارضة شديدة من النبلاء الذين اشتغلوا بتجارة الرقيق مع جزيرة ساو تومى ، وأحاطت به الدسائس التى أخذ يحيكها سكان ساو تومى منذ بداية حكمه . وقد حول سكان ساو تومى مملكة الكنغو الى مستعمرة تجارية وسياسية للجزيرة وكرسوا كل جهودهم للحصول على الرقيق من الكنغو . وحتى البعثة التبشيرية التى أرسلتها البرتغال للعمل فى الكنغو فى سنة ١٥٠٥ لم يستطع مقاومة تجارة الرقيق ، وانغمس من بقى من أفرادها حيا فى تجارة الرقيق . وقد اشتكى أفونسو من خلاعة وفجور هؤلاء القسس ، ومن عمليات السلب والنهب التى يمارسها سكان جزيرة ساو تومى ببلاد الكنغو (٢) .

استجاب ملك البرتغال لصرخات أفونسو ، وتحرك فى سنة ١٥١٢ لحل أزمة الكنغو فبعث سيماو دا سيلكا بوثيقة غير عادية أطلق عليها اسم التنظيمات وتعتبر احدى العلامات البارزة فى سياسة البرتغال الاستعمارية . وتتكون تلك

---

(١) F. O. Hist. Sect. : op. cit. p. 14, Duffy, J. : op. cit. pp. 39—40, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 62.

(٢) Chilcote, R. H. : Ibid. pp. 62—63, Duffy, J. : op. cit. pp. 40—41.

التنظيمات من أربعة أقسام رئيسية : القسم الأول منها يتعلق بالمساعدات والارشادات التى سيقدمها المبعوث البرتغالى لتنظيم مملكة الكنغو ، وانشاء محكمة برتغالية فى مبانزا ، والقسم الثانى قصد به ضمان نجاح البعثة ، وازالة الأضرار التى حدثت فى الفترة السابقة ، واعادة تنظيم البيت التجارى البرتغالى فى الكنغو • ويختص القسمان الآخران من التنظيمات بالشئون الاقتصادية والجغرافية • وفى الواقع كانت التنظيمات البرتغالية تهدف الى تحويل مملكة الكنغو الى محمية برتغالية يعتمد على النصح والارشاد البرتغالى ، وتحقيق رغبات ملك البرتغال فى حدوث اندماج تدريجى للشعب الافريقى فى الشعب البرتغالى • وكان تنفيذ ذلك النظام يحتاج الى مقدرة أكبر من مقدرة البرتغال (١) •

أصبحت جزيرة ساو تومى أهم ميناء لتجارة الرقيق فى غرب افريقيا ، وتولى التاج البرتغالى حكمها فى سنة ١٥٢٢ • وقد بعث الملك أفونسو بخطابات ورسل الى لشبونة يلتمس عبثا ارسال معلمين وقسس لحماية بلاده من تجار ساو تومى الذين لا يمكن الاعتماد عليهم ورجا فى أحد خطاباته ملك البرتغال عدم تركه بدون حماية أو السماح بالقضاء على المسيحية فى بلاد الكنغو ، وأعلن عدم استطاعته عمل شىء بمفرده ، ولكن خطاباته وتوسلاته كان مصيرها الاهمال ، وكان أكثرها يحول الى جزيرة ساو تومى ، وأصبحت بلاد الكنغو فى منتصف العقد الثالث من القرن السادس عشر فى حالة غليان شديد • وأدت تجارة الرقيق التى استمرت فترة خمسة وعشرين عاما الى تحويل مناطق بأكملها الى مناطق شبه خالية من السكان ، وتقلصت سلطة الملك أفونسو من البلاد (٢) •

وقد ضم من بقى من الموظفين البرتغاليين فى الكنغو صوتهم الى صوت الملك أفونسو ، وناشدوا ملك البرتغال مد يد المساعدة لمملكة الكنغو ، وأقسموا له أن متاعب السكان الكنغوليين ترجع أساسا الى أنانية وجشع التجار البرتغاليين ، وطلبوا استبدال جميع الموظفين المدنيين بالكنغو ، ووضع

---

(١) Duffy, J. : Ibid. pp. 41—42, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 63.

(٢) Duffy, J. : op. cit. p. 42.

تجارة الرقيق بالمنطقة تحت اشراف ملك البرتغال المباشر • ولم تجد تلك الالتماسات أذنا صاغية فى البرتغال ، وتحولت الكنغو فى الفترة الأخيرة من حكم الملك أفونسو الى ما يشبه الفوضى ، وانتشر فيها الفساد ، ويئس أفونسو من مساعدة البرتغال ، واستغل البرتغاليون الفرصة وتدخلوا فيما لا يعنيهم ، وأثاروا الفتن ووضعوا الخطط للاستيلاء على السلطة فى البلاد • ولم يكن عدد البرتغاليين فى الكنغو يزيد فى تلك الفترة عن مائتى رجل ، ورغم قلة عددهم الا أنهم كانوا يتمتعون بنفوذ كبير يفوق عددهم بمراحل • وأصبح أولادهم من النساء الافريقيات حلقة الوصل بينهم وبين الكنغوليين ووكلاء لهم فى تجارة الرقيق ، وارتكبوا من الفظائع ما جعلهم مسئولين مثل آبائهم عن الغليان المستمر فى مملكة الكنغو (١) •

وبوفاة الملك أفونسو الأول فى أوائل العقد الرابع من القرن السادس عشر انتهى آخر أمل فى نجاح تجربة البرتغال فى الكنغو ، وانفجر الحقد الوطنى الذى تراكم فى صدور الأهالى فى شكل ثورة عارمة انتهت باتتصار ديوجو ابن أخت الملك على بيدرو ابن أفونسو واستمرت مملكة الكنغو فى الانحدار كما استمرت تجارة الرقيق بدون رادع • وبوصول أول بعثة يسوعية تتكون من ثلاث قسس ومدرس علمانى فى سنة ١٥٤٨ حدثت فترة بسيطة من الاستقرار والنظام فى الكنغو ، ونشط أعضاء تلك البعثة وعمدوا ألفين ومائة من الكنغوليين فى مدة أربعة أشهر ، وبنوا ثلاث كنائس جديدة أطلقوا على أحداها اسم كنيسة المنقذ Saviour ، ومن هذا الاسم حصلت مبانزا على اسمها الجديد ساو سلفادور ـ أى القديس المنقذ • ولم يستمر نجاح المبشرين ، ووقعوا فى الأخطاء التى وقع فيها من سبقهم من المبشرين فتآمروا ضد ملك الكنغو ، وانغمسوا فى تجارة الرقيق ، وخلقوا العداء لأنفسهم فى كل مكان ، واضطر من بقى منهم الى مغادرة الكنغو فى سنة ١٥٥٢ يجرون أذيال الفشل ووصلت بعثة يسوعية أخرى فى سنة ١٥٥٣ منيت بالفشل مثل سابقتها (٢) •

(١) Duffy, J. : Ibid. pp. 42—43.

(٢) Duffy, J. : Ibid. p. 43, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 63.

واذا كان ديوجو قد وصل على عرش الكنغو فى حمامات من الدم فان موته كذلك جعل الدماء تسيل بغزارة مرة أخرى ، وقامت حرب أهلية اشترك فيها الافريقيون والأوروبيون بدون تمييز • وبانتهاء فترة العنف تمتعت الكنغو مرة أخرى بفترة سلام فى العقد السادس من القرن السادس عشر ، ولم تكن الفترة سوى السكون الذى يسبق العاصفة فقد اجتاحت قبائل الجاجا Jaga المتوحشة بالاشتراك مع قبائل أنزيكو Anzico مملكة الكنغو فى سنة ١٥٦٨ ، واضطر بلاط ملك الكنغو والجالية البرتغالية الى الالتجاء الى جزيرة فى وسط نهر الكنغو طلبا للأمن والسلامة ، والتمسوا من ملك البرتغال تقديم يد المساعدة لهم • واستجاب ملك البرتغال لطلبهم وأرسل فى سنة ١٥٧٠ فصيلة من الجنود البرتغاليين يقدر عددها بستمائة جندى طردت الغزاة من مملكة الكنغو وأعادت ملك الكنغو الى عاصمة ملكه • واعترافا بذلك الجميل اعترف الفارو ملك الكنغو رسميا بتبعيته لملك البرتغال ، وتعهد بارسال جزية سنوية الى لشبونة • وقد اختفت أكثر مظاهر الحياة البرتغالية من الكنغو فى سنة ١٦١٥ ، وتوفى أو هرب أو اندمج من بقى من المستوطنين البرتغاليين فى البلاد • وقد اشتكى الأسقف مانويل بابتيستا M. Baptista أسقف الكنغو من التضحيات التى يقدمها الآباء البيض دون جدوى فى جو غير صحى وبين شعب يختلف عنهم فى العقيدة والعادات (١) •

أبحر ديوجو كاو فى رحلته الثانية جنوبا على ساحل أنجولا ، وترتب على تلك الرحلة زيارة تجار جزيرة ساو تومى لجزيرة لواندا مرات عديدة فى أوائل القرن السادس عشر • وقد طلب ملك أنجولا فى سنة ١٥١٩ من ملك البرتغال ارسال بعثة من التجار والقسس الى أنجولا كما حدث فى الكنغو ، وأرسل مع الطلب عينة من الفضة الموجودة فى مناجم بلاده • ولما كان البرتغاليون يرغبون فى الحصول على الفضة فقد أرسلوا بعثة صغيرة الى أنجولا • ولم تنجح البعثة فى تنفيذ شىء من التنظيمات البرتغالية ، وانتهى الأمر باهمال المصالح البرتغالية فى أنجولا مدة أربعين سنة ، ولم يكن لتلك البعثة من أثر سوى تحويل تجارة الرقيق وما يصحبها من مشاكل من مملكة الكنغو الى مملكة أنجولا • وحدثت

---

(١) F. O. Hist. Sect. : op. cit. pp.15—16, Duffy, J. : op. cit. pp. 43—44, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 63.

فى سنة ١٥٥٦ حروب بين جيش الكنغو المؤيد بالبرتغاليين وبين القوات الأنجولية (١) • وقد احتج ملك أنجولا على مساعدة البرتغاليين لجيش الكنغو، وأرسلت الحكومة البرتغالية « باولو دياز دى نوفاس » الى أنجولا فى سنة ١٥٥٩ لتقصى الحقائق • وقد وجد « دياز » آثارا للمسيحية بين سكان بونجو ندنجو عاصمة أنجولا الواقعة على نهر كوانزا (٢) • ولم يسمح الأنجوليون لدياز بالعودة الى البرتغال قبل خمسة أعوام، ومنحوه عددا من الرقيق وكمية من النحاس والعاج (٣) •

عاد باولو دياز دى نوفاس الى لشبونة فى سنة ١٥٦٥، وأقنع ملك البرتغال بمنحه امتياز لاستغلال منطقة أنجولا • وبمساعدة الآباء اليسوعيين حصل فى سنة ١٥٧١ على الامتياز المطلوب مدى الحياة، ومنحه الملك لقب مالك وسيد الأرض • وكان على باولو فى نظير ذلك الامتياز تكوين جيش من أربعمائة جندى لحماية منطقة امتيازه، وتوطين مائة أسرة برتغالية يتكون كل منها من زوجين وتزويدهم بالحبوب والآلات اللازمة، واكتشاف مناجم الفضة التى قيل أنها موجودة فى كامبامبى والسيطرة عليها، وبناء ثلاث قلاع فى المنطقة الواقعة بين نهرى داندى وكوانزا، واستغلال تجارة الرقيق لحساب التاج البرتغالى • وكان انشاء مدينة لواندا وعدد من القلاع على طول نهر كوانزا هو العمل الوحيد المهم الذى أنجزه باولو فى فترة حكمه التى بدأت فى سنة ١٥٧٥ وانتهت بوفاته فى سنة ١٥٨٩ (٤) • وقد فشل باولو فى تنفيذ شروط امتيازه ولم يستطع توطين العدد المقرر فى المدة المحددة بست سنوات لعدم ملائمة الجو لاقامة البرتغاليين، وشدة عداء الوطنيين للتدخل البرتغالى • وكان باولو من الجرأة

(١) Duffy, J. : op. cit. pp. 48—49.

(٢) F. O. Hist. Sect. : op. cit. p. 15.

(٣) Duffy, J. : op. cit. p. 50, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 66.

(٤) Delgado R. : Historia de Angola, Vol. 1, pp. 258—262.

بحيث استطاع الوصول الى الأراضي الداخلية في أنجولا ، وأبحر في نهر كوانزا ، ووضع أسس الاستعمار البرتغالي لأنجولا ببناء ست قلاع عسكرية تمتد من ساحل لواندا الى الداخل في الاتجاه الجنوبي الشرقي على نهري كوانزا ولوكالا أو بالقرب منهما (١) .

اهتز السلام غير المستقر في أنجولا في سنة ١٥٧٨ عندما قبض زعيم مبوندو على فصيلة من الجنود البرتغاليين ، وقتل عشرين من أفرادها ، ولم يطلق سراح الباقين وعددهم ستين جنديا الا بعد الحصول على الفدية . ولما علم ملك أنجولا بتقدم باولو دياز في سنة ١٥٧٩ لمعاقبته أعدم التجار البرتغاليين الموجودين في بلاطه وصادر ممتلكاتهم ، ثم هاجم باولو في قلعة أنزيلي الواقعة على بعد ثلاثين ميلا من لواندا وأجبره على التراجع الى لواندا طلبا للامدادات . وقد تحرك باولو في سنة ١٥٨٠ بجيش مكون من ثلثمائة جندي وهاجم الممالك المستقلة في منطقة كيساما وأغار على قراها ، وجمع الافريقيين للعمل في قوات زنوج الحرب المساعدة Guerra Preta ، ثم تقدم الى ماسنجانو الواقعة عند التقاء نهري لوكالا وكوانزا وهزم الملك نجولا ، وبنى قلعة برتغالية في المنطقة . ولم يبذل باولو منذ ذلك التاريخ حتى وفاته أي جهد سوى محاولة الاحتفاظ بقلعة ماسنجانو (٢) .

وقد تميزت السنوات العشر الأولى من حكم باولو دياز في أنجولا بالتحول الى سياسة الفتح العسكري وكانت نتائجها مثبطة للعزم ، كما تميزت فترة حكمه بالفوضى ، وبلغت خسائر البرتغاليين حوالي ألفي فرد توفوا نتيجة اصابتهم بالأمراض أو بأيدي الأنجوليين ، وازدهرت تجارة الرقيق في عهده ، وأصبح يطلق على مستعمرة أنجولا اسم الدولة السوداء الأم . وبلغ عدد الرقيق المصدر من أنجولا في المدة ما بين سنتي ١٥٧٥ ، ١٥٨٧ حوالي ٢٥٠٠ سنويا ثم تضاعف ذلك العدد ثلاث مرات في الأعوام الأربعة التالية . ولا يشمل ذلك العدد الرقيق المهرب من الموانى والمراسي التي لا تخضع للاشراف

---

(١) Nogueira, J. A.: Governo de Sousa Coutinho, pp. 20—26.

(٢) Chilcote, R. H.: op. cit. pp. 66—67.

البرتغالى (١) • واذا كان التوسع العسكرى البرتغالى فى أنجولا قد نجح فى عهد باولو دياز الا أن الاستيطان المدنى أو توطين المزارعين الأوروبيين بأعداد كافية لم يكن ناجحا • واستمر الاستعمار البرتغالى يعتمد على نظام القلاع العسكرية قرونا عديدة •

وبموت باولو دياز دى نوفاس آل امتياز الأرض الممنوحة له وما قام بفتحه من أراض فى أنجولا للتاج البرتغالى ، وأطلق البرتغاليون على المستعمرة اسم مملكة وكابتنية أنجولا العامة (٢) وتميزت الفترة التالية لحكم باولو بمحاولات البرتغاليين المستمرة لتثبيت النظام الاستعمارى وحاول خليفته الوصول الى مناجم الفضة ولكنه توفى أثناء تلك المحاولة • وقد أعد المحامى دومنجو أبريو بريتو تقريرا مفصلا رفعه للبلاط الملكى البرتغالى فى ١٥٩٠ طلب فيه اقامة حكم استعمارى برتغالى فى أنجولا يعتمد على القوة العسكرية ، وبناء اثنتى عشرة قلعة ، وانشاء طريق برى يصل بين أنجولا وموزمبيق (الساحلين الشرقى والغربى لافريقية) وسيطرة التاج البرتغالى على تجارة الرقيق ، وترك الحرية للأفراد البرتغاليين لاستغلال المناجم ، واحتكار التاج لتجارة السلع ، وانشاء مصنع تجارى فى بنجويلا • وقد بقى ذلك التقرير مصدرا أساسيا للاصلاحات التى حاول البرتغاليون انجازها فى أنجولا فى القرون الثلاث التالية (٣) •

أدى التدخل البرتغالى فى المنطقة الداخلية من أنجولا الى توحيد القوى الوطنية لمقاومة التدخل البرتغالى تحت قيادة مملكة ندنجو التى تحالفت مع ممالك الكنغو ومتامبا وكاسانجى ودول كيساما • وأيدت قبائل أمبانجالا الموجودة شرقى نهر كازاى الملك نجولا • وقد هاجم الحلفاء فى ديسمبر سنة ١٥٩٠ حملة برتغالية وأجبروها على التراجع الى مسانجانو بعد أن منيت بخسائر فادحة فى الأرواح • وأدت الانتصارات المتتالية للحلفاء الى حصر النشاط البرتغالى فى الأراضى الساحلية المنخفضة ، وأصبحوا غير قادرين على اختراق الهضبة الوسطى • وكانت سيطرة البرتغاليين على الرقعة الضيقة من

---

(١) Duffy, J. : op. cit. p. 50, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 67.

(٢) Delgado, R. : op. cit. pp. 323—325.

(٣) Chilcote, R. H. : op. cit. p. 67, Duffy, J. : op. cit. p. 51.

الأرض الممتدة بين لواندا والقلعة البرتغالية فى مسانجانو ضعيفة بسبب عدم اعتمادهم على الزعماء الوطنيين الذين أعلنوا ولاءهم للبرتغاليين (١) .

نتج عن الحروب الوطنية البرتغالية خسائر كبيرة فى الأرواح بين الوطنيين وانخفض الانتاج الزراعى ، وانتشر السخط بين قبائل الجاجا المقيمة فى المنطقة الداخلية من مملكة ماتامبا ، وهاجر عدد كبير منهم الى جنوب بنجويلا بحثا عن الرقيق لبيعه للبرتغاليين ، وانتظم عدد كبير منهم فى الجيش البرتغالى ، كما تفككت مملكة الكنغو ، واستقل بعض مقاطعاتها وخاصة مقاطعة سويو Soyo التى تتحكم فى تجارة نهر الكنغو لوجود ميناء ميندو ضمن ممتلكاتها ، وانضم شعب مملكة دمنو الى البرتغاليين وخرج زعماء ليبولا ولوكالا من التحالف الافريقى مما أدى الى تفككه فى سنة ١٦٠٠ . واذا كان قيام التحالف الافريقى قد أدى الى وقوف التقدم البرتغالى فقد أدى سقوطه الى تسهيل عمليات الغزو البرتغالى (٢) .

وبتفكك التحالف الافريقى نجح البرتغاليون فى الوصول الى مناجم الفضة فى كامبامبى فى المدة الواقعة بين سنتى ١٦٠٢ و ١٦٠٥ . ويعتبر التقدم الى كامبامبى بداية الفترة الثالثة من الحروب الأنجولية . وفى تلك الفترة استطاع البرتغاليون اختراق الأراضى الدخلية بنجاح والقضاء على مملكة ندنجو وتحطيمها . وتم اخضاع زعماء كيساما الثائرين فى سنة ١٦٠٣ ، وبعد ذلك بفترة قصيرة تم القبض على الملك نجولا واعدامه . واستمر البرتغاليون فى تقدمهم وخاضوا معارك حربية ناجحة فى سنتى ١٦١٦ و ١٦١٧ واستولوا على عاصمة ندنجو فى سنة ١٦٢٠ ، وأجبروا الملك الجديد على الالتجاء الى احدى جزر نهر كوانزا ، واستغلوا السنوات الثلاث التالية فى تجارة الرقيق ، وأخلوا مناطق واسعة من ندنجو من سكانها وخربوا المملكة (٣) .

وتبدأ الفترة الرابعة من حروب أنجولا فى سنة ١٦٢١ عندما توجهت « نزنجا مباندى » أخت الملك نجولا مباندى الى لواندا سفيرة لأخيها وناقشت

---

(١) Chilcote, R. H. : op. cit. pp. 67—68.

(٢) Chilcote, R. H. : Ibid, p. 68.

(٣) Chilcote, R. H. : Ibid, p. 68.

مع البرتغاليين بنود معاهدة سلام اعترف فيها البرتغاليون باستقلال مملكة ندنجو ، وتعهدوا بمساعدة الملك نجولا على طرد قبائل أمبانجالا المشاغبين من بلاده • وبوفاة الملك نجولا مباندى فى سنة ١٦٢٤ خلفته أخته على عرش ندنجو وارتدت المسيحية التى اعتنقتها فى سنة ١٦٢١ • ولما كان البرتغاليون يرغبون فى طرد الملكة نزنجا من المملكة فقد اختاروا ملكا جديدا هو « آرى كيلوانجى » ليحل محل الملك الراحل مما أدى الى تجدد الحروب من جديد مع الملكة نزنجا التى جمعت أتباعها واشتبكت فى قتال مع البرتغاليين وعلى رغم هزيمتها فى أول موقعة وانسحابها الى جزر نهر كوانزا الا أنها استمرت فى مهاجمة البرتغاليين وكونت حلفا آخر هزمه البرتغاليون فى سنة ١٦٣٠ • ولم تفت تلك الهزيمة فى عزيمة الأنجوليين فكونوا حلفا آخر فى سنة ١٦٣٥ يضم ندنجو وماتامبا وكاسنجى ودمبو وكيساما •

ويمثل ظهور مملكتى كاسانجى وماتامبا القويتين فى العقد الرابع من القرن السابع عشر تحولا مهما فى ميزان القوى فى مستعمرة أنجولا • وقد أدت الحروب المستمرة الى هجرة عدد كبير من سكان أمبانجالا الى المناطق الداخلية البعيدة عن متناول الهجوم البرتغالى ، واستطاع هؤلاء السكان بمساعدة كاسانجى بناء دولة جديدة سيطرت فى نهاية القرن السابع عشر على تجارة الرقيق فى منطقة وسط غرب أفريقيا • وفى نفس الوقت هجر شعب موندو بقيادة الملكة نزنجا أراضى ندنجو وتحركوا فى اتجاه الشمال الشرقى وتغلبوا على مملكة ماتامبا • وقد أدت هجرة سكان ندنجو الى خلوها من السكان وبالتالى فقد البرتغاليون موردا هاما من موارد الرقيق ، ومن ثم وجهوا انتباههم الى مملكتى كاسانجى وماتامبا للحصول على الرقيق ، وكما فشلوا فى الحصول عليه بالطرق السلمية لجأوا الى الفتح العسكرى ولكنهم وجدوا أنفسهم فى مركز حرج بعد استيلاء الهولنديين على لواندا فى سنة ١٦٤١ وأصبحوا مهددين بالهولنديين من جهة وبالأنجوليين من جهة أخرى • وقد فاجأ الأنجوليون البرتغاليين فى سنة ١٦٤٣ وأسروا مائتين منهم •

وصل « سلفادور كوريا دى سا » من البرازيل فى سنة ١٦٤٨ مصحوبا بقوة عسكرية فقوى مركز البرتغاليين فى أنجولا ونجحوا فى طرد الهولنديين من

لواندا ، وحاولوا اعادة النفوذ البرتغالى فى أنجولا ، وبذلك تبدأ الفترة الخامسة والأخيرة من فترات الحروب الأنجولية . وقد صحب هزيمة الهولنديين وطردهم من لواندا تفكك التحالف الأنجولى الوطنى بتحالف مملكة كاسانجى مع البرتغال فى سنة ١٦٤٧ رغبة منها فى زيادة الفوائد التى تحصل عليها من تجارة الرقيق . ولم يمض عام حتى وقعت مملكة الكنغو هى الأخرى معاهدة سلام مع البرتغاليين ، وعلى رغم توقيع تلك المعاهدة استمرت العداوة قائمة حتى قضى البرتغاليون قضاء كاملا على جيش الكنغو فى موقعة مبويلا فى آكتوبر سنة ١٦٦٥ (١) .

استطاع البرتغاليون توسيع احتلالهم العسكرى لأنجولا فى سنة ١٦٧١ بعد هزيمة ملك ندنجو والاستيلاء على قلعته الجبلية بعد حصار دام ثلاثة أشهر ، وكان ملك ندنجو قد ثار فى سنة ١٦٧٠ وهاجم قلعة أمباكا البرتغالية . وبسقوط قلعة ندنجو وهى من أشهر القلاع الوطنية الجبلية الحصينة بنى البرتغاليون قلعة جديدة فى المنطقة ووضعوا بها حامية عسكرية . ولقد لعبت قوات زنوج الحرب وهى القوات الوطنية المساعدة دورا كبيرا فى تلك الموقعة ومكنت البرتغاليين من القضاء على القوى الوطنية المعادية للبرتغاليين . ويمكن تشبيه تلك الموقعة ضد ملك ندنجو بحرب أهلية فقد كانت قوات ملك ندنجو الزنجية تقاتل الجيش البرتغالى المكون من قوات زنوج الحرب وعدد قليل من البرتغاليين(٢) . وبهزيمة قوات ملك ندنجو أطلق البرتغاليون على المنطقة شرقى لواندا اسم بونجو أندونجو ، وامتدت الأسواق التجارية البرتغالية شرقا لمسافة ١٢٠ ميلا . وعلى رغم وصول التجار البرتغاليين الى سوق كاسانجى الواقعة على بعد ٣٠٠ ميل شرقى لواندا فى القرن السابع عشر عن طريق قلعة أمباكا(٣) فقد بقيت بونجو أندنجو نقطة الحدود الشرقية للاحتلال البرتغالى حتى القرن التاسع عشر(٤) .

---

(١) Chilcote, R. H. : Ibid. pp. 68—70.

(٢) Cadornega, A. O. : op. cit. Vol. II, pp. 298—358.

(٣) Cadornega, A. O. : Ibid. Vol. III, p. 220.

(٤) Das Neves, J. A. : Considerações, p. 200.

وللتوسع جنوبا تحرك البرتغاليون وراء مصب نهر كوانزا بحثا عن الموانى الجيدة وبنوا قلعة بنجويلا فى سنة ١٥٨٤ ، ثم بنوا مستوطنة دائمة بجوار القلعة فى سنة ١٦١٧ ، وأطلقوا عليها اسم « ساو فيليب دى بنجويلا » • وللتخلص من سيطرة الادارة البرتغالية فى لواندا حول البرتغاليون بنجويلا الى مدينة تجارية ، وأصبحت قاعدة يتقدمون منها الى الأراضى الداخلية • وعلى رغم انشاء مدينة بنجويلا فلم تتم عملية بناء القلاع العسكرية على الهضبة فى منطقتى كاكوندا وكويلينجيز الا فى ١٦٨٥ ، وكانت محطات صغيرة بها عدد قليل من الجنود ، واضطر البرتغاليون الى هجرها فيما بعد بسبب مواقعها غير الصحية • وكان للطقس وصعوبة المواصلات أثرهما فى عرقلة التوسع البرتغالى على هضبة بنجويلا ، وبقيت تلك المنطقة غير مفيدة للبرتغاليين حتى القرن الثامن عشر عندما بدؤا فى التوسع جنوبا (١) •

واذا كان التجار البرتغاليون قد سبقوا فى تقدمهم فى أراضى أنجولا بانشاء القلاع العسكرية الا أن التوسع البرتغالى فى فترته الأولى كان عسكريا بحتا ، وحكمت المجموعات العسكرية البرتغالية فى المدن والقلاع مستعمرة أنجولا • وقد اتخذ البرتغاليون من لواندا فى مبدأ الأمر قاعدة لتوسعهم وبذلك أصبحت المدينة والميناء ذات أهمية كبيرة لوقوعها على نهاية الطرق التجارية الرئيسية التى تصل الى الأراضى الداخلية الموجود بها الرقيق والشمع والعاج ، وتصدير تلك السلع من مينائها الى البرتغال والبرازيل (٢) • وقد توقف التوسع البرتغالى على ساحل أنجولا فى أواخر القرن السابع عشر بعد أن أصبحت الأراضى المستولى عليها كافية من وجهة نظر البرتغاليين لتكوين مستعمرة تجارية • وعلى رغم استمرار الحروب مع القبائل الأنجولية ، فقد ركز البرتغاليون جهودهم على التجارة وتأمين الطرق التى تمر بها التجارة الداخلية • ويعتبر القرن الثامن عشر عصر حروب مثل سابقه مع اختلاف فى السياسة البرتغالية وتحويلها من سياسة اختراق الأراضى الداخلية وفرض سيطرتها عليها الى سياسة احكام قبضتهم على الأراضى الساحلية والتحكم فى تجارتها واحتكارها ومنع السفن

---

(١) Nogueira, J. A. : op. cit. pp. 120—124.

(٢) Cadornega, A. O. : op. cit. Vol. III, p. 167.

الأجنبية من الوصول الى الساحل والمتاجرة مع سكان أنجولا الوطنيين • وقد ساعد على اختيار تلك السياسة خوف البرتغاليين من الغزو الأجنبي لأنجـولا كما حدث في القرن السابع عشر (١) •

حاول البرتغاليون في أواخر القرن السابع عشر وحتى انعقاد مؤتمر برلين لغرب افريقية تأكيد سيطرتهم على المنطقة الساحلية الممتدة من نهـر كونين في الجنوب والمنطقة المعروفة حاليا باسم جابون في الشمال • وبطرد الهولنديين من البرازيل وأنجولا تطلب الأمر تعاونا كاملا بين أنجـولا والبرازيل فيما يختص بتصدير الرقيق اللازم للعمل في مزارع البرازيل ، ولهذا أصـبحت أنجـولا خاضعة للبرازيل من الناحيتين الادارية والعسكرية (٢) • ولما كانت المحـاولات الأجنبية للحصول على الرقيق بالقرب من المستوطنات البرتغالية في أنجولا تمثل تهديدا خطيرا لدخل أنجولا والبرازيل وللقضاء على منافسة الهولنديين الذين كانوا يحصلون على الرقيق من بندا الواقعة بالقرب من مصب نهر الكنغو فقد حرض البرتغاليون الزعيم الوطني « سونو » على غزو المنطقـة والقضـاء على تجارة الرقيق الهولندية على الساحل • ويظهر أن ذلك المشروع لم يتم تنفيذه لاستمرار الهولنديين في ممارسة نشاطهم التجاري بالمنطقة (٣) •

ولما نهب القراصنة الفرنسيون مدينة بنجويلا في سـنة ١٧٠٧ أمر جـون الخامس ملك البرتغال في سنة ١٧٢٣ ببناء قلاع في كل من كابندا وموليمبو ، ولكن معارضة الفرنسيين قضت على المشروع • وقد ظهر مشروع آخر في سنة ١٧٥٨ لبناء قلاع في كابندا ولوانجو لمنع اتجار الفرنسيين مع الوطنيين وبـدأ التنفيذ في سنة ١٧٥٩ عندما بنى البرتغاليون قلعة جديدة في انكوجي (٤) لحماية طريق التجارة الواردة من شرق المستعمرة الى ساحل الكنغو ، والتحـكم في التجارة قبل وصولها الى الموانى الساحلية الموجودة شمالي لواندا وأصـبحت انكوجي أقصى محطة برتغالية في شمال أنجولا حتى القرن التاسع عشر ، وكانت

---

(١) Nogueira, J. A. : op. cit. pp. 47—52.

(٢) Nogueira, J. A. : Ibid. pp. 22—23.

(٣) Cadornega, A. O. : op. cit. Vol. II, p. 545.

(٤) Nogueira, J. A. : op. cit. p. 46.

ذات آثر قليـــل فى منع متاجـره الوطنيين مع الفرنســيين والبريطـانيين على الساحل (١) •

وبحلول القرن التاسع عشر أصبحت السلطات البرتغالية فى أنجولا مشغولة بالسفن الأجنبية التى تتجنب الجمارك البرتغالية ، وتقوم بتهريب البضائع دون دفع ضرائب عليها ، ولهذا أمر فرانسشكو سوسا كوتينيو حاكم أنجولا ببناء قلعة ساحلية فى ربدوندو الجديدة لمنع تهريب البضائع الأجنبية ورسو السفن البرية بين لواندا وبنجويلا (٢) • وقد استخدم البرتغاليون ريدوندو الجديدة البرية بين لواندا وبنجويلا (٤) • وقد استخدم البرتغاليون ريدوندو الجديدة قاعدة يتحركون منها الى الأراضى الداخلية غير الخاضعة لهم فى منطقة كويساما الواقعة جنوبى قلعة موكسيما ، واستعادة الرقيق الهـارب من منطقــة لواندا والجزء الأدنى من نهر كوانزا •

كان عند الحاكم فرانسشكو كوتينيو فكرة محددة عن التوسع البرتغالى والمنافسة الأجنبية ، وكان يرى أن أنجولا لن تصل الى درجة الازدهار المرجوة لها الا بايجاد طريق يصل بينها وبين موزمبيق مارا بوسط أفريقيا لنقل الذهب من منطقة سينا بموزمبيق ولمنــع الهــولنديين من مد مستعمــراتهم الى نهــر الزمبيزى (٣) • وبتسلط تلك الفكرة على كوتينيو شجع التوسع البرتغالى على مرتفعات بنجويلا ، وأمر بتجديد المحطات البرتغاليـــة فى كاكوندا وكولنجيز ، وتم انشاء ستة أسواق تجـارية فى المنطقة الداخليـــة شرقى كاكوندا • ومن المحتمل أن أول موظف برتغالى ذهب الى مملكتى بيلوند وبيا Bihé فى أواخر حكم كوتينيو فى سنة ١٧٧٢ •

---

(١) Das Neves, J. S. : op. cit. pp. 200—221.

(٢) Silva Correa : Historia de Angola, Vol. II, p. 149.
Nogueira, J. A. : op. cit. pp. 55—56.

(٣) Duffu, J. : Potuguese Africa, pp. 190—191.

وعلى الرغم من تشجيع كوتينيو للصناعة والتجارة والعمل على تقليل الرقيق المصدر من أنجولا الا أن مشروعاته للتنمية والتوسع فشلت جميعها ، وبقى البرتغاليون غير قادرين على التحكم فى المنطقة الساحلية الواقعة بين لواندا ومصب نهر الكنغو ، واستمرت السفن البريطانية والفرنسية فى الوصول الى المنطقة والمتاجرة بها وتهريب البضائع • ونظرا لارتفاع الضرائب الجمركية التى فرضتها الحكومة البرتغالية على السفن البرتغالية فقد ارتفعت أسعار البضائع البرتغالية التى كانت قليلة الجودة اذا قورنت بمثيلتها من البضائع الأجنبية المهربة • وكانت الأسعار التى يدفعها الأجانب ثمنا للرقيق الانجولى أعلا من تلك التى يدفعها البرازيليون ، وبالتالى رفض الأنجوليون شراء البضائع البرتغالية أو بيع الرقيق للتجار البرازيليين (١) •

وقد أدت حاجة البرازيل الى الرقيق الأنجولى ورغبة البرتغاليين فى القضاء على الأثر الضار للتجارة الأجنبية فى أنجولا الى الرجوع الى مشروعات الملك جون الخامس وبنوا القلاع والمحطات التجارية على طول الساحل شمال نهر الكنغو (٢) • وركز البرتغاليون جهودهم فى كابندا على أساس أنها نقطة ساحلية يمكن التقدم منها لاحتلال الأراضى الداخلية (٣) ، وأرسلوا اليها فى سنة ١٧٨٣ حملة عسكرية مكونة من ١١٠٠ جندى وتضم عددا من المهندسين بقيادة الملازم بينيرو فورتادو • وتم احتلال كابندا وبناء قلعة بها • ولم تستمر الحملة أو القلعة البرتغالية مدة طويلة لمعارضة الفرنسيين ، وتم سحب باقى أفراد الحملة وتدمير القلعة فى يونيو سنة ١٧٨٤ (٤) •

حول البرتغاليون أنظارهم الى المنطقة الواقعة جنوبى بنجويلا بعد فشلهم

---

(١) De Lacerda, J. M. : Memoria, p. 144.

(٢) Felner, A. A. : Angola, Vol. I, pp. 199—201.

(٣) Rodrigues, J. A. : Africa and Brasil, pp. 27—34.

(٤) Dias, G. S. : OS Portuguese em Angola, pp. 251—252.

فى كابندا واعتبر البارون موزاميدس (١) منطقة كابندا بعيدة عن متنـــاول يد الحكومة البرتغالية فى أنجولا (٢) • وعلى هذا فقـد بدأ ارســال الحمــلات البرتغالية برا وبحرا فى سنتى ١٧٨٥ و ١٧٨٦ لاستكشاف المنطقــة الواقعــة جنوبى رأس القديسة مارتا • وأطلق البرتغاليون على الخليج الموجود بالقرب من مصب نهر بيرو اسم خليج موزاميدس تخليدا لاسم حاكم أنجولا • وعلى الرغم من أن قرية موازميدس لم تبن الا فى سنة ١٨٤٠ الا أن الحملات البرتغالية الكشفية وجدت التجار البرتغاليين يبادلون السلع مع الســكان الوطنيين • وذكرت التقارير أن منطقة موزاميدس ذات جو صــحى صــالح للاســتيطان الأوروبى ، وميناؤها أحسن من ميناء بنجويلا (٣) •

د • سعد زغلول عبد ربه

(١) حكم البارون موزاميدس مستعمرة أنجولا من سنة ١٧٨٤ ــ سنة ١٧٩٠ •

(٢) Silva Correa, E. A. : op. cit. Vol. II, 61—65.

(٣) Felner, A. A. : op. cit. Vol. I, pp. 6—8.

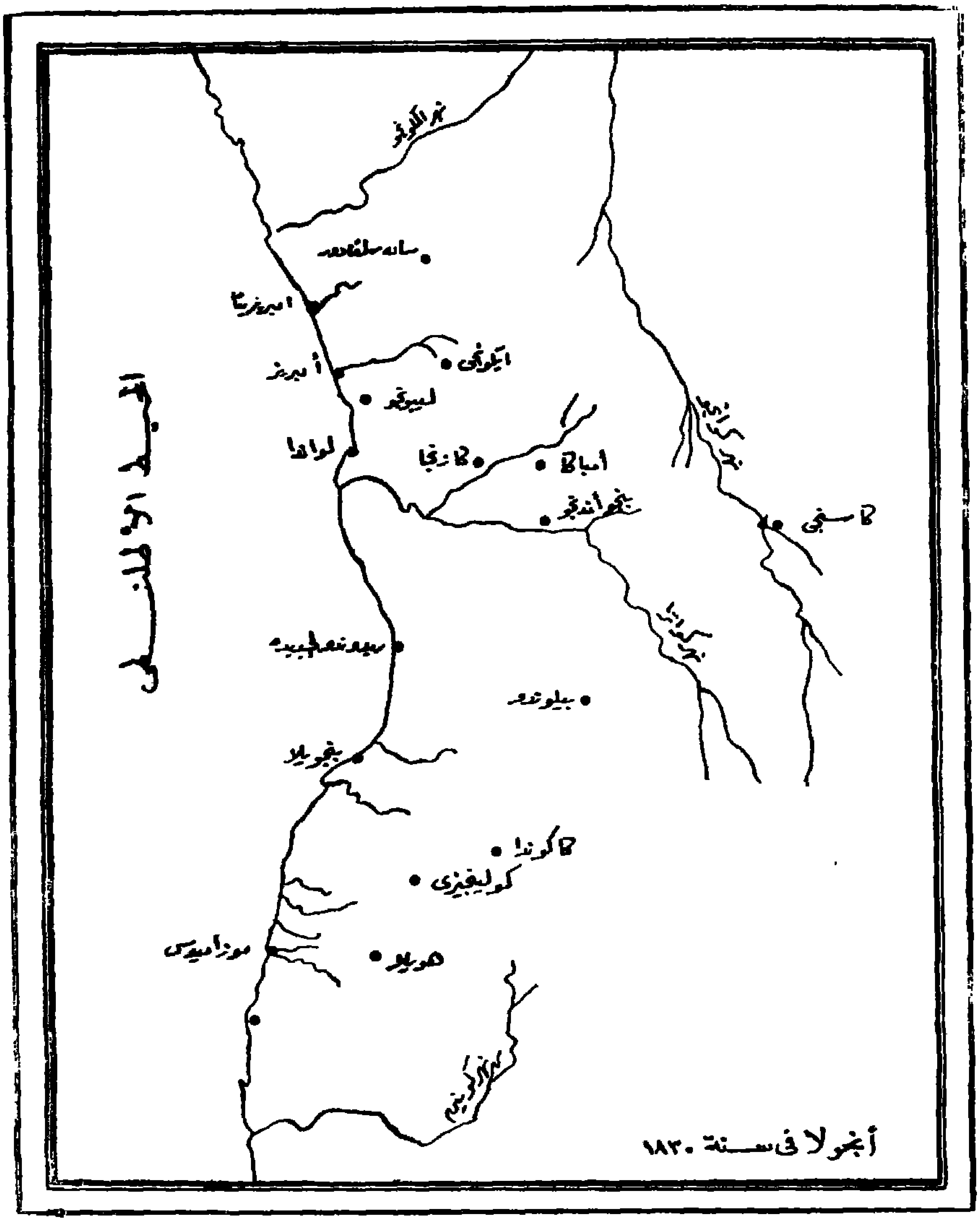

أنجولا في سنة ١٨٣٠

مراجع البحث

اولا ـ وثائق منشـورة :

1.—F. O. Hist. Sect. : Angola, N°. 120. London, 1920.

2.—U. N. G. A. : Angola (special committee) A/A. C. 109/L. 451/Add. I, 17 April 1967. N. Y.

3.—Felner, A. A. : Angola, 3 vols Lisbon, 1940.

ثانيا ـ مراجع باللغات الأجنبية :

1.—Cadornega, A. O. : Historia das guerras Angolas, 3 vols. Lisbon, 1940—1942.

2.—Chilcote, R. H. : Portuguese Africa New iersey, 1967.

3.—Correa, S. : Historia de Angola, 2 vols. Lisbon, 1937.

4.—De Cruz, J. R. : Geographiq de Angola. Lisbon, 1940.

5.—Delegado, R. : Historia de Angola. 4 vols. Lisbon, 1961.

6.—Dias, G. S. : Os Portuguese em Angola. Lisbon, 1959.

7.—Duffy, J. : Portuguese Africa. Cambridgs, 1959.

8.—Duffy, J. : Portugal in Africa, Cambridge, 1962.

9.—De Lacerda, J. M. : Memoria. Lisbon, 1934.

10.—Das Neves, J. A. : Consideraçôes, Lisbon, 1830

11.—Nogveira, J. A. : Governo de Sausa Coutinho. Lisbon, 1960.

12.—Prestage, E. : The Portuguese Pioneers. London, 1933.

13.—Rodrigues, J. A. : Africa e Brasil. Rio de Janeiro, 1961.

14.—Simmaons, J. S. : Global Epidemiology, 4 vols. philadelghia, 1944.

ثالثا ـ دوريات :

1.—American Geographical Society (A. G. S.), vol. VII, N°. 2, 1956.

2.—Geographical Review, vols. XLVIII, N°. 2, 1962, L. N°. 4, 1924.

النـــوباويون

دراســة انثروبولوجيــة

(The Nuba. An Anthropo-geographical study)

The aim of this paper is to shed some lights on the origin of the Nuba people, their branches, social arrangements and the alternatives associated with the quest of their relations with the Nubians.

There are some conclusions to be drawn from the article, The most important one is that the Nuba people are mainly negroid, with some mixture with Caucasoid elements. They once lived in all Kordofan Province, in addition to Darfour area, but now Arabs, Fallata, and some Nilotic peoples share with them southern Kordofan.

However, there are some cultural relations between the Nuba people and the Nubians.

The material culture of Nuba people shows clearly their contact with their neighbours.

El Saeed, I. El Badawi

تتناول هذه الدراسة القاء بعض الضوء على الشعب النوباوى من الناحية الانثروبولوجية وتعيش هذه المجموعة فى الركن الجنوبى الشرقى من مديرية كردفان بالسودان ، بالاضافة الى بعض التلال التى تقع فى شمال هذه المديرية مثل جبل حرازه وغيره • وقد انصبت هذه الدراسة على المجموعة الكبرى من هذا الشعب التى توجد فى تلال جنوب كردفان أو ما يطلق عليها الآن « جبال النوبا » أو « دار نوبا » •

وقد ظل الغموض يحيط هذه المنطقة لفترة طويلة وكان كل ما يوجه اليها ـ ولغيرها من مناطق السودان ـ من اهتمام ينصب على جلب الرقيق والحصول على المنتجات الزراعية ثم بدأت الادارة الانجليزية فى السودان منذ بداية القرن الحالى فى الاهتمام بدراسة المناطق المتخلفة فى السودان بقصد وضع أنسب النظم لادارتها واستغلال مواردها • وقد بدأت أولى نتائج هذا الاهتمام بادخال القطن الأمريكانى قصير التيلة الى المنطقة فى بداية الربع الثانى من هذا القرن ، وبدأت زراعته منذ ذلك الوقت تنتشر على نطاق واسع • ومن ناحية أخرى فقد بدأت هذه الادارة الانجليزية فى وضع القيود أمام انفتاح هذه المنطقة على غيرها من مناطق السودان سواء بمنع الدخول اليها أو الخروج منها أو بالوقوف أمام أى اتجاه يقصد من ورائه تحضير سكان المنطقة ، وانما بدأت فى تسهيل دخول البعثات التبشيرية اليها بقصد ضمها الى جنوب السودان وبالتالى تحقيق المشروع الذى كانت تهدف اليه أصلا وهو خلق دولة مستقلة فى الجنوب وضمها الى « دومنيون » شرق أفريقيا •

وقد اهتمت هذه الدراسة بموضوعين أساسيين :

الموضوع الأول : أصل النوباويين ولغاتهم وعاداتهم •

الموضوع الثانى : علاقة النوباويين بالنوبيين الذين يعيشون على ضفاف مجرى النيل •

وتجدر الاشارة الى أنه من الصعوبة بمكان تطوير أحوال أى منطقة دون محاولة التعرف وتفهم ظروف سكان هذه المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم ، وذلك بقصد وضع أفضل الوسائل وأكثرها ملاءمة للتطوير ، وان كان هذا القول ينطبق على شتى المناطق فانه بلا شك أكثر انطباقا على المناطق المتخلفة ومنها منطقة جبال النوبا (١) •

يذكر سلجمان فى مؤلفه القيم « القبائل الوثنية فى السودان النيلى » (٢)

---

(١) انظر رسالة دكتوراه « منطقة النوبا ـ دراسة فى الجغرافية الاقتصادية » سنة ١٩٧١ للباحث غير منشورة (جامعة القاهرة) •

(٢) Seligman, C. G. and Seligman, B. Z. : Pagan tribes of the nilotic Sudan. London 1965. pp. 4—9.

أنه يوجد بالسودان مجموعتان كبيرتان من الزنوج تغلغلت فى عروقهم الدماء الحــامية :

الأولى : النيلوتيون ٠

الثانية : النيليون ــ الحاميون ٠ وهى مجموعة من القبائل تنتسب الى قسم البارى التابع لمجموعة البارى ــ الماساى اللغوية ٠

وتتميز هاتان المجموعتان بطول الرأس ، والقامة الطويلة جدا ، وان كانت هذه الصفات أوضح فى المجموعة الأولى عن أى مجمــوعة أخــرى خــارج الســـودان ٠

وهذا يدل على الاختلاط الوثيق مع الحــاميين حيث يذكر ســلجمان أن التأثير الحامى وصل الى مناطق الزاندى على الهضبة الحديدية ، وأن الزاندى يمثلون الحد الأقصى لانتشار الصفات والحضارة الحاميــة ، وأنهم يمثلون فى الحقيقة الحد الفاصل بين الزنوج بمــلامحهم وثقــافاتهم الزنجيــة ، والزنوج الحاميين ذوى الصفات الجسمية والثقافية التى أخذوها عن الحاميين ٠

ويعطينا سلجمان أدلة على وصول التأثيرات الحامية الى شــمال ووســط السودان من الاكتشافات الأثرية التى وجــدت فى جبــلى كاتول وحــرازه فى كردفان ، وجبل جولى فى دار فونج وغيرها ٠٠٠ ومن أمثلة ذلك وجــود آثار لصخور عليها رسوم ملونة ومحفورة تبين رجالا يمتطون الخيل فى جبل حرازه فى شمال كردفان ، ويرجح سلجمان أنها تشــابه الرســوم الليبيــة ــ البربرية الموجودة فى الصحراء ٠

أما بالنسبة لدخول التأثيرات الحامية الى منطقة القبائل النيلية فترجع الى زمن الامبراطورية المروية حيث كانت عاصمتها سوبا أكثر جنوبية وكانت تجارة الحديد رائجة فى ذلك الوقت ٠

ويقسم سلجمان المجموعات الزنجية النيلية الى أربعة أقسام : (١)

١ ــ النيلوتيون	ذوو رؤوس طويلة
٢ ــ النيليون ــ الحاميون	

---

(١) سلجمان المرجع السابق صفحة ١١ : ١٢ ٠

٣ ــ شعوب النوبا والفونج

٤ ــ ذوو الرؤوس المتوسطة فى الجنوب الغربى (الزاندى ، البونجو ــ ميتو ... الخ) والمجموعتان الأخيرتان ذات رؤوس متوسطة .

ومعنى ذلك أن سلجمان يدخل النوباويين ضمن المجموعات الزنجية النيلية ويذكر أن قسمى الرءوس المتوسطة أكثر تباينا واختلافا فيما بينهم عن القسمين اللذين يتميزان بالرءوس الطويلة وأن هذه القبائل ذات الرءوس الطويلة هى نتيجة لاختلاط الزنوج مع الحاميين ــ أما القبائل ذات الرءوس المتوسطة فانها بلا شك تعتبر من العناصر الزنجية القديمة .

ويحاصر الزنوج ذوو الرءوس المتوسطة القبائل النيلية ذوى الرءوس الطويلة من جميع النواحى فيما عدا الانقطاع الموجود فى وادى النهر (النيل) حيث يمتد أهل النوبا والفونج من منطقة الفونج الى جنوب كردفان الى دارفور أى من خط عرض ١٥° الى ٩ ــ ١٠° شمالا . ثم ينتشرون على حواف المنخفضات والمستنقعات فى بحر الغزال حتى منطقة تقسيم المياه بين النيل والكنغو فى السودان وخارجه (١) .

وبناء على ذلك يمكن اعتبار شعب النوبا ــ كما يذكر سلجمان ــ السكان الأصليين من الزنوج فى كردفان فانه على الرغم من أن الجزء الشمالى من المنطقة فى الوقت الراهن تسكنه القبائل التى تتكلم اللغة العربية وتدين بالاسلام ومن ثم فان (دار نوبا) أو منطقة النوبا تشغل الجزء الجنوبى فقط من المملكة القديمة ، وتمتد من حوالى خط ٣٠ر١٢° الى ١٠° شمالا وتبلغ مساحتها حوالى

---

(١) عالج مردوك P. Murdock أيضا فى كتابه Africa, its People and their cultures.
موضوع النوبا فى فصل خاص صفحة ١٦٤ ويذكر أن النوبا شعب زنجى متميز ويشير الى الغموض الذى نشأ من تشابه اسمى النوبا والنوبة على الرغم من أن بعض النوبيين ــ كما يذكر ــ يعيشون فى منطقة الجبال فى الدلنج والنيما (غرب الدلنج) بجوار النوباويين . ويذكر أن النوباويين الذين احتموا بالجبال لم يتأثروا نسبيا بتحركات وثقافات شعوب وادى النيل أو غيرهم من شعوب وسط السودان ومن ثم فانهم يمثلون نوعا من (الدوامات أو الزوبعات الحضارية) Cultural eddy (نظرا لانغلاقها على نفسها) وربما احتفظوا ببعض السمات الحضارية الخاصة بزنوج وادى النيل قبل أن يتأثروا بتأثير الحضارة الفرعونية .

٥٠ ألف ميل مربع ، يحدها من الشرق منطقة الشلوك التى تحاذى الضفة الغربية للنيل الأبيض ومن الجنوب بحر الغزال ، ومن الغرب منطقة يسكنها العرب (المسيرية ، الحمر والزرق ، والحمر) .

ويتصف جنوب كردفان بأنه سهل واسع تقطعه التلال والسلاسل الجبلية المنعزلة ، ولما كان النوباويون سكان تلال أصلا فانهم يسكنون فى الواقع جزءا صغيرا من المنطقة ، وقد خضع الجزء الشمالى من كردفان تماما للنفوذ العربى لدرجة أن السكان القدامى الموجودين هناك يعتقدون — أو يظهرون الاعتقاد — بانهم يختلفون تماما عن انوباويين الذين أغار العرب عليهم للحصول على الرقيق ، وتتيجة لذلك انعزل النوباويون على أنفسهم فى التلال الجنوبية تحت ضغط المنافس القوى لهم وهم البقارة الرحل أو شبه الرحل (١) .

أما فى شمال خط العرض الثانى عشر شمالا فكان التأثير الأجنبى واضحا حيث خضعت منطقة تقلى وجبل الداير لكل من مملكة دارفور وسنار . — وحتى فى شمال كردفان — شمال خط عرض ١٤٫٣٠° شمالا — لم يتلاش النوباويون تماما فقد ظلت بقايا من نظمهم الاجتماعية والدينية ، كما تظهر الصفات النوباوية فى بعض التلال ، كما توجد بقايا لغات قديمة غير عربية .

ومن ناحية أخرى فان منطقة جبل الداير وما يجاوره من تلال تأثرت بالحضارة الاسلامية والثقافة العربية (٢) .

---

(١) يذكر نادل أيضا فى مقدمة كتابه The Nuba أن السكان يكونون مجموعة متميزة عن السكان المجاورين لهم ، فهم يكونون اسفينا من العناصر الزنجية الأصلية . يحيط بهم العرب والنيليون الحاميون (أو شبه الحاميين) .

كما جاء أيضا فى كتاب ديلافوس

De la Fosse, Maurice : Les noires de l'afrique Paris. 1922 p. 111.

أن النوباويين يكونون السكان الأصليين لهذه المديرية (كردفان) وأن اسم النوبا أصبح اسم شهرة أطلقه العرب على جميع السود المسلمين فى السودان الشرقى مهما كان أصلهم الاثنولوجى مثل الفرتيت فى دارفور وغيرهم أما فى أوربا فقد أطلق اسم نوبة على المنطقة الممتدة على طول النيل من وادى حلفا والخرطوم (منطقة دنقلة) حيث استقر بعض أقسام من النوبا ولكن النوبيين الحقيقيين Veritable Nubie يوجدون فى جنوب كردفان .

(٢) سلجمان — مرجع سابق صفحة ٣٦٦ .

وفى مرجع آخر للأستاذ « سلجمان » (١) يذكر أن هناك وحدة أساسية بين سكان الجبال السود فى دارفور وكردفان (النوبا) وسكان غرب أفريقيا ويذكر أن سكان داهومى يتشابهون فى الصفات الجسمية مع سكان شمال غانا وسكان النوبا فى كردفان . ويشير سلجمان الى أنه على الرغم من أن سكان النوبا من الجنس الزنجى الأصيل فى غرب أفريقيا الا أنهم خليط من العنصر الزنجى والعنصر الحامى (٢) .

ويؤكد سلجمان على وجود ملامح حضارية تربط بين سكان النوبا وسكان المناطق الغربية فى أفريقيا فى تلال دارفور الذين ينتشرون غربا حتى « واداى » على الرغم من وجود اختلاط بينهم بالدماء العربية والحامية . ويصدق هذا أيضا على التنجور والدارجو ، وهما شعبان قديمان فى دارفور ، بينما نجد أن الفور أنفسهم الذين نزلوا من تلال جبل مرة فى القرن السادس عشر ربما يكونون أيضا من أصل جماعة النوبا . فعلى الرغم من أنهم يدينون بالاسلام الا أن العادات الوثنية ما زالت شائعة بينهم .

ويضيف الدكتور « عوض » (٣) على ذلك بأن سكان الجبال يمثلون سلالة مستقلة عن الجماعات التى تحيط بها ، وتعد مجموعة وطنية قديمة سكنت هذا الاقليم منذ زمن بعيد وليست حديثة العهد بأوطانها كما هو الحال فى الجماعات النيلية وقد أتاحت لهم أوطانهم الجبلية نوعا من الحماية ، فأمكنهم أن يكونوا — نسبيا — فى مأمن من اغارة المغيرين ولو أن هذا اضطرهم لالتزام الجبال .

وكان لطبيعة الجبال أثر آخر فى السكان حيث كانت بمثابة ملجأ تعتصم به الجماعات الهاربة اللاجئة من الأقطار المجاورة ، ويترتب على ذلك أن يكون هناك تنوع واختلاف فى الصفات الشكلية نظرا لدخول عناصر مختلفة فى أزمان مختلفة والتجائها الى هذه الحصون الطبيعية . فعلى الرغم من أن الصفات

---

(١) Seligman, C. G. : Races of Africa. London 1930 p. 78.

(٢) سلجمان المرجع السابق صفحة ٨٦ .

(٣) د . محمد عوض محمد — الشعوب والسلالات الافريقية — القاهرة سنة ١٩٦٥ ص ٢٠٢ .

الزنجية هى السائدة الا أننا لا نرى لها ذلك الانسجام والاطراد الذى نشاهده بين الدنكا أو الباتنو • فالنسبة الرأسية أعلى مما نجده لدى الزنوج حيث أن ٦٠٪ من السكان لهم نسبة رأسيــة متوســطة وباقى الســكان يزيدون على المتوسط أو يقلون عنه بمقادير متساوية ، كذلك نجد القــامة وان غلب عليهــا الطول فانها فى المتوسط أقل مما نجده عند النيليين ، بالاضافة الى وجــود نمو فى العضلات لا نجد له نظيرا بين جيرانهم من السلالات النيلية (١) •

ويعلل الدكتور عوض ذلك بأنه شيء متوقع فى البيئات الجبلية دائما ، سواء نظرنا الى الصفات الجسمية أو الثقافية أو الاجتماعية لأن الجبال تعزل الجماعات بعضها عن بعض وتحول دون الاتصــال والاندماج ولذلك تختلف العــادات واللهجات وكثير من مظاهر الحياة •

وهذا التنوع بين النوبا أشد وضوحا فى الثقافة منه فى السلالة ، لأن الأساس الجنسى واحد للجميع ، وهو الدماء الزنجية ، أما الأصول الثقافية فهى متنــوعة بين أتباع السلالة الواحدة ، وقلة الاتصال تؤكد الفروق والاختلافات •

ومن أمثلة التباين الواضحة فى منطقة النوبا منطقة تقلى (٢) التى يســكنها الآن خليط من القبائل ، وكان هذا نتيجة الهجرات التى جاءت الى مملكة تقلى بعد تأسيسها واستقرار هؤلاء المهاجرين فيها ويظهر هذا واضحا فى البنية القوية للتقلاوى الأصلى •

فمنذ أكثر من أربعمائة عام كان شعب الجبال الشمالية الشرقية جنسا واحدا معزولا عن العالم الخــارجى ويعيش أصــلا فى ثلاث منــاطق هى : تيرمى ، أم طلحة ، تلال الكجاكجة ، تقلى نفسها • وكان هذا الشعب وثنيــا يعيش حيــاة بدائية بسيطة تحت حكم الزعماء الذين يشغلون مناصبهم بالوراثة ، وكان مقر

---

(١) جاء ذلك أيضا فى كتاب نادل (النوبا) فى المقدمة كما جاء فى كتاب سلجمان (القبائل الوثنية) الصفات الجسمية للنوباويين بالتفصيل ص ٣٧٠ ، ٣٧١ وكذا يمكن الرجوع الى :

Seligman, C. G. : The Physical character of the Nuba of Kordofan. J. R. A. J. XI 1910.

(٢) SNR تحت عنوان : The Kingdom of Tegale

مجلد ١٨ الجزء الأول صفحة ٥ .

الحكم فى « تجلعرو » بجوار قرية « الهوى » الحالية • وكان يعرف هذا الشعب باسم « الهمج » كما تقول بذلك أسطورة موجودة لديهم •

ويوجد أخلاف هذا الشعب فى صورة نقية فى تلال الكچاكچة فى الوقت الحالى ، أما فى المناطق الأخرى فقد انتهى هذا الجنس القديم على الرغم من أن دماءه كانت تسيطر على أسلاف أغلبية الشعب فى جميع أنحاء الجبال الشمالية الشرقية (كتبت المقالة فى عام ١٩٣٥) •

ورغم أن الكچاكچة الأصلاء هؤلاء أصبحوا الآن مسلمين منذ أكثر من ثلاثة قرون الا أنهم ما زالوا محتفظين بكثير من تقاليدهم القديمة وطريقة حياتهم التى يبدوا أنها تغيرت بعض الشىء بمرور الزمن ، وهم يزرعون الحبوب على تلالهم مستخدمين فى ذلك الفأس الخشبية ، أما غير ذلك من المزروعات فضئيل • كما أنهم يحتفظون ببعض المواشى ، ونادرا ما يغامرون بالبعد عن تلالهم • وتتكلم نسبة ضئيلة منهم اللغة العربية على الرغم من أن اللهجة المحلية القديمة لا تستعمل فى تقلى الآن ، وربما تكون قد أهملت الى الأبد •

وقد حدثت صلات مؤكدة بين الكچاكچة الحاليين (بجوار منطقة رشاد) وبين (الكواليب) (فى منطقة شمال الجبال وغرب تقلى) ويمكن أن تشير هذه الصلات الى أصل مشترك • ولكن بينما تحولت تقلى (ومنها الكچاكچة) الى الاسلام منذ القرن السادس عشر فان بعض الكواليب ما زالوا يعيشون على الوثنية حتى الآن • ولكن المعلومات المتوفرة لا تحسم الموقف سواء أكان هذا الشعب القديم فى تقلى تابع لجنس النوبا أو أنه شعب مستقل ، وأن كل ما نعرفه فى بداية القرن ١٦ أنه كان يعيش فى تقلى شعب وثنى بدائى ربما كان متماثلا فى عديد من الأمور مع النوباويين الذين ينتشرون على نطاق واسع والذين لم يكن لديهم أى اتصال مع العالم الخارجى • وفى هذا الوقت بدأت مملكة تقلى بداية متواضعة فى عام ١٥٣٠ م وكانت بمثابة نافذة انفتحت على الجماعات التى جاءت من السودان الشمالى ومنطقة الفونج ودارفور ووسط كردفان ، وتكون

من كل هذه الصلات الحضارية والسلالية شعب جديد يأنف أن يطلق عليه اسم النوبا ولكنه يعتز بأنه من سلالة مملكة تقلى ، ويذكر أنهم تقلاويون وليسوا نوباويين (١) .

وهناك مثال آخر للاختلافات الموجودة بين جماعات منطقة النوبا ، هذا المثال هم سكان جبل الداير . ففى الجزء الغربى من الجبل وعلى سفوحه توجد مجموعة من القرى يسكنها شعب يطلق على نفسه اسم « الدوباب » وليس النوباويين ، فى حين أن الجزء الشرقى يسكنه النوباويون .

ويرجع الدوباب أصلهم الى الجعليين ويذكرون أنهم من سلالة « محمد الدوب » ، ولكن « مكمايكل » يذكر أنه لا يوجد مطلقا سلف يدعى بهذا الاسم ، وأن الدوباب عنصر نوباوى استعرب استعرابا خفيفا كما هو الحال فى أماكن أخرى من التلال الشمالية (٢) . ولكن « بولتون » يذكر أن الدوباب أخلاف قبائل مختلفة استوطنت جبل الداير ، وربما يكون اسم الدوباب مشتقا من كلمة « ضباب » باللغة العربية حيث يغطى جبل الداير فى فصل الأمطار بغطاء معتم من الرذاذ ولا سيما الأجزاء العليا منه ، وأن السكان المجاورين فى دلامى كانوا يطلقون على هذا الجبل (جبل الضباب) . ولكن يقف أمام هذا التفسير أن كلمة ضباب غير مستعملة فى اللهجة الشائعة . ويقدم بولتون اقتراحا آخر لهذا الاسم وهو كلمة (دبيب) الشائعة التى تستخدم اسما للثعبان باللغة العربية الدارجة فى المنطقة (جمعها دبايب) اذ ربما لاحظ العرب عند اختلاطهم بالسكان فى هذه المنطقة اهتمامهم بالكوبرا والأشكال المختلفة لعبادة الثعبان وأعطوا السكان الذين يعيشون على الجانب الغربى اسما مطابقا للدبيب تحول فيما بعد الى دوباب (٣) .

---

(١) عالج الكاتب فى نفس المقالة بداية المملكة وتطورها والملوك الذين حكموها وصلاتها مع غيرها من المناطق من ص ١ الى ٥ .

(٢) SNR. Vol. 19. The Dubab and The Nuba of Jebel Daier. by A. R. C. Bolton p. 95.

(٣) عالج الكاتب أيضا فى هذه المقالة عادات وتقاليد وعبادات الدوباب قبل دخول الاسلام وأصل النوبا وحفلاتهم فى الجبل .

ويتضح من ذلك أن منطقة جبل الداير كانت أيضا منطقة تلاقى للثقافات الحضارية المختلفة وتلاقى السلالات النوباوية والعربية ، ونشأ نتيجة لذلك شعب خليط يشابه شعب تقلى وخضع مثله أيضا لمملكتى دارفونج ودارفور •

وبجانب التقلاويين وسكان جبل الداير توجد جماعات أخرى فى شمال الجبال تأثرت بالجماعات القادمة من الخارج مثل سكان منطقة الدلنج والنيما وكذلك النوباويين على الحواف الغربية للجبال فى منطقة لقاوة ـ وسوف تتعرض لهذه التأثيرات عند معالجة اللغات الموجودة فى المنطقة وعلاقتها بلغات المناطق الأخرى •

ويجدر بنا فى نهاية هذه اللمحة السريعة عن أصل السكان أن نشير الى النواحى الاثروبولوجية العامة لدى النوباويين •

فالنظام الاجتماعى عند النوبا يشتمل على وحدة العشيرة وهى تتألف من الأشخاص الذين تربطهم أواصر القرابة ، وتؤلف كل مجموعة من العشائر ـ وهى متجاورة فى الغالب ـ وحدة اجتماعية أكبر يدعوها الكتاب قبيلة ولو أنه ليس هناك لفظ بهذا المعنى لدى السكان ، بل لديهم كلمة تدل على سكان كل جبل من الجبال مرتبطين بشىء من التعاون يرجع الى وحدة الثقافة وبعض التقاليد •

والعشائر ـ بوجه عام ـ لا تتغير وأكثرها عشائر أبوية ، تنحدر من آباء من قديم الزمان، وان لم يكن من السهل أن يتذكروا الاعددا محدودا من الأجداد• وهناك عشائر « أموية » فى الجزء الجنوبى من المنطقة ، أى أن انحدارهم عن طريق الأم • ومن الجائز أن تنقسم العشيرة الى قسمين فيصبح كل قسم بمثابة عشيرة مستقلة ، ويحدث هذا غالبا فى حالة الزواج المحرم ، فتقسم العشيرة الى قسمين ، وتكون الزوجة فى أحد القسمين وزوجها فى القسم الآخر لأن الزواج محرم على الأفراد من عشيرة واحدة •

ونظام الطوطمية موجود عند معظم العشائر ولكنه آخذ فى الزوال ، ومع ذلك فان لكل عشيرة اسمها الخاص وعاداتها وتقاليدها فى الطعام والامتناع عن أكل بعض الحيوانات (١) •

وتشغل محلات النوباويين الجنوبيين مناطق لا بأس بها على الهضبة وعلى سفوح التلال ، وفى عديد من الحالات تمثل الأكواخ مكانا دفاعيا ممتازا ، وأحيانا توجد مسالك أو ممرات متوازية فى الجبال تؤدى الى قمة التل ، كما هو الحال فى المساكن التى توجد على قمة جبل « أميرا » • وتبنى البيوت كل بمفرده أو على شكل مجموعات • ويتكون كل منزل من مجموعة من الأكواخ المستديرة ومخازن الحبوب (٢) • وغالبا ما تشكل أربعة أو خمسة أكواخ منطقة شبه مستديرة مكونة مبنى دائرى يغطيه شكل جمالونى وتزينه مربعات من الخارج ، كما أن باب المنزل على شكل دائرى •

ويتكون المنزل من مجموعة من الأشكال الاسطوانية المبنية بالطين تتجاور بجانب بعضها لتشكل فى النهاية شبه دائرة تحصر بينها فى الوسط فراغ ، وفى الغالب لا تتلامس الأكواخ ، وتوجد فتحة فى الفراغ الأوسط لدخول المنزل ، وغالبا ما تكون الفجوات بين الأكواخ ضيقة جدا وتغلق ببقايا الاعشاب والاحجار •

أما مخازن الحبوب فغالبا ما تكون على شكل اسطوانى أيضا ولكنها أصغر من تلك التى تستخدم فى السكنى • وتبنى هذه المخازن على بعض الصخور لتحتفظ الحبوب بجودتها ، وتفتح الأكواخ على الفناء الصغير ، وغالبا ما يكون هذا الفناء مسقوفا بفروع الأشجار والحشائش •

وقد بلغت صناعة الفخار فى هذه المنطقة ــ ولا سيما فى المناطق الجنوبية ــ مستوى متقدما ــ على الرغم من أنه يصنع يدويا ــ عنه فى أى جزء آخر فى السودان • وتبدو أنواع الفخار المصنوعة ذات فن متقدم مصقول تزينه نقوش تشابه تلك الموجودة على جلد الزراف (نظرا لأن الزراف كان يوجد فى المنطقة

---

(١) د . محمد عوض محمد ــ الشعوب والسلالات الافريقية ص ٢٠٦ .
(٢) ساجمان ــ قبائل النيل الوثنية ص ٣٦٧ .

وما زال يوجد فى بعض الأماكن البكر غير المطروقة) • كذلك نجد فن الديكور فى التلال الجنوبية ذات مستوى راق وهندسى ، ويستوحى نقوشه من الزراف كذلك (١) •

والنوباويون مهرة فى الزراعة ، وكانت توجد الخنازير بكثرة ، والماشية قليلة العدد وذلك لأن المواشى لا تلعب دورا هاما فى حياة النوباويين كما هو الحال مثلا بين النيليين • وعلى الرغم من أن الرجال فقط هم الذين يقومون برعى الماشية وحلب الأبقار فانه من المحرم على المرأة أن تشرب اللبن أثناء فترة الطمث • ولما كانت حفلات مراحل السن ترتبط بالمواشى وتجرى فى مكان معد خصيصا للمواشى يسمى « الكرول » فانه يبدو أن المواشى كان لها تأثير فى الماضى على حياة النوباويين أكثر منها فى الوقت الراهن •

وفى عام ١٩١٠ وعندما كان الخوف سائدا من الغارات العربية اتجه السكان الى زراعة التلال وذلك بعمل مدرجات زرعوا عليها الذرة الرفيعة • ولكن هناك اعتقاد بأنه قبل اندفاعة البقارة فى طريقهم الى وسط كردفان كانت هناك مناطق من السهل وعلى سفوح التلال تقوم عليها الزراعة النوباوية ، وبجوارها شيد هؤلاء السكان أكواخهم (٢) •

وتمارس النساء استقلالا ملحوظا ، وتختار البنات أزواجهن ويسمح لهن بنوع من الحرية فيما يخصهن من أمور ، فى حين يقوم الرجال بالأعمال الشاقة من اعداد الأرض للزراعة ، وبناء المساكن وتسقيفها ورعى وحلب الأبقار وصنع المضاجع (السراير أو العنقريب) من الحبال أو جلد الحيوان وكذلك حصد المحصول • أما المرأة فانها تقوم ببذر البذور وجمع الأخشاب وصنع الأوانى وتزيين المنزل بالاضافة الى طحن الذرة وصنع الثريد « العصيدة » • ويزرع النوباويون — غالبا — حبوبا أكثر مما يحتاجونه فى الغذاء ويصنع من معظمة البيرة المحلية « المريسة » (٣) •

---

(١) سلجمان — قبائل النيل الوثنية ص ٣٦٨ •
(٢) سلجمان مرجع سابق ص ٣٦٩ •
(٣) سلجمان المرجع السابق ص ٣٧٢ •

أما عن تنظيم الحياة العامة عند النوباويين فان سيطرة صانع المطر الذى كان يمارس نفوذا كبيرا قد تلاشت ، فبصرف النظر عن وجود « الملك » (تنطق بفتح الميم) الذى يعتبر همزة الوصل بين الجماعة والحكومة أو هو المسئول التنفيذى لها فان صانع المطر كان له نفوذ كبير ، ولذلك فان المحافظة على حياته من الأخطار كانت واجبة لأنه يجسد روح صانع المطر العظيم الذى مات منذ مدة طويلة (١) .

وبجانب صانع المطر يوجد القادة المحاربون أثناء الحرب ولو أنه لم يكن لهم نفوذ ولا قوة أمام نفوذ وقوة صانع المطر . كما أن السحر لا يقتصر على صانع المطر وحده ولكن يوجد السحرة المتخصصون ولكنهم أقل أهمية أيضا (٢) .

وبجانب ما سبق يوجد كبار السن الذين لهم كلمة مسموعة ، فعند « اللافوفا » تعقد محكمة كبار السن ، ولها أحكام نافذة (٣) .

ويسير النظام الاجتماعى عند النوباويين الجنوبيين على أساس النظام الأموى والزواج مسموح به من داخل الجماعة ولكنه لا يسمح به من داخل العائلة نفسها . والرباط الاجتماعى الواضح هو ما يوجد بين الطفل وعائلة أمه ، ولذلك فان نظام الميراث عند النوباويين الجنوبيين يسير على النظام الأموى حيث تذهب ممتلكات الرجل الى بن الأخت ، ولكن « سلجمان » يعتقد أن ملكية المنزل تصبح للمرأة ويكون من نصيب بناتها . أما فى تلال تيرامندى تيرا الأخضر ، الدلنج فان الميراث يسير على النظام الأبوى فيما عدا ملكية المنزل التى تصبح من نصيب المرأة وتورثه لبناتها (٤) .

---

(١) يقتصر هذا الدور الآن على المناطق الجنوبية القصوى فقط بعد انفتاح منطقة النوبا على الثقافات الأخرى خصوصا العربية الاسلامية .

(٢) سلجمان مرجع سابق ص ٣٧٦ .

(٣) سلجمان — مرجع سابق ص ٣٧٨ — أصبحت المحاكم على مستويات فهناك محكمة عليا على مستوى ناظر القبيلة والمكوك وأخرى على مستوى عمدة البلدة ومعه كبار السن . (الكاتب) .

(٤) سلجمان ص ٣٨٤ . بسؤالى لمعظم الجماعات الشمالية عن الميراث تبين انهم يسيرون الآن على نظم الشريعة الاسلامية . (الكاتب) .

أما من ناحية الدين فان الجزء الشمالى من المنطقة قد اعتنق الاسـلام ولا سـيما فى « المـدن » وان كانت توجـد جيـوب وثنية ونسبة لا بأس بها من المسيحيين خصوصا بين الكواليب أما سكان المنطقة الجنوبيـة فانهم ما زالوا يعيشون على الوثنية ، وبجانب صانع الأمطار ذى القداسة يوجد « خبير الطب » الذى له مكانة هامة أيضا وكذلك يوجد خبير للحبوب يحدد مواعيد الزراعة والحصاد « وخبير للحيوانات » لمعالجة الحيوانات ، كما يوجد صانع الحـديد ، وفى الوقت الحاضر انتشرت الخدمات البيطرية وكذلك توجد أقسام للارشـاد الزراعى بجانب الحرفيين المتخصصين فى أعمال النجارة والحدادة وغيرها ...

اللغات وعلاقة النوبا بالنوبيين :

من الصفات المميزة للنوباويين تعدد لهجاتهم لدرجة يمكن أن نجد فى كتلة جبلية محدودة أكثر من لهجة . ولا تفهم كل مجموعة من السكان لهجة المجموعة الأخرى وان كانت تتشابه فى العادات والتقاليد والمعتقدات بصفة أسـاسية . ومن الأمثلة الواضحة على ذلك سكان جبل الليرى ، حيث يعتبر سكان هـذا الجبل أنهم السكان الأصليون ، وقد قدم اليهم من جهة الشرق جماعة اللافوفا الذين أتوا من جبل تكم (١) . وقد اختلط الاليريون بالعرب فى المناطق المنخفضة الى حد ما . ويعترف اللافوفا بأنهم لا يفهمـون لهجة الاليريين ، كما أن قليـلا من الأخيرين هم الذين يتكلمون لهجة اللافوفا ، كما أن الاختـلاط عن طـريق الزواج بين المجموعتين ضئيل جدا . والى الغرب بحوالى ستة أميال على نفس التل توجد جماعة « تلسا » من أهل كورونجو الوطنيين ، بالاضافة الى اللاجئين من مختلف الجبال الشمالية الذين سبق أن غزاهم وأسرهم دراويش المهدى ثم استقروا حول سفوح تلال الليرى (٢) .

وقد أجرى بحث عن لغات منطقة النوبا فى الفصل الجاف من عام ٣٠/١٩٣١ لمدة ثلاثة شهور على نفقة الحكومة السودانية قام به اثنان من المتخصصـين فى اللغات (٣) لدراسة اللغات الموجودة فى المنطقة ومقارنتها ومحاولة التوصل الى

---

(١) توجد لهم حلة فوق الجبل وأخرى فى أسفله . (الكاتب) .
(٢) سلجمان ــ القبائل الوثنية ص ٣٧٠ .
(٣) SNR. Vol. 14 Part I : The language of The Nuba Mts. by : P. A. Mac Diarmid and D. N. Mac Diarmid p. 150.

الربط بينها ، وقد استعانا بمجموعة من الكلمات والجمل الملائمة للترجمة الى مختلف اللغات الموجودة فى المنطقة للمقارنة بينها • وبناء على ذلك قام الباحثان ببحث خمس وأربعين لهجة ووفقا لهذه الدراسة المقارنة بين هذه اللهجات توصل الباحثان الى وجود عشر مجموعات لغوية فقط فى جميع أنحاء المنطقة •

كما أن الدراسة التفصيلية الموسعة يمكن أن تجمع بعض هذه اللغات الى بعضها • وجاء فى هذا البحث أن « كل مجتمع تل » ينكر أن لغته تتشابه مع اللغات الأخرى حتى بالنسبة للمجتمعات المتجاورة ، ولكن بعد الدراسة تبين أن هناك تشابها بين اللهجات المختلفة • كذلك وجد الدارسان أن المجموعات اللغوية الموجودة أقل مما كان متوقعا • ومثال ذلك أن المنطقة الوسطى كلها بين دلامى وتندك فى الشمال الى تلال مورو فى الجنوب تحتوى على لغة واحدة • وتشمل هذه المنطقة تلال الكواليب ، الهيبان ، الأوتورو ، الشواى ، أمحيطان ، تيرا الأخضر ، كندرما ، مورو (باستثناء بعض القرى فى الوسط حيث تسود لهجة تلودى) ، أمدورين ، ليبو • وتندهش اذا وجدنا أن هذه اللغة تمتد شرقا حتى فونجور •

وفى هذه المنطقة الوسطى الواسعة توجد عديد من اللهجات يصل عددها الى احدى وعشرين لهجة رئيسية وغيرها الكثير • وأنه من الصعب على الوطنى الذى يقطن فى جنوب المنطقة أن يفهم لهجة زميله القاطن فى الشمال • ومثال ذلك أن أهل هيبان — وكان مع الباحثين اثنان منهم لمعاونتهما أثناء الرحلة — لم يستطيعا فهم لهجة شعب المورو فى كروراك واعتبروهم أجانب ، ويرجع هذا بدون شك الى الانعزال الدائم لفترة طويلة لكل مجموعة عن الأخرى (١) •

ويلخص الباحثان نتيجة الدراسة التى قاما بها فى المنطقة بأنه توجد عشر لغات — بجانب اللغة العربية — هى :

---

(١) ماك ديارميد — مرجع سابق ص ١٥١ ومن ص ١٥٢ الى ١٦٠ دراسة تفصيلية عن لهجات المنطقة وارتباطها ببعضها — ويعتبر هذا البحث من اقيم البحوث التى كتبت على لغات المنطقة .

١ ـ الكواليب :

وتشمل تلال : دلامى ، امبرمبيطـة ، تنـدك ، كواليب ، فكر ، أللـيرا ، هيبان ، أبول ، أوتورو ، شواى ، أمحيطان ، تيرا الأخضر ، كندرما ، تيرالمون (فى تلال مورو) ، مورو ، ليبو ، أمدورين ، لخة ، فونجـور ، كاو ، نيارو ، ورنه .

٢ ـ تقلى :

وتشمل تلال : رشاد ، تقلى ، كچاكچة ، تاجوي ، تورجـوك ، توميـلى ، وادلكا ، موريب ، تكم .

٣ ـ تلودى ـ مساكين :

وتشمل تلال : الليرى (النهاية الجنوبية من السلسلة) ، تلودى ، (تلودى، تسومى ، تاتا) ، بورام ، مساكين (جبل دجيج) ، تاتشو ، أتشيرون ، تورونا ، تومون (أربعة مجتمعات صغيرة فى تلال مورو) ، أهيما ، دلوكا .

٤ ـ تلودى ـ كادوقلى :

وتشمل تلال الليرى : (النهاية الشمالية للسلسلة) ، كوروندى ، تلودى (تومتوم) ، كورونجو ، تبانيا ، فاما ، التيس ، كورونجو ، أم عبد الله ، كانجا، ميرى ، كادوقلى ، مورتا ، كيجا الخيل ، دميك ، كدودو ، كيجا لبون ، كيجا تميرو ، والنوباويون فى الدار الكبيرة فى منطقة لقـاوة ، كمـدنج (كمده) ، توليشى .

٥ ـ داجـو :

وتشمل تلال داجو : (الدار الكبيرة .. الخ) شط الدمام ، شط الصفية ، شط التبلدية ، ليجورى ، سبورى ، تلو (شمال شرق كادوقلى) وأجـزاء من « أبو سنون » وأبو حاسم .

٦ ـ تمين :

وتشمل تلال تيس أم ضنب (شمال كادوقلى) كيجاچيرو ، تمين .

٧ ــ كتــــلا :

وتشمل : كتلا ، چلود ، تيما •

٨ ــ نيامانج (نيمانج) :

وتشمل تلال نيمانج ، مندل (فيما عدا جزء من الصبى) ، افيتى داير •

٩ ــ نوبية ــ تليه :

وتشمل تلال : دلنج ، غولفان ، دبرى ، نيبتو ، مورون ، تورون ، شيلما كابيلا ، والى كورون ، والى بابوى ، أبو سيده ، كونيت ، فاندا ، دولمـــان ، كاشا ، شيفر ، أبو جنوك ، طبق (طبج) ، كويچا ، شنشان ، بوسكا ، سيرجا ، بوباى ، أبو جرين ، كدرو ، دباتنة ، كلدجى ، كورتالا ، كافير ، داير (فيما عدا سدرا) (١) •

ويقسم الأستاذ « مينهوف » فى كتابه Eine Studienfahrt Nahk Kordofan (همبورج ١٩١٦) الذى يعتبر أحد المتخصصين الخبراء فى علم تطبيق اللغات أو شرح المصطلحات الفنية ، يقسم اللغات التى يتحدث بها سكان النوبا الى ثلاث مجموعات واضحة هى :

١ ــ النوبيـــة •

٢ ــ السودانيـــة •

٣ ــ أدوات السبق أو التصدير (٢) •

ويعلق (ماك ديارميد ــ الباحثان) على تقسيم (مينهوف) ســـالف الذكر بأنه يحتاج الى بعض التصحيح ، وكمثال على ذلك فانه اذا كانت (كاوارما) (الأوتورو والكندرما) لغة مسبوقة بأداة فينبغى أن تكون (كواليب) كذلك ، حيث أنهما ليسا فقـــط لغات متصـــلة ولكن من نفس اللغـــة • كذلك تلودى

---

(١) ماك ديارميد ص ١٦١ •

(٢) SNR. Vol. 15 Part 2 1923 : The Nuba Proper of Southern Kordo Fan. by : D. Haw Kes worth p. 159.

ودجيج (مساكين) ينبغى أن تكون من نفس المرتبة والتمتوم ينبغى أن تضم الى كورونجو • بالاضافة الى تغييرات أخرى ضرورية (١) •

أما « هيللسون » فانه يقسم مجموعات السكان حسب اللغة فى جبال النوبا الى :

١ ــ المتكلمون باللغة النوبية التلية •

٢ ــ المتكلمون باللغات السودانية •

٣ ــ المتكلمون بلغات أدوات السبق •

ويشير الى المجموعات الأولى فقط باسم نوبا ويدعم ذلك بالناحية التاريخية ، أما بالنسبة للمجموعتين الأخيرتين فانه يذكر أن الاسم مغلوط (٢) •

أما (مردوك) فانه يذكر أن النوباويين يتكلمون لغة من مجموعة مستقلة تماما هى المجموعة الكردفانية • وهذه المجموعة تنقسم الى خمس عائلات لغوية فرعية فى منطقة النوبا هى :

١ ــ الكتلا فى الشمال الغربى •

٢ ــ الكواليب فى الوسط •

٣ ــ التقلى فى الشمال الشرقى •

٤ ــ التمتوم فى الجنوب الغربى •

٥ ــ التلودى فى الجنوب •

ويضيف (مردوك) الى هذه الفروع مجموعة « التمنى » فى الجزء الغربى الأوسط من تلال النوبا • وكان (جرينبرج) هو الذى ابتدع هذا التصنيف أصلا فى عام ١٩٥٠ كمجموعة لغوية كبيرة قائمة بذاتها ، ولكنه عدل بعد ذلك عن اعتبارها مجموعة لغوية مستقلة واعتبرها ضمن العائلة الفرعية الشرقية من

---

(١) ماك ديارميد ــ مرجع سابق ص ١٦٢ .
(٢) هوكسورث ــ مرجع سابق ص ١٦٠ .

المجموعة اللغوية السودانية وأن المتكلمين بهذه العائلة اللغوية الفرعية ربما يعاملون كنوبيين أكثر منهم نوباويين وفيما يلي تفصيل للأقسام اللغوية التى أوردها « مردوك » :

١ ــ الكاتلا ــ مع أقاربهم من الجلود والتيما •

٢ ــ الكواليب ــ وتشمل الأبول ، دلامى ، عبرى ، هينان ، ككده ، كاتى ، كندرما ، كواليب أصليين ، لارو (الليرا) ، ليبو ، لخة ، مورو ، مومو ، ندورنو ، نكر ، نجاد هادو ، رينارو ، أوتورو ، شواى ، تندك ، تيرا •

٣ ــ (تقلى) وتضم الكجاكجة ، موريب ، رشاد ، تقلى الأصليين ، تاجوى ، توميلى ، توموك (أوتوماك) ، تورجاك ، وادلكا •

٤ ــ تلودى (تسومى ، تاتا) وتضم أتشيرون ، بورام ، دلوكا ، الليرى الشمالية والجنوبية ، اللافوفا ، لومون ، مساكين ، تاتشو ، تلودى •

٥ ــ تمتوم ــ وتضم دمك ، الليرى الشمالية ، فاما ، كادادوا ، كادوقلى ، كمدنج ، كانجا ، كروندى ، كيجا ، كورونجو ، ميرى ، مورتا ، تبانيا ، التيس ، توليشى ، التمتوم الأصليين ، توروج •

٦ ــ تمين ــ مع أقاربهم من الكيجاچيرو ، تيس أم ضنب (١) •

ويذكر « سلجمان » أنه اذا ما قورنت لغات النوباويين الجنوبيين بلهجات المحس ، السكوت ••• الى آخره التى يتكلمها البقارة فاننا نجد أن اللغات النوباوية الجنوبية تختلف اختلافا أساسيا عن اللهجات « البربرية » فى المفردات والتركيب النحوى • ومع ذلك فقد وجد منذ نصف قرن تشابه بين اللهجات « البربرية » ولغات أهل كردفان عند سكان المناطق الشمالية الذين خضعوا للتأثيرات الخارجية لمدة معقولة •

ويضيف « سلجمان » أن التأثير الخارجى هو المسئول عن وجود اللغات النوبية فى شمال كردفان • ويذكر أنه حدث تغلغل بطىء ــ ولكنه واضح من وادى النيل على الرغم من أن البروفسور (وسترمان) لا يقبل هذا الاقتراح

---

(١) مردوك ــ مرجع سابق ص ١٦٤ ، ١٦٥ •

ويعتبر أنه من غير الممكن لهذه اللغات النوبية أن تنمو نتيجة للتأثير الخارجي التجاري .

ويعتقد البرفسور (مينهوف) أن هذه اللغات النوبية أو المتأثرة بالحامية تمتد مائة ميل فقط جنوب الأبيض ، ولكن الاكتشافات الحديثة ـ كما يذكر « سلجمان » ـ توضح أنها انتشرت أكثر الى الجنوب ومن بين مظاهرها المميزة بقايا « نظام الصوت » وحدوث « الجنس النحوى » Grammatical gender

وفى المنطقة الجنوبية التى يعرفها العرب بالمقر الأصلى للنوباويين يمكن التعرف ـ كما يذكر « سلجمان » ـ على مجموعتين من اللغات :

الأولى : تشمل مجموعة من اللغات السودانية .

الثانية : سلسلة من اللغات أطلق عليها « مينهوف » (ما قبل الحامية) وتشابه لغات الباتنو والفولانى فى وجود (درجات أسماء Noun Classes وتوافق تتابعى Alliterative accordance وهى التى أطلق عليها دكتور « برنارد ستراك » لفظ باتنوية وهذه اللغات الأخيرة ـ التى لوحظت لأول مرة عام ١٩١٠ ـ تختلف عن اللهجات البربرية التى تحذف فيها تغييرات النحو عن طريق المقطع الأخير سواء بالنسبة للأسماء أو الأفعال ، أما فى تلك فانها تحدث نتيجة للتغيير الذاتى ـ وهى بذلك شبيهة بلغات الباتنو ، على الرغم من أن ذلك غير كاف ـ كما يذكر « سير هارى جونستون » لتأكيد ضمها الى الفئة الشبيهة بالباتنو .

ويذكر سلجمان أن الفئة الثالثة من اللغات توجد فى المنطقة الوسطى بين النوبية فى الشمال والباتنوية فى الجنوب ، وهى لغات سودانية مثالية (١) .

---

(١) سلجمان ـ القبائل الوثنية مرجع سابق ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

ويربط « سلجمان » بين أنواع اللغات فى منطقة النوبا والمظاهر الجسمية للسكان كما يظهر فى الجدول الآتى (١) :

المجموعة اللغوية	نسبة الرأس	نسبة الأنف	نسبة الوجه	نسبة الوجة العلوى	طول القامة
النوبية	٧٥ (١٣)	١٠١–١٠٢ (١٣)	٧٩,٩ (١٣)	٤٦ (١٣)	١,٧٥ (٤)
السودانية	٧٩ (١٣)	٣–١٠١ (١٣)	٨–٧٦ (١٣)	٣–٤٤ (١٢)	١,٦٩ (٥)
بانتوية	٧–٧٦ (٥٠)	٤–٩٣ (٥٠)	٨–٨٢ (٥٠)	٣–٨٢ (٥٠)	١,٧٢ (٤٦)

الأرقام التى بين الأقواس تبين عدد الحالات (العينات) التى أخذت عنها المعلومات .

ويذكر سلجمان أن النتيجة النهائيـــة هى أن كل تل له لهجته الخاصـــة التى تختلف عن لهجة سكان التل المجاور ، واذا كانت هنـــاك لغة مشـــتركة فان كل مجموعة تعيش معيشة مستقلة عن الأخرى أو فى حـــالة اكتفـــاء ذاتى لدرجـــة ملحوظة لذلك لا توجد أى درجة من درجـــات الزواج من الخـــارج داخـــل الجماعات الصغيرة أو على مستوى العشيرة (باستثناء منطقة الدلنج) (٢) .

ثم نأتى أخيرا الى نقطة هامة وهى علاقة النوباويين بالنوبيين أو تفســير وجود اللغة (النوبية التلية ــ تمييزا لها عن النوبية الشمالية) فى الجزء الشمالى من جبال النوبا وفى هذا الصدد يذكر (كوكزر) أن الدلائل اللغوية تشير الى وجود علاقات بين النوباويين فى الدلنج وغيرهم كانوا مرتبطـــين بالنوبيين على وادى النيل فان نظرة سريعة على مفردات اللغتين توضح التعرف السريع على هذه العلاقة ، وأنه رغم الاختلافات الموجودة بين لهجة « الأفيتى » وهى جماعة من النوبا تسكن جبل الداير ــ واللغة النوبية ، الا أن هناك صلة حقيقية لدرجة أنه يمكن التأكيد بأن هذه القبيلة تدخل ضمن النوباويين .

(١) سلجمان ــ القبائل الوثنية ص ٣٧٥ ــ وقد أصبحت اللغة العربية لغـــة مشـتركة بين النوباويين Lingua Franca ولا سيما فى المنطقة الشمالية والوسطى ويطلق على هذه اللغة اسم نوبى ـ عربى (الشعوب والسلالات الافريقية ص ٢٠٥) .

(٢) سلجمان ــ المرجع السابق ص ٣٧٤ .

ويضيف أن الأفيتى يتفقون فى بعض النقاط اللغوية مع النوبيين النيليين ، وفى النقاط الأخرى مع جبال النوبا وحدها ، بينما نجد أن امكانية الاستعارة مستبعدة •

أما من الناحية الاثنولوجية فان الأفيتى جزء من المجموعة النوباوية وان كانت هناك بعض العادات والمعتقدات الغريبة الخاصة بهم مثل بعض السمات اللغوية ويفسر ذلك بأنهم من مخلفات المملكة النوباوية القديمة التى كانت مزدهرة والتى كان الأفيتى ــ بدون شك ــ يرتبطون بها (١) •

ويؤكد ذلك ما جاء فى الموسوعة البريطانية مجلد ١٦ صفحة ٥٨٣ تحت عنوان (النوبا) أن لغات سكان تلال جنوب كردفان التى الى الشمال قليلا من بحر الغزال تختلف من ناحية التركيب النحوى والكلمات أيضا عن اللهجات البربرية ، أما التشابه الملحوظ بين هذه اللهجات البربرية وتلك الموجودة فى كردفان فينطبق فقط على تلك اللهجات التى يتكلمها عدد محدود فى المجتمعات الشمالية من المنطقة التى خضعت للنفوذ والتأثيرات الاجنبية (أى البرابرة) لمدة طويلة •

أما « هندرسون » فانه يذكر أن الصلات اللغوية فى « جنوب كردفان » مع دنقلة لا يمكن أن تفسر عن طريق العلاقات التجارية ، وانما تفسر على أساس أن النوباويين الذين يسكنون التلال الآن أتوا من الشمال الغربى ، وأن هناك احتمالا معقولا بأنهم أخلاف « النوبا الحمر » Red Nuba الذين وجدهم ملك أكسوم فى منطقة هواوير الحالية ، وظل بعضهم مترحلا فى الصحراء الليبية بينما كان اخوانهم يرعون القطعان فى Dode Kaschoines وكان الرحل خاضعين لخليط من الدماء العربية ودماء الرقيق (الزنوج) وبذلك اختلفوا عن الدماء التى كونت البرابرة الجدد فى وادى النيل ، وقد ظلوا أيضا وثنيين فى حين اعتنق البرابرة المسيحية أولا ثم اعتنقوا الاسلام بعد ذلك ، ثم استقبلوا جرعة حديثة من الدماء الحامية من غزوة البلالة Bulala وربما تكون هذه الغزوة قد ساقتهم ودفعتهم أمامها ناحية الجنوب • ويذكر « هندرسون » أنه

---

(١) SNR. Vol. 6. The Afitti Nuba of Jebel Daier and Their relations to The Nuba Proper. pp. 1—2.

ليس هناك سبب يدعونا الى ترجيح أنهم احتلوا تلالهم الحالية فى وقت متأخر • ويشير الى أن هناك دربا واضحا يتجه نحو الشمال الغــربى عبر تلال الاضيــة حيث يعتقد أنهم سلكوه فى هجرتهم الجنوبية من المنطقة الموجودة خلف جبــل ميــدوب •

ويعقد « هندرسون » مقارنة بين الرسوم الموجودة فى جبل (العفاريت) وتمثل الفرسان مع تلك الزخرفة الموجودة فى أماكن الدلنج ويذكر أنه رغم أن وجود الحصان نادر لدى سكان التلال الا أنه يفهم أن (سبر الحصان) (١) من أهم الاحتفالات الموجودة فى المنطقة •

ويذكر « هندرسون » أن الهجرة نحو الجنوب كانت عمــلا بطيئا وليس هناك ما يدعو للافتراض بأن جميع التلال أصبحت مأهولة كلها فى وقت واحد ، فمثلا بالنسبة للكاشا والشفر فى أقصى الشمال الغربى لمنطقة النوبا يمــكن أن يتذكروا متى غزوها للمرة الأولى ، أما شعب طبق (جنوب الكاشــا والشفر) فقد وافق على أنه جاء من اتجاه الأضية فى أواخر القرن الثامن عشر (ربما بعد غزو الفور لكردفان وغزو الحمر التالية) وأنهم أجلوا السود السابقين لهم من مكانهم •

ومعنى ذلك أن « هندرسون » يفترض أصلا واحدا للنوبيين الموجــودين الآن على وادى النهر والنوباويين (على الأقل فى الشمال) الموجودين فى جنوب مديرية كردفان ومن هنا كان التشابه اللغوى (٢) •

وقريب من رأى هندرسون سالف الذكر رأى « ارنست زيلارز » Ernst Zyhlarz الذى أورده « سلجمان » حيث يذكر أن الموطن الأصلى للنوبيين كان يوجد فى كردفان ، حيث كانت هناك دولة مكتظة بالسكان قسمت الى أقســام على أساس اللهجة فهناك مجموعة (ا) ومجموعة (ب) وقد اتجه جزء من مجموعة (ا) الى الغرب واستقر فى جبل ميدوب واتجه جــزء آخــر الى وادى النيــل

---

(١) السبر = احتفــال كغــيره من الاحتفالات مثل سبر الحصــاد وسبر الزراعة ... الخ .

(٢) SNR. Vol. 18 p. 325. by : K. D. D. Henderson

واستقروا بجوار الليبيين الذين كانوا هناك فعلا وكان ذلك منذ عدة قرون من بداية التـــاريخ •

وفى بداية عصرنا الحالى بدأ الجزء المتبقى من مجموعة (ا) فى الرحيل من كردفـــان • ويذكر « زيلارز » أنه توجـــد بعض عادات وتقاليـــد النوباويين (المتكلمون باللغات المكتسبة للصفات الحامية) ترتبـــط بأســـلافهم القـــدماء هؤلاء، وأن (البرابرة) كانوا أولاد أعمامهم وكانوا يعيشون سويا فى كردفان حتى ترك (البرابرة) المنطقة بعد صراع فيما بينهم حول ملكية الأضحية بخنزير • وقد اتخذت هذه الهجرة الثانية المجموعة (ا) طريق وادى الملك نحو النيـــل ، وان كانت بعض العناصر قد استقرت فى واحـــات درب الأربعـــين بينما اســـتقرت الأغلبية فى منطقة دنقلة ووجدوا هناك اخـــوانهم الســـابقين لهـــم اليها • وقد اكتسبوا خلال فترة الانقطاع فيما بينهما ثقافات جديدة •

أما عن مجموعة (ب) النوبية التى كانت ما تزال مستقرة فى الوطن الأصلى فيذكر « زيلارز » أنها أغارت فى القرن الرابع الميلادى على منطقـــة الجـــزيرة وقوضت مملكة « مرو » ولكنهم لم يتوافقوا مع سكانها الذين كانوا قد بلغوا شأوا فى الثقافة والحضارة فى حين كان التراث الثقافى لمجموعة (ب) متخلفا • وأخيرا ارتبطت مجموعة (ب) النوبيـــة مع أقاربهـــم الشـــماليين برباط الدين المشترك •

وخلال الفترة المسيحية كانت مملكة دنقلة الشمالية قد وصلت الذروة ثقافيا وسياسيا ، وبسطت نفوذها على الظهير الغربى حيث سيطرت على طرق التجارة الى افريقيا الوسطى ، وكان هذا التوسع الغربى يشمل منطقة ميدوب • وهـــذا يفسر حقيقة أن النوبيين القدماء المستقرين فى هذه المنطقة كانوا يعتبرون أنفسهم جزءا من مملكة دنقلة •

ويعلق « سلجمان » على هذا الرأى بقوله أن هذه الحجج وضعت أصـــلا على أسس لغوية أتقنها وأحسن عرضها أكثر « هلستون » الذى أكد على عدم الوضوح الذى سببه عدم التمييز فى تطبيق لفظ نوبا Nuba على جميع السود الذين يسكنون التلال فى كردفان ، حيث يوجد تمييز واضح بين ثلاث مجموعات

(شبه حامية ، سودانية ، شبه باتتوية) وتنطبق الحجج اللغوية على السكان الشماليين فقط الذين يتكلمون لغة شبه حامية •

ويذكر « سلجمان » أنه سواء كان رأى « زيلارز » صحيحا أو غير ذلك فان الصفات الجسدية بين النوبيين فى وادى النيل وسكان المرتفعات من النوبيين فى كردفان — الذين يتكلمون اللغات الحامية — ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار ، كذلك يذكر « سلجمان » أنه رغم أن معلوماتنا عن الأخيرين ضئيلة الا أنه من الواضح عدم وجود اختلافات جسدية كبيرة بين هؤء البرابرة (النوبيين) الحاليين وبين الذين كانوا يعيشون فى زمن سابق للتاريخ الميلادى بعشرين قرن من الزمان •

ويصل « سلجمان » الى نتيجة أنه اذا كانت لغة النوبيين قد وصلتهم من كردفان فانه سيترتب على ذلك نتيجتان فقط هما :

الأولى : اما أن يكون المهاجرون الحاملون للغة يحملون نفس الصفات الجسدية لنوبيى النيل •

الثانية : أنهم كانوا قلة لم يؤثروا فى الصفات الجسدية لنوبيى النيل وان كانوا قد فرضوا عليهم لغتهم وثقافتهم وحضارتهم(١) •

أما عن المجموعة التى يطلق عليها اسم المتكلمين باللغة النوبية التلية أو كما يسميها « هوكسورث » بالنوبا الحقيقيين Nuba Proper فانها كما يذكر تضم الجماعات التلية الآتية :

الداير ، الدلنج ، الكودر ، هبيلا ، مجموعة كاركو (وتشمل البابوا الغربيين والكروم الغربيين والأورسيد الغربيين) ، أبو جنوك ، الطبق ، الحجرات (وتشمل كوبجا ، شنشان ، بوشا ، سيجا ، بوباى ، أبو قرين) ، فاندا ، كونيت وتعرف أيضا باسم كجورية ، دبرى ، مجموعة نيامانج ، مجموعة مندل(٢) ويذكر « هوكسورث » أنه باستثناء النيامانج والمندل وأفيتى جبل

---

(١) سلجمان — القبائل الوثنية مرجع سابق ص ٤١١ ، ٤١٢ .

(٢) SNR. Vol. 15 The Nuba Proper of Kordofan. by : D. Hawksworth. p. 160.

الدير فان المجموعات السابقة تتحدث بلغة واحدة مع وجود بعض الاختلافات، وتشبه هذه اللغة لغة الدناقلة فى السودان الشمالى ، أما لغات النيأمانج ومندل وأفيتى جبل الداير فانها متشابهة أيضا • ولقد بحث « مينهوف » صحة وضعهم فى القائمة السابقة ولكن ما زالت هذه النقطة موضع بحث ودراسة • ويشير « هوكسورث » الى أنه بالقاء نظرة على الخريطة نجد أن هذه التلال محددة فى النطاق الشمالى لتلال جنوب كردفان ممتدة من (حجيرات) دار المسيرية فى الغرب الى مجموعة كدرو فى الشرق بينما نجد أن جبل دبرى الذى يقع على طريق الدلنج ــ كادوقلى يعتبر أقصى تلال هذه المنطقة جنوبا •

ويضيف « سنفنسون » على ذلك بأنه يوجد اختلاف واضح فى الوقت الحاضر بين النوبيين الذين يتكلمون لغة عربية فى دنقلة وجزء من مصر العليا أى الذين يقطنون منطقة النوبة وبين النوبا كلفظ عام يطلق على المجموعات القبلية فى جبال النوبا فى مديرية كردفان ، ويوجد غموض فى اللغة الانجليزية فى الاستعمال عندما يتحدث الكتاب عن النوبا وهم يقصدون النوبيين او العكس • ومما زاد فى الغموض أنه يوجد ارتباط لغوى (تحقق لأول مرة فى القرن التاسع عشر) بين اللغة النوبية فى وادى النيل ولغات بعض سكان التلال الشمالية من جبال النوبا مثل جبل الداير ، كدرو ، دلنج ، غلفان ، كاركو • وكذلك يتحدث ببعض أشكال هذه اللغة سكان جبل ميدوب والبرقد فى دارفور وكذلك فى جبل حرازة شمال كردفان ومنطقة شمال الأبيض(١) •

ويستشهد « ستيفنسون » برأى هللسون « الذى يقول بأن العرب المحدثين والأوربيين يطلقون لفظ نوبا على السكان المتزنجين الذين يسكنون تلال كردفان وهذا يؤدى الى غموض سيىء حيث أن ذلك يؤدى الى وجود انطباع مؤداه أن الزنوج الذين يشار اليهم بهذا الاسم العام شعب متجانس تجانسا تاما أو بشكل ما ، ولكن الدليل اللغوى يفترض وجود ثلاث مجموعات هى :

---

(١) Stevenson, R.C. : The Nuba People of Kordofan-An ethnographical Survey. M. Sc. (Econ.). Thesis. Khar. 1965. p. 4

رسالة غير منشورة (مكتبة جامعة الخرطوم) •

تمت عملية تهجير للنوبيين من الأراضى التى غمرتها مياه النيل بعد انشاء السد العالى الى خشم القربة فى السودان وكوم امبو فى مصر •

١ ــ المتكلمون باللغة النوبية التلية •

٢ ــ المتكلمون باللغات السودانية •

٣ ــ المتكلمون باللغات المسبوقة بأداة •

وينطبق اسم نوبا ــ ويحقق ذلك التاريخ ــ على المجموعة الأولى فقط . أما فى حالة المجموعتين الأخريين فان الاسم غير صحيح •

ولذلك فقد حاول « هوكسورث » كما سبق أن رأينا أن يطلق اسم النوبا الحقيقيين أو الأصلاء على الذين يتكلمون اللغة النوبية فقط من سكان التلال ، ويذكر « ستيفنسون » أن هذا اللفظ لم يقبل تماما (١) •

ويلخص « باربار » الموقف كله بأنه لا يوجد فى الوقت الحاضر بصفة قاطعة اى تشابه فى المظهر أو الحضارة بين النوباويين والنوبيين ، الا أن الدراسة اللغوية دلت على أن سكان جزء من المنطقة الشمالية من جبال النوبا يتكلمون لهجة مشابهة بطريقة ملحوظة للهجات النوبية بصرف النظر عن التشابه فى الأسماء لكلتا المنطقتين • والتفسير المرضى لذلك هو أن النوبيين المحدثين هم أصلا من « الجنس الأسمر » Brown Race وان كانوا قد احتفظوا ــ مع التعديل ــ بالنوع الحامى من اللغة التى كان يتكلمها أسلافهم ، ومن جهة أخرى فان النوباويين هم نوبيون يحتلون الآن الجزء الشمالى من جبال النوبا وكانوا قد هربوا الى هذه المنطقة قبل مجيء العرب ، وقد أطلق اسمهم خطأ على كل منطقة جبال النوبا بينما تلاشى المظهر الأسمر الذى كانوا عليه أصلا بسبب التزاوج مع السكان المحليين • وقد اختلط العرب مع الجنس الأسمر ومع الزنوج وامتزج بعض من الجنس الأسمر فى الجبال الغربية واعتبروا أنفسهم من العنصر العربى ، ومن أمثلة ذلك قبيلة البديرية ، واعتصم البعض الآخر منهم بالجبال ، ولهذا السبب ربما نجد أن العرب استخدموا لفظ (نوبا) للاشارة الى جميع السكان فى سلاسل التلال دون النظر الى الأصل وعلى وجه الخصوص منذ أن

---

١ SNR. Vol. 13. p. 144.

اختلط الناس السمر وهم أصلا من النوع النوبى ــ مع الزنوج وأصبحوا من الناحية الجسدية لا يختلفون عنهم(١) .

ويذكر (بولتون) أن التشابه اللغوى بين النوبيين والنوباويين فى شمال الجبال قد جاء من تحرك النوبيين من منطقة النوبة واختلاطهم بالنوباويين فى شمال الجبال فى كردفان وقد أدى هذا الى وجود اللغة النوبية التلية على الرغم من عدم وجود ترابط جنسى بين المجموعتين وهذا عكس النظرية التى سبق أن أوضحناها والتى تذكر أن النوباويين هم الذين غزوا منطقة النوبة وفرضوا لغتهم على السكان فى منطقة وادى النيل بعد هجرتهم اليها من كردفان(٢) .

أما الدكتور « عوض » فيذكر أن علماء اللغة قد وقعوا فى خطأ فادح عندما ربطوا بين النوبة والنوباويين وعلى الأخص هؤلاء العلماء ــ مثل فردريك مولر ــ الذين جعلوا العنصرين من عنصر واحد مشترك على الرغم من الاختلاف السلالى فى الصفات الجسدية الواضحة واختلاف اللغات ولا سيما فى المناطق الوسطى والجنوبية من جبال النوبا وكذلك الاختلاف الواضح فى التراث الحضارى . ويذكر أنه من المرجح أن النوبيين قد هاجر بعضهم الى شمال ثم الى جنوب كردفان واختلطوا بالسكان وخلعوا عليهم لغتهم وليس العكس الذى يقول بأن جنسا زنجيا هو الذى هاجر الى منطقة النوبة وفرض لغته على سكان هذه المنطقة على الرغم من أن هؤلاء السكان كان من الصعب فرض لغة وثقافة دخيلة عليهم . أما اللغات الأخرى المتأثرة باللغة النوبية والتى يتكلم بها السكان فى شمال كردفان ودارفور ــ كما هو الحال فى جبل ميدوب ــ وكذلك فى الأطراف الجنوبية من البطانة بين أعالى العطبرة والنيل الأزرق فيمكن تفسير هذا التشابه بما كان للنوبيين من التأثير فى اقليم النيل الأزرق وفى سهل البطانة بالذات كما كان لهم انتشار مؤكد فى دارفور وكردفان .

كما أنه يمكن تفسير وجود تشابه بين لغات البارى فى أعالى بحر الجبل والمساى فى هضبة أفريقيا الشرقية ولغة النيليين ــ أمثال الدنكا والشلك ــ بأن هذه الجماعات كلها دخلتها كثير من الدماء الحامية وأن اللغة النوبية

(١) Barbour, K.M. : The republic of the Sudan. London 1961. pp. 78—82.

(٢) SNR. Vol. 19 The Dubab of Jebel Daier p. 95.

كالشعب النوبى من أصل حامى صميم فمن المعقول أن تكون الثقافة الحامية قد تسربت الى جميع هذه الجماعات على بعد ما بينها من المسافات[1] .

الخلاصـــة :

بعد أن عرضنا لمختلف الآراء حول أصل « النوبا » ومدى صلتهم بالنوبيين تظل الملامح الآتية البارزة بالنسبة لهذه المجموعة السودانية :

١ ـ تنتمى هذه المجموعة الى الجنس الزنجى فى الدماء والصفات الجسدية الواضحة وان كانت قد تعدلت بعض الشيء فى الفترة الأخيرة .

٢ ـ أن هذه المجموعة التى يقتصر وجود كتلتها الرئيسية على جبال جنوب كردفان كانت تنتشر فى الجـزء الأعظم من مديرية كردفان ، وما زالت بعض بقاياهم توجد الآن فى شمال كردفان .

٣ ـ حدثت صلات تجارية وثقافية بين هذه المجموعة النوباوية وبين النوبيين الذين يسكنون على ضفاف النهر ، وتمخضت هذه الصلات عن اكتساب بعض من هذه المجموعة لجزء من اللغة السائدة عند النوبيين وعندما بدأ تقهقر هذه المجموعة نحو الجنوب أمام ضغط العناصر الأقوى خصوصا العرب اسـتقر هؤلاء الذين تأثروا بالنوبيين فى الأجزاء الشمالية من المنطقة التى يعيشـون فيها حاليا .

٤ ـ يسكن منطقة النوبا الآن عناصر عربيـة وفلاتة (من غرب أفريقيـا) وبعض من نيلوتيى الجنوب خصـوصا الدنكا والنوير . وأن هذه العنـاصر فى طريقها الى التمازج والانصهار . وبالتالى فانه سوف يجيء اليوم الذى يتكون فيه عنصر جديد هو خليط من هذه العناصر جميعا وان كان هـذا اليوم ليس بقـريب .

٥ ـ أن هذه المجموعة النوباوية كانت تتمتع بحضارة متقدمة فيما يبدو من الصور والأوانى الفخارية التى وجدت داخل الكهوف وخارجها كما أنها كانت على اتصال بغيرها من الحضارات الأخرى فى غرب أفريقيا ووادى النيل .

د . السعيد البدوى

---

(١) د . محمد عوض محمد ـ السودان الشمالى سكانه وقبائله ـ القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٢٨٧ : ٢٩٠ .

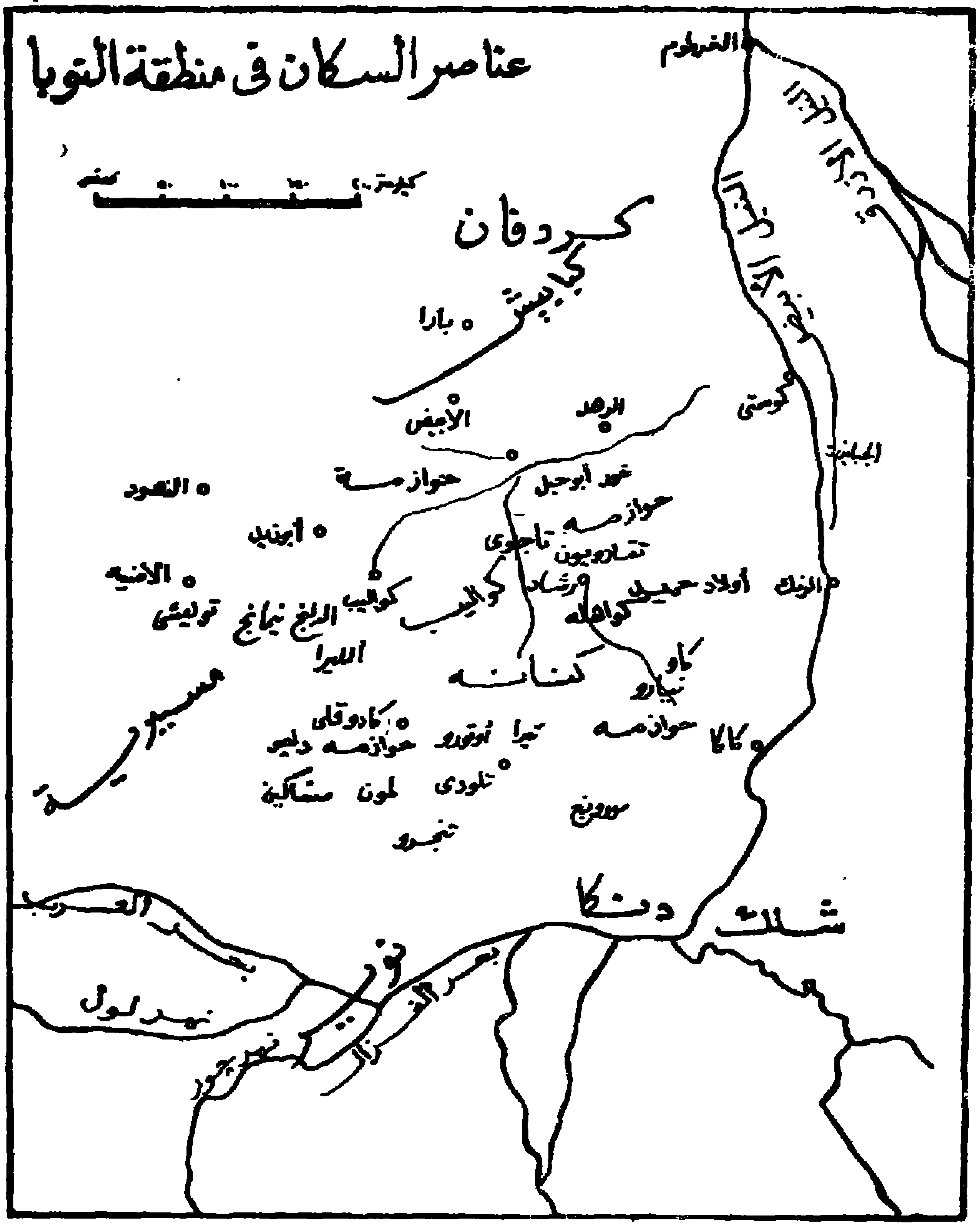
عناصر السكان فى منطقة النوبا
الخرطوم
كردفان
كبابيش
بارا
كوستى
الرهد
الأبيض
الجبلين
حوازمة
خور أبو حبل
النهود
أبو زبد
الأضيه
الرنك
كواليب
كنانه
مسيرية
كاو
نيارو
كادوقلى
تلودى
كاكا
دنكا
شلك
بحر العرب
نهر لول
نوير
بحر الغزال
نهر جور

الطيور كآفات زراعية فى أفريقيا

BIRDS AS AGRICULTURAL PESTS IN AFRICA

The most important pest among African birds is a member of the weaver birds (Fam. Ploceidae) known as the black-faced dioch (*Quelea quelea*) whose range extends in all the dry savannah regions of Africa but whose effects are worst felt in Senegal, Nigeria, and the Sudan. The next birds in importance are *Passer domesticus* in Egypt and the Sudan and *P. hispaniolensis* in Egypt and Libya. Other birds are of limited distribution but of considerable importance locally. These birds were normal components of their ecosystems but changes brought about by man caused them to break the barrier of ecological equilibrium. Extensive millet cultivation was the factor for *Quelea* while urbanization and the large-scale application of insecticides are responsible for the spread of *Passer*.

Samir I. Ghabbour

ان أهم طائر يؤثر على المحاصيل الافريقية هو طائر الكويليا (شكل ١) الذى يبلغ فى حجمه حجم العصفور الدورى العادى (الآفة التالية فى الأهمية) وهو ينتمى الى عائلة الطيور النساجة (بلوسيدى) وينتشر هذا النوع على امتداد منطقة السفانا بأكملها من المحيط الأطلسى الى وادى النيل ويمتد جنوبا عبر المناطق الجافة فى شرق افريقيا الى زامبيا وروديسيا وبعض مناطق جنوب افريقيا ولكن تتركز أضراره فى الجزء الشمالى من مداه الجغرافى أى من السنغال الى السودان عبر نيجيريا وينقسم فى هذا النطاق الى سلالتين احداهما كويليا كويليا فى السنغال والأخرى كويليا ايثوبيكا فى جنوب دارفور ومناطق المطر الوسطى بالسودان (شكل ٢) •

والغذاء الطبيعى لهذه الطيور التى تتميز بعاداتها التجمعية هو حبوب النجيليات البرية • وتنضم أفراده اذا كانت قليلة العدد الى أسراب العصافير الدورية فى جنوب افريقيا ، كما تقبل أسرابه هو انضمام غيره من العصافير

Dept. of Natural Resources, Inst. of African Research and Studies, Cairo University, Egypt. CAIRO AFRICAN STUDIES 1 : 101—123 (1972).

اليها • ويتراوح عدد الأفراد فى السرب من أقل من مائة الى بضع آلوف ، ولكن أفرادها دائما متقاربة جدا • وتتفرق الأسراب الكبيرة الى جماعات صغيرة فى نهاية موسم المطر عندما يتوافر غذاؤها من الحبوب التى تنضج على السنابل ولكن تتجمع الأسراب ثانيا فى نهاية موسم الجفاف عندما يكون من الصعب العثور على الحبوب بعد سقوطها من السنابل وتفرقها فى الأرض واستهلاكها بواسطة حيوانات أخرى عديدة • وبهذا التجمع تتساند الأسراب فى البحث عن الحبوب وعند توافر الحبوب فى نهاية موسم المطر يقتصر اهتمام الكويليا على القليل من أنواع النجيليات ذات الحبوب الصغيرة وكلما امتد موسم الجفاف ونفد هذا المورد انتقل اهتمام الكويليا بالتالى الى النجيليات ذات الحبوب الكبيرة بما فيها المحاصيل • وقد تبين فى نيجيريا أن طائر الكويليا يعتمد على حبوب أكثر من ٤٠ نوع مختلف من النجيليات ولكن القليل منها هو الذى يفضله فعلا ويمكن اعتبارها أساسية فى غذائه وأن المحاصيل الزراعية التى تعانى كثيرا من هجماته لا تمثل الا نسبة صغيرة من غذائه وان كانت تمثل خسارة كبيرة للمزارعين • ولا يهاجم الكويليا المحاصيل الا فى موسم الجفاف عندما تندر الحبوب البرية ولذلك ينصح باختيار محاصيل تنضج حبوبها مع نهاية موسم المطر حتى تنجو المحاصيل من الهجوم لتوفر الحبوب البرية ، اللهم الا اذا جاءت أسراب جائعة من مناطق أخرى أشد جفافا فتزيد من تعداد الطيور المحلية ومن ضغطها على مواردها الغذائية البرية •

وفى بداية موسم المطر يضيع مورد الحبوب نهائيا اذ تكون كلها فى حالة انبات فتحدث وفيات كثيرة من الجوع بين الأسراب وربما يكون هذا العامل هو الأساس فى التحكم الطبيعى فى تعداد الكويليا •

وتتجمع ملايين الأزواج من الكويليا لتعمل جنبا الى جنب فى بناء الأعشاش (شكل ٣) • وتسمى هذه التجمعات بالمستعمرات ، وقد تغطى مساحة ألف أو ألفى فدان • ويقوم الذكر ينسج العش على فروع أشجار الآكاسيا وتسكنه

الأنثى قبل أن يتم بناؤه • ويحدث السفاد دون استعراض غزلي وتوضع أول بيضة بعد السفاد بأربع وعشرين ساعة ثم تتلوها أخرى • وترقد الأنثى وحدها على البيض ليلا بينما يتناوب عليه الزوجان نهارا • ويفقس البيض بعد أسبوعين •

ويبدأ نسج الأعشاش فى بدء موسم المطر • والدافع الفسيولوجى لبدء نسجه هو منظر الأعشاب الخضراء النابتة الذى ينبه الجهاز العصبى للطائر • ويفقس البيض كله فى وقت واحد تقريبا فتسقط قشورها على الأرض وتعمل طبقة جيرية سميكة • وتتجمع فى هذه الفترة كل أنواع الحيوانات المفترسة حول المستعمرات مما يضع حدا طبيعيا على التكاثر المضاعف لهذه الطيور • وتشمل قائمة أعداء الكويليا النسور والشواهين والبوازى والعقبان الافريقية ، بالاضافة الى نوع من العقبان مهاجر من أوروبا • وفى موسم التكاثر تضاف آكلات البيض والأفراخ مثل مالك الحزين والتوكان والأصلة والثعبان المنقارى فى شرق افريقيا • ولحماية الأفراخ من هذا الخطر يزود كل عش بدهليز طويل يجعل من الصعب على الثعابين الولوج الى العش • زد على ذلك أن النساج لا يكتفى ببناء عش واحد بل يبنى عدة أعشاش كاذبة على الفروع الأغلظ من نفس الشجرة لخداع الثعبان (شكل ٤) •

ويعتقد كلاودزلى — تومسون (١٩٦٩) أن المفترسات ليس لها تأثير هام على تعداد الكويليا البالغة حيث أن أكثر نشاطها يكون فى بدء موسم المطر وهو الوقت الذى تموت فيه أعداد كبيرة من الكويليا جوعا على أية حال •

يؤثر طائر الكويليا على اقتصاديات ١٧ دولة أفريقية بدرجات متفاوتة بهجومه على محاصيل الحبوب من أرز وذرة رفيعة وقمح • وقد كانت هذه الطيور تهاجم المحاصيل من قبل ولكن لم يكن ضررها محسوسا نظرا لصغر المساحات المنزرعة ولوفرة غذائها من الحبوب البرية ولأن المزارعين ابتكروا طرقا مناسبة على المستوى المحلى لزراعاتهم الصغيرة لافزاع الطيور بعيدا عن مزارعهم المحدودة • أما الآن وفى ظل ظروف التوسع الزراعى وادخال محاصيل الحبوب الصغيرة مثل القمح والأرز وزراعتها فى مساحات شاسعة تبلغ الآلاف من الأفدنة فان طردها من مثل هذه المساحات أصبح مشكلا غير قابل للحل •

ولا يعتقد الخبراء أن تعداد الطيور قد ازداد بعد توفر هذه الأغذية الجديدة ولكن المعتقد هو أن تجميع الزراعات وتكثيفها هو الذى أدى الى تركيز الأسراب الصغيرة المتعددة فى أسراب كبيرة بحيث أصبح أثرها أوضح عندما تنقض على المزارع • وقد يصل معدل الخسائر فى معظم الأحيان الى ما يوازى نصف المحصول • وتعتبر منطقة غرب افريقيا أكثر المناطق تعرضا لأضرار الكويليا وخاصة فى مناطق انتاج الذرة والأرز فى حوضى السنغال والنيجر كما أنها أضرت كثيرا بمشاريع انتاج الأرز فى شرق أفريقيا وانتاج القمح فى تنزانيا • ويبلغ من تحكم هذه الطيور أنها تدفع الكثير من المزارعين الى التخلى عن زراعة الذرة الرفيعة التى يفضلونها والتحول الى زراعة الذرة الشامية أو الكسافا بدلا منها وهما محصولان لا تهاجمهما الكويليا ولكن لم يعتد عليهما الأهالى • ولن تتمكن الذرة الرفيعة من البقاء ما لم تحل مشكلة الكويليا • وقد جربت عدة وسائل لمكافحة الكويليا : فمن المواد السامة الى الغازات الخانقة ومن المفرقعات الى النار ولكن لم تعط أى وسيلة منها نجاحا يذكر • وتكلف المكافحة بالمفرقعات فى اقليم بورنو بشمال نيجيريا ١٤٠٠٠ جنيه فى السنة يتوفر منها ١٥٠٠ طن من الطيور المقتولة التى يجمعها الأهالى ويأكلونها ••• حتى أن بعض الخبراء النيجيريين يقترح استبدال رعى الماشية برعى الكويليا لأن تكاليف الكيلو جرام منها لا يزيد عن قرش صاغ واحد • بل أن تقليل تعداد الماشية سيؤدى الى التقليل من مشاكل الرعى الجائر والزائد وبذلك تتوفر كميات كافية من الحبوب البرية فتكف الكويليا عن مهاجمة محاصيل الحبوب المزروعة • وستحل أيضا مشاكل تعرية التربة الناجمة عن الرعى الجائر والزائد • يضاف الى ذلك أن مساحة كبيرة من اقليم بورنو تقع فى نطاق حزام انتاج الصمغ العربى وتصلح له ، وأشجار الآكاسيا المنتجة للصمغ العربى مثالية لبناء أعشاش الكويليا • أما زرق هذا الطائر فيستخدمه الأهالى فى التسميد ويفضلونه كثيرا عن روث البقر لدرجة أنه يباع فى الأسواق المحلية • وهذه النقطة فيها الرد على من يقولون بأن تقليل الرعى من الماشية سيقلل من كمية السماد العضوى (تقرير دون توقيع « أنونيموس » ١٩٦٧) •

ويحسن أن نتوقع خطر تحول الكويليا الى وباء أشد بلاءا فى جنوب دارفور ومناطق المطر الوسطى بالسودان على أثر التوسع فى زراعة الذرة

الرفيعة بعد حفر أكثر من ٧٠٠ بئر فى منطقة حزام العطش وكذلك فى زراعة القمح بمشروع الدندر على مياه خزان الروصيرص • وتتم مكافحة الكويليا فى السودان بالاندرين حيث قدرت الخسائر التى يسببها لمحاصيل الحبوب بألوف الأطنان سنويا (التقرير القومى لجمهورية السودان الديمقراطية ١٩٧١) •

ولن تكون حملات المكافحة ناجحة تماما لأن هناك دائما فرصة دخول أسراب جديدة الى أى منطقة تخلو من قاطنيها الأصليين من المناطق المجاورة • يضاف الى ذلك أن تعداد الكويليا يظل ثابتا من عام لآخر حتى بدون مكافحة • وحيث أن الزوج الواحد يضع بيضتين فان هذا يعنى أن نسبة الفاقد من التعداد تساوى نسبة الزيادة من التكاثر وهى ٥٠٪ • وتفقد هذه النسبة بطرق طبيعية أهمها الجوع والمفترسات • فاذا أريد للمكافحة أن تنجح فيجب أن تصل نسبة الفاقد الى ٧٥٪ على الأقل حتى تعطى نتيجة محسوسة • وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن المكافحة لا تقتل أكثر من ٥٠٪ من الأفراد التى كان الموت لها بالمرصاد على أى حال • وقد تكون المكافحة مفيدة فى المناطق المصابة ولكن لفترة محدودة • ويكمن الحل البعيد المدى فى بحث العلاقة بين مدى اصابة المحصول وبين موعد نضجه وليس فى ايجاد وسائل أكفأ للابادة • وهناك أمل كبير فى أن تغيير أنماط الزراعة بحيث تنضج المحاصيل فى الأوقات التى لا تثير اهتمام الكويليا قد ينجح فى انقاذها • وهنا تبدو الحاجة الى حل ايكولوجى بدلا من الحلول التجارية السريعة والسهلة التى لم تصل الى نتائج حاسمة •

وتعتبر مشكلة الكويليا من المشاكل التى تستدعى التعاون الافريقى الدولى على نفس المستوى المعمول به لمكافحة الجراد • وهذا هو ما دعا السنغال الى تنظيم مؤتمر لمكافحة الكويليا فى داكار عام ١٩٥٥ • وقد كلف المعهد الأساسى لافريقيا السوداء بداكار بوضع خريطة تلخص البحوث الخاصة بالتوزيع الجغرافى وعادات الأنواع المختلفة من الطيور النساجة • ومن بين المعلومات الأولية المتوفرة أن طيور الكويليا تفضل سلالات معينة من الذرة عن غيرها فيمكن اذن اتقاء شرها بانتخاب السلالات غير المرغوبة من جانب الطيور بواسطة تجارب الوراثة فى المشاتل •

أما فى افريقيا البحر المتوسط وفى حوض النيل فان هناك مجموعة أخرى من الطيور قد ظهر أثرها واضحا كآفات زراعية فى الآونة الأخيرة (شكل ٥) •

ويمثل السودان همزة الوصل بين مناطق انتشار الكويليا التى تمتد منه جنوبا وغربا وبين مناطق انتشار العصفور الدورى (وغيره من الطيور التى تحولت الى آفات) التى تمتد شمالا الى مصر ثم غربا الى الجزائر عبر ليبيا وتونس .

ويهاجم اليمام محاصيل الحبوب بأعداد قليلة فى الجزائر وتونس وشمال غرب ليبيا وواحة غدامس ثم لا يرى فى شرق ليبيا . ولكن يرى ثانيا فى الدلتا حيث يقيم (أى أنه ليس من الطيور المهاجرة) . أما الزرزور فيصيب محصول الزيتون فى تونس ومحاصيل الزيتون والشعير فى شمال غرب ليبيا بأضرار جسيمة ويهاجم أيضا محاصيل الحبوب الشتوية (القمح) فى الدلتا حيث أنه مهاجر . ويهاجم العصفور الأسبانى (وهو قريب الشبه جدا من العصفور الدورى) حقول الشعير ومزارع الزيتون فى شمال غرب ليبيا مشتركا فى ذلك مع الزرزور . كما أنه يهاجم محاصيل الحبوب فى غدامس وسبها ولكنه لا يوجد شرق سرته ثم يظهر ثانيا فى مصر بين سيوة والعامرية وهو يفتك بمحصول الشعير على الساحل الغربى فتكا ذريعا . وهو يختلف عن أسرابه من نفس نوعه فى ليبيا فى أن هؤلاء مقيمون فى ليبيا ولكنه فى مصر مهاجر لا يأتيها الا شتاءا فى جماعات كبيرة العدد جدا وهو يخرب الحقول فى سيوة ومرسى مطروح حتى العامرية شرقا . وهو يوجد أيضا فى الأجزاء الجنوبية من الدول الأوربية المطلة على البحر المتوسط من أسبانيا غربا حتى تركيا شرقا . وغير معروف أن كانت الأسراب التى تزور مصر شتاءا تأتيها من الشمال عبر البحر المتوسط أو من الغرب من ليبيا عبر جنوب برقة وسرير كلانشو . ويمكن التوصل الى مصدرها بتجارب وضع حلقات حول أرجلها ثم تتبع ما يصاد منها ــ وذلك بغرض تنسيق المكافحة مع الدول الأخرى .

وفى مصر عدة أنواع من الطيور التى تهاجم المحاصيل فى مناطق محدودة ولكن لها أثر محسوس على المستوى المحلى . ومن هذه الطيور العصفور الخضيرى (أو الجنزور) وهو مهاجر يأتى شتاءا الى سيناء والدلتا وغذاؤه الحبوب والفاكهة ولم يكن معروفا من الفيوم من قبل (الحسينى ١٩٥٤) ولكننى وجدته هناك يهاجم محصول الفول بشراهة فى شتاء ١٩٧١ . ومن الجدير بالذكر أن العصفور الدورى الذى يهاجم نفس المحصول فى نفس الموسم فى

الدلتا لا يوجد فى الفيوم على صورة آفة • فيبدو أن هناك عوامل ايكولوجية جعلت العصفور الخضيرى يتقدم ليلعب الدور الذى لم يستطع العصفور الدورى القيام به فى الفيوم لسبب ما بينما يقوم به فى الدلتا حيث لا يمثل الخضيرى آفة • ويمثل طائر آخر يسمى الصفارية (أو العصفر) وباءا يصيب محصول البلح فى الواحات البحرية وهو المحصول الرئيسى هناك ولكن الأهالى يرحبون بمجيئه فى شهر سبتمبر من كل عام (وقت نضج البلح) لأنهم يصيدونه ويأكلونه •

أما فى الدلتا وفى وادى النيل فان الآفة رقم ١ من بين الطيور هى العصفور الدورى بلا منازع • وهو ينقسم الى سلالتين هما النيلى فى الدلتا ووادى النيل حتى أسوان جنوبا ثم الشجرى فى السودان من شمال الخرطوم حتى سنجة على النيل الأزرق • والأخير يصيب محاصيل الحبوب بخسائر كبيرة كما أنه يسبب مضايقة سكان المدن والقرى بافساده للدهانات والأثاث ويمكنه أن يعشش داخل المنازل • والمنطقة الواقعة بين أسوان حتى قرب عطبرة أى منطقة النوبة أساسا تكاد تخلو من العصفور الدورى لجفافها الشديد ولضيق الوادى عندها ولذلك ينتهز الكثير من الطيور الصحراوية الفرصة (مثل القطا والقبرة) فيأتى من الصحراء المجاورة فى أسراب كبيرة لتهاجم محاصيل الحبوب ثم تعود أدراجها الى الصحراء لتبيت • وأغلب الظن أن زراعات المستقبل على شواطىء بحيرة ناصر ستتعرض لهجمات هذه الطيور الصحراوية بشدة • وقد بلغ من شدة هجماتها فى اقليم دنقلا أنه قد امتنع على المزارعين زراعة أشجار التين أو الجوافة بالرغم من ربحها الوفير وتجدهم يكتفون بالحمضيات •

بقيت ثلاث أنواع أخرى من الطيور تهاجم محاصيل الحبوب فى مصر بأعداد قليلة جدا وتأكل الحشرات الى جانب الحبوب فيمكن اعتبار نفعها أكبر من ضررها ولكن التغيرات الهائلة التى حدثت وما تزال تحدث فى البيئة والتى تخل بالتوازن البيئى والتى جعلت كثيرا من الطيور يتحول الى آفات خطيرة ليس من المستبعد أن تجعل المزيد من الطيور البريئة حاليا تتحول أيضا الى آفات فى المستقبل القريب أو البعيد •

وهذه الأنواع الثلاثة هى السمان (السلوى) والعصفور الظالم والجشنة

الحمراوية الزور • والجدول رقم (١) يبين الأسماء العربية والعلمية والانجليزية لهذه الطيور جميعها مع بعض ملاحظات عنها •

وقد حظى العصفور الدورى باهتمام كبير فصدرت عنه دراستان مستقلتان (سمرز ـ سميث ١٩٦٤ ومحروس صالح ١٩٦٨) ، كما تناولته عدة دراسات أخرى (مثل : ميلانبى ١٩٦٧ ؛ د • عبد الحكيم كامل ١٩٧١) • ويقول الدكتور عبد الحكيم كامل (١٩٧١) أن العصافير أصبحت آفة هامة فى مصر فى السنوات القليلة الماضية ويتسبب عنها فقد كمية كبيرة من الحبوب فى المخازن فضلا عن أنها تتلف الجوالات بأحداث ثقوب صعبة الترميم تتبعثر منها الحبوب أثناء عبئها أو أثناء النقل •

وقد بدأ ظهور الشكوى من العصافير كآفة خطيرة للمحاصيل فى مصر فى عام ١٩٦٧/٦٦ على وجه التحديد عندما قيل أنها التهمت أو أتلفت آلوف الأطنان (!) من الحبوب فى محافظات البحيرة وكفر الشيخ وسوهاج • وقد استدعى الأمر فى محافظة كفر الشيخ اعطاء تلاميذ المدارس الابتدائية أجازة فى شهرى ابريل ومايو ١٩٦٧ وخاصة فى مدينتى دسوق وفوة لتجنيدهم فى مكافحة العصافير بالدق على علب الصفيح لمدة طويلة وذلك تطبيقا لما قيل من أن العصافير لو استمرت طائرة أكثر من ١٥ دقيقة فانها لا بد أن تسقط ميتة من الاعياء وأن هذه الطريقة قد جربت بنجاح فى الصين الشعبية • وظلت الشكوى مستمرة من العصافير فقيل أنها التهمت خمسة آلاف طن (!) من الحبوب المخزونة فى دمنهور سنة ١٩٧٠ • وفى شتاء ١٩٧١ وصلت الآثار المدمرة للعصافير فى محصول الفول الى أبعاد خطيرة للمرة الأولى اذ أنه يبدو أنه لم ينج منها حقل واحد فى الدلتا (شكل ٦) وهى تهاجم الفول الأخضر وتنقره وتفسد باقلاءاته • وقد كان لهذا الهجوم المفاجىء دخل كبير فى نقص المحصول تلك السنة عما كان متوقعا وفى تأخر ظهور المحصول الجديد فى الأسواق • وقد اضطر جميع زارعى الفول بلا استثناء الى تجنيد صبية معهم علب من الصفيح بها قطع من الحجارة وتحريكها باستمرار والجرى بها لافزاع العصافير ولكن بدون جدوى • وقد قمت بعمل احصاء لتقدير مدى الخطورة النسبية لهذه الطيور وقتها فوجدت أن العصافير الدورية تحط على حقول

الفول بأعداد تصل الى عدة مئات للسرب • ويجمع المزارعون على أن مثل هده الكثافة لم يسبق أن شاهدوا لها مثيلا • ويتواجد فى نفس الحقول اليمام المصرى (من ٤ ــ ٥ أزواج للفدان) والقبرة المتوجة (٢ أو ٣ للفدان) والسمان (١ أو ٢ للفدان) والزرزور (١ أو ٢ للفدان) •

وقد اتضح من مراجعة التقارير المكتوبة من قبل (مثل هويسبر ــ الذى أجرى معظم ملاحظاته سنة ١٩٠٨ وان ظهرت الترجمة العربية لكتابة سنة ١٩٦٧ ــ وبرو كسبانك ١٨٢٥ وجريفز ١٩٣٦) أن العصفور الدورى كان وقتها الطائر المصرى الوحيد الذى يمكن اعتباره ــ الى حد ما ــ آفة وأنه لم يبلغ أبدا من الخطورة الدرجة التى يشاهد عليها الآن وكان يهاجم القمح والذرة الرفيعة فقط ولم يرد أى ذكر لمهاجمته للفول أو الشعير أو الأرز • كما أنه يتضح من تسمية أداة افزاع العصافير المسماة « خيال المقاتى » أن العصفور كان يهدد محاصيل العائلة القرعية بالأخص وعلى أن تهديده للحبوب لم يكن مثيرا لاهتمام المزارعين •

ومن هنا يجب أن نوجه اهتمامنا فى منطقتنا الى العصفور الدورى لدراسة عاداته وأعدائه ولاستقصاء أسباب استفحال أمره فى السنين الأخيرة •

طباع العصفور الدورى :

يصف بروكسبانك (١٩٢٥) بالتفصيل طريقة هذا العصفور فى بناء عشه فيقول :

« يبنى العصفور الدورى عشه فى أماكن واضحة جدا »
« وقريبة من مساكن الانسان ••• حتى أن انتشار »
« العمران يساعد على ايجاد أماكن مناسبة لهذا »
« العصفور لبناء أعشاشه • فمن ماسورة ملاصقة »
« الجدار الى ثقب أو شجرة أو فجوة أو مصابيح »
« اضاءة الشوارع • • • الخ • وتقوم الأنثى بالعبء »
« الأكبر فى بناء العش وتضع به ٤ أو ٥ بيضات »
« زرقاء مشوبة بالخضرة بها الكثير من البقع البنية »
« وبعد حوالى ١٥ يوما يفقس البيض عن الأفراخ • »

ويقول جريفز (١٩٣٦) أن العصفور يحصد الحبوب فى موسم الحصاد ولكنه يوازن ذلك بقوله أن هذا العصفور يستهلك كمية كبيرة من بذور الأعشاب والحشرات الضارة بقية العام • ويقول الحسيني (١٩٥٤) هذا العصفور موجود على ساحل البحر المتوسط حتى الضبعة غربا • ويقول أيضا ان هذا العصفور يغتذى بالحبوب ويفتك بالمحاصيل الزراعيه ولكنه يتغذى بالحشرات كما تفعل صغاره التى يربيها عليها • ويوضع البيض من مارس الى يونيو ويحط على الأشجار فى الخريف فى تجمعات كبيرة قدرت بعض أفرادها بمئات الألوف ولذلك يسهل صيده فى هذا الفصل • أما الدكتور عبد الحكيم كامل (١٩٧١) — فيقول أنه ينتشر بالمدن المزدحمة كما ينتشر فى القرى ، وأنه يغتذى أساسا بالحبوب وعلى الأخص فى الشون والأجران كما يغتذى بالحبوب والنبت الحديث فى الحقول وبأزهار الفول وبذوره الخضراء داخل الباقلاءات ، كما يهاجم سنابل الشعير والأرز فى طورها اللبنى وطور النضج ويفضل العصفور عموما الحبوب الصغيرة •

ويأكل العصفور الواحد فى اليوم حوالى ٤ جم من حبوب القمح أو ٣ جم من حبوب الذرة الرفيعة ، ومعنى ذلك أن مليون عصفور يمكن أن تستهلك ٤ طن من القمح أو ٣ طن من الذرة أو الأرز أو الشعير علاوة على الفاقد من تسزق الأجولة • وتخرج العصافير عدة مرات فى اليوم باحثة عن غذائها الا أن نشاطها يكثر فى الصباح الباكر وقرب المساء • ويمكن أن تبنى الأنثى فى المدة من مارس الى يونيو ٣ — ٤ أعشاش • ويعيش عصفور النيل الدورى من ٤ الى ٥ سنوات فى المتوسط وتضع الأنثى بيضها على مدى هذه السنوات أى يمكن لها أن تضع فى حياتها من ٤٥ الى ٨٠ بيضة بمتوسط ٦٠ بيضة •

ومن خلال مراقبتى للعصفور الدورى النيلى وجدت أن بناء العش يبدأ فى الواقع من أواسط فبراير ويمكن أن يستمر الى يونيو ولكن تظل العصافير تستخدم العش الى سبتمبر حيث تهجره تماما ولا تعود الا فى الموسم التالى • ويفسر هذا ظاهرة تجمعها على الأشجار فى الخريف اذ أنها تهجر الأعشاش بعد انقضاء موسم التكاثر كما تنضم الأفراد اليافعة الى أسراب البالغين ويجب

تشديد المقاومة ضـد الأنثى فى فترة بناء الأعشاش من فبراير الى يونيو حيث أننى وجدت أنها هى التى تقوم فعلا ببناء العش وجمع القش اللازم له ووضعه فى مكانه المناسب بينما يقوم الذكر بالحـراسة • وقد تستغرق الرحلة لجمـع القشـة من ٥ دقائق الى نصف ساعة وتكون الرحلات فى خط سـير منتظم ومتـكرر •

الأعداء الطبيعيون للعصفور الدورى :

ذكر هويمبر (١٩٦٧) أنه شاهد مجموعة من العصافير الدورية بالأقصر وقد تعقبها باشق آسيوى صرع واحدا منها • وأغلب الظن أنه كان يقصد الباشق الأوربى الذى يقول عنه الحسينى (١٩٥٤) انه من طيور مصر المهاجرة يفد اليها فى سبتمبر ويرحل فى مايو وهو يكثر فى وادى النيل وسيناء ، ولكنه غير معروف فى الواحات • ويدل اسمه باللغة الانجليزية (صقر العصافير الدورية) على أن العصافير الدورية هى غذاؤه المفضل • أما الباشق الأسيوى فيقول الحسينى انه نادر فى أفريقيا عموما حيث جمع منه فرد واحد فقط فى جبل علبة •

ومن المحتمل أن يلى الباشق الأوربى فى أهميته كعدو للعصافير نوع آخر مقارب له هو الشاهين الأوربى وهو مهاجر يمر بمصر فى الخريف والربيع وهو من أشد الصقور فتكا بالطيور الأخرى • ثم تليه العقاب المسيرة الصغيرة التى تهاجر الى مصر فى سبتمبر وتمكث بها حتى مارس وهى من أشد سباع الطير فتكا بالطيور الأخرى • ويقيم عندنا الشاهين المغـربى فى القـاهرة وحلوان والأقصر ، وهذا هو الصقر الذى يصيد الحمام وطيورا أخرى صـغيرة • ثم الحر وهو منتشر فى وادى النيل حتى الأقصر وكذلك فى سيناء وغذاؤه المفضل الهدهد • وبعد ذلك اليؤيؤ الذى يقضى الشتاء فى مصر وهو يصيد الطائر أثناء طيرانه • والعوسق المصرى الذى يفضل الطيور الصغيرة وهو مقيم ويبنى عشه على النخيل ويؤكل لحمه فى الصعيد والواحات الخارجة حيث يسمى «سقاو» • وربما كان هو الذى رسمه قدماء المصريين رمزا للصقر حورس وان كان ذلك موضع خلاف بين العلماء •

ويذكر الحسينى (١٩٥٤) نوعين من البوم يأكلان الطيور الصغيرة همـا البعفة الحمراء القرناء : المعروفة فى الجيزة والفيوم وسيناء والوادى الجديد ،

وأم قويق وهى واسعة الانتشار فى مصر عدا الاسكندرية وسيوة وهى تصيد خاصة أفراخ الطير • والحدأة من أشهر الطيور الجارحة وأوسعها انتشارا فى المدن وقد تسهم فى تقليل أعداد العصافير بالتهام أفراخها وقد يقوم الغراب أبو برنس (الغراب البلدى) بنفس العمل • ولا يوجد أدنى شك فى أن الغراب يسرق البيض والأفراخ غير المرتاشة من الأعشاش •

هذه اذن هى الطيور التى يمكن أن يدخل العصفور الدورى ضمن غذائها• ومنها ٤ طيور مهاجرة فيكون لدينا فى الشتاء ١٠ طيور جارحة تفترس العصافير تكتمل الى ١١ فى الخريف والربيع ثم تنقص الى ٧ فى الصيف ، ولكن أكثرها فعالية لاعتمادها الأكبر على العصافير كغذاء هى البواشق والشواهين • ومما يؤسف له أنها عرضة لاطلاق الرصاص عليها كلما شوهدت لأنها تصيد بعض الحمام دون أى اعتبار لما تؤديه مقابل ذلك من خدمات جليلة بوقف تكاثر العصافير الدورية عند الحد الذى يجعلها لا تتحول الى وباء •

لماذا تحولت العصافير الدورية الى آفة ؟ :

لم يكن العصفور الدورى يهاجم المحاصيل بما ينطوى على خسارة تستحق مكافحة جدية من جانب المزارعين مع ما به من مميزات ترشحه لمرافقة الانسان فى البيئات الصناعية التى يخلق لنفسه • فما الذى جعله وباءا خطيرا للأرز فى ١٩٦٦/١٩٦٧ وللفول فى ١٩٧١ ؟ •• ان التفسير المعقول هو أنه لا بد أن حدث تحول بيئى هام أثرا على هذه المخلوقات وجعلها تخترق حاجز حالة الاتزان البيئى التى كانت عليها من قبل لتهاجم محاصيل لم تكن تهتم بها ، وفى أوقات من السنة لم تكن شرهة فيها أو زادت أعدادها هى نفسها أو وجدت فرصا أكبر للتكاثر • ومن الثابت أن تغيير البيئة له أثر على العصفور الدورى • فهو آفة قليلة الأهمية فى انجلترا ولكن تحول الى وباء عندما نقل الى شرق الولايات المتحدة والى استراليا • كما أن فى استطاعته التكيف لبيئات الانسان : فالعصفور الدورى الشجرى يظل ساهرا عدة ساعات بعد غروب الشمس فى الخرطوم وواد مدنى يحوم حول المصابيح الكهربية المضاءة لصيد العناكب والحشرات • وهناك ٣ فروض يمكن تقديمها لمحاولة تلمس التغير البيئى الطارىء فى مصر • ويرجع الفرضان الثانى والثالث الى النتائج غير المباشرة

للاستخدام المكثف للمبيدات عام ١٩٦١ على الأخص عندما بلغت الاصابة بدودة القطن حدا استوجب استيراد المبيدات بالطائرات من ألمانيا على هيئـة جسر جـوى يومى •

الفرض الأول :

لا بد أن العصافير الدورية استفادت من العمران الكبير الذى شهدته مدن وقرى الريف الذى صحب الزيادة فى تعداد سكان الجمهـورية من ٢٤ مليونا سنة ١٩٦٠ الى ٣٤ مليونا سنة ١٩٧٠ كما زاد عدد القرى فى نفس الفترة تقريبا من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ مع التوسع فى انشاء المبانى الحكومية فى القرى بحدائقها الواسعة وزراعة أشجار الكافور والكازوارينا حول الحقول واقامة أعمـدة الكهرباء والانارة فى كل مكان بالريف مما أعطى هذه العصافير فرصا ممتازة لاقامة اعشاشها ولأن تجثم وتستريح عند تجولها من حقل لآخر • وقد رأينـا أن بروكسبانك (١٩٢٥) تنبأ بأن انتشار العمران يسـاعد على تكاثر هـذه العصـافير •

الفرض الثـانى :

يعزو انتشار العصافير بشكل وبائى للحبوب الى اختفاء الحشرات بعـد ابادة معظمها على أثر استخدام المبيدات على نطـاق واسع وبالأخص فى عام ١٩٦١ • فلما افتقدت الحشرات فى غذائها تحولت الى الاغتذاء بالحبوب • ومن الثابت أن الكثير من الحشرات وخاصة المفترسات مثل أبى العيد قد اختفى مما أدى الى ظهور آفات جديدة وتبدو أهمية هذا الفرض من أن الطيور التى تأكل حبوبا فقط لم تصبح آفات لأنها تأكل كفايتها من الحبوب أصلا ولكن العصفور الدورى هو الذى برز كآفة لأنه زاد استهلاكه من الحبوب التى لم يكن يأخذ منها الا قدرا ضئيلا (نسبيا) من الأصل •

الفرض الثالث :

أن استخدام المبيدات جعل أجسـام الحشرات تمتلىء بهـا فاذا نجت من الموت فانها تكون فى حالة ترنح فيصبح من السهل على العصافير صيدها وبذلك يحدث انتخاب من جانب العصافير للحشرات المحملة بكميات أكبر من المبيد •

وباستمرار هذا الانتخاب تتجمع وتخزن كمية من المبيد فى أجسام العصافير التى تصبح بدورها مترنحة وتسقط فريسة سهلة للصقور التى يتركز فى جسمها المبيد المتجمع فى العصافير • وقد اصبح معروفا الان من عدة ملاحظات وتجارب فى الولايات المتحدة الأمريكية أن مجموعة الصقور بالذات من أكثر الطيور تأثرا بالمبيدات وخاصة د• د• ت• ، فعندما يحتوى جسمها على نسبة معينة منه تضع بيضا هش الجدار ينكسر بمجرد الرقاد عليه فضلا عن حدوث اضطرابات نفسانية فى السلوك الجنسى للذكور والاناث وفى بناء العش وفى ملاحظة الصغار مما يعطل فرص التكاثر عندها • وبذلك انقرض الشاهين تماما من النصف الشرقى للولايات المتحدة ولم تبق منه الا أفراد قلائل فى النصف الغربى • وقد أظهرت دراسات مشابهة فى انجلترا أن الصقور تناقصت بكل أنواعها فى المناطق التى استخدمت فيها المبيدات بكثافة وأن الباشق تناقص فى احدى المقاطعات الانجليزية من حوالى ألف فى عام ١٩٤٩ الى اثنين فقط عام ١٩٦٥ (ميلانبى ١٩٦٧) • ويقول فان ويرد (١٩٧١) فى دراسته عن طيور ليبيا ان اختفاء الكثير من الطيور الجارحة أدى الى تزايد أعداد الزرزور والعصفور الأسبانى فى شمال غرب ليبيا •

فاذا أضيف هذا العامل الطارىء الى الصيد المنظم والمستمر للصقور بأنواعها لأصبح من السهل تصور السبب فى الانفجار المفاجىء لاعداد العصافير الدورية التى لم تجد غذاءها الكافى من الحشرات فتحولت الى الحبوب وفى نفس الوقت وجدت زيادة فى الأماكن الصالحة لبناء الأعشاش فاستمرت فى التكاثر ولم يحدث أن توقفت عنه • ويمكن أن يتم هذا التحول فى مدى سنين قليلة ويمكن أيضا أن يستفحل أكثر من ذلك فى المستقبل • وهناك عدة وسائل لمقاومة العصافير ولكن أشدها فعالية هو صيدها ويحسن أن ترصد مكافأة لصيد الأنثى فى وقت بناء العش بالذات من فبراير الى يونيو فتوجه الضربة الى تعداد العصافير فى أحرج الأوقات •

د . سمير ابراهيم غبور

جـدول رقم (١)

طيور مضرة بالمحاصيل (تاكل حبوب أو أوراق خضراء أو ازهار أو ثمار او جذور) ويمكن تمييزها بمنقارها السميك الملائم لالتقاط الحبوب

الاسم العربى	الاسم العلمى	الاسم الإنجليزى	ملاحظات
١ — الكويليا	*Quelea quelea*	Black-faced dioch (red-billed weaver)	مناطق السفانا — حبوب الذرة الرفيعة
٢ — العصفور الدورى	*Passer domesticus*	House parrow	مقيم — واسع الانتشار — الحبوب والحشرات
٣ — العصفور الاسبانى	*Passer hispaniolensis*	Spanish sparrow	مقيم فى غرب ليبيا مهاجر فى غرب مصر — الحبوب خاصة الشعير
٤ — اليمام المصرى	*Streptopelia senegalensis*	Palm dove	من مصر إلى الجزائر عدا شرق ليبيا — الحبوب
٥ — السمان (السلوى)	*Coturnix coturnix*	Quail	مهاجر — واسع الانتشار الحبوب والحشرات — منظم صيده
٦ — العصفور الظالم	*Fringilla coelebs*	Chaffinch	مهاجر — واسع الانتشار — الحبوب والحشائش والحشرات
٧ — الجشنة الحمراوية الزود	*Anthus rufogularis*	Red-throated pipit	مهاجر — واسع الانتشار — الحشرات والحبوب

تابع جدول رقم (١)

الاسم العربي	الاسم العلمي	الاسم الإنجليزي	ملاحظات
٨ — الخضيرى (الخنرور فى الفيوم)	*Chloris chloris*	Greenfinch	مهاجر — سيناء والدلتا والفيوم — الحبوب والفواكه
٩ — القبرة المتوجة الداكنة	*Galerida cristata*	Crested lark	مقيم — حبوب وحشرات واسع الانتشار — يطير قرب الارض
١٠ — البلبل المصرى	*Pycnonotus barbatus*	White-vented bulbul	مقيم — واسع الانتشار — حبوب وحشرات وفواكه وثمار يعم الحدائق خاصة اسوان
١١ — الصفارية — الصفير (العصفر فى الواحات البحرية)	*Oriolus oriolus*	Golden oriole	مهاجر — حشرات وثمار (البلح فى الواحات البحرية)
١٢ — الزرزور	*Sturnus vulgaris*	Starling	مهاجر — حشرات وأوراق النبات الخضراء والبذور ، ويحطم جذور النبات أثناء بحثه عن الغذاء فى الارض الرخوة — آفة للزيتون فى تونس وللزيتون والشعير فى ليبيا .
١٣ — السمنة المطربة	*Turdus philomelos*	Song-thrush	مهاجر — قواقع وديدان وحشرات وثمار — واسع الانتشار .
١٤ — القطا المنقط	*Pterocles senegallus*	Spotted sandgrouse	مقيم — صحراوى — فى الصحراءين الشرقية والغربية وسيناء — الحبوب — لها القدرة على الطيران مسافات طويلة من أجل الماء والغذاء

اعتراف بالفضـــل

يسرني أن أشكر الأستاذ الدكتور محمد عبـد الفتاح القصـاص أسـتاذ ورئيس قسم النبات بكلية العلوم بجامعة القاهرة الذى تفضل فاقترح البدء فى هذه الدراسة وكان لتشجيعه الدائم الفضل فى مواصلتها •

المراجع العربيـة

١ ــ احمـد حمـاد الحسينى ــ طيور مصر ــ القاهرة ١٩٥٤ ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ الطبعة الثانية .

٢ ــ د. عبد الحكيم محمد كامل ــ آفات الحبوب المخزونة ومنتجاتها وطرق مقاومتها ــ القاهرة ١٩٧١ ــ نشرة فنية رقم ١٩٧١/١ وزارة الزراعة .

٣ ــ محروس صـالح ــ العصافير الضارة بالزراعة وطرق مقاومتها ــ القـاهرة ١٩٦٨ ــ نشـرة فنيـة رقم ١٩٦٨/٧ وزارة الزراعة .

٤ ــ هويمبر (شـارلز) ــ الطيـور المصرية ــ القـاهرة ١٩٦٧ ــ الألف كتاب ــ ترجمة سامية مراد ومراجعة د . انور عبد العليم .

المراجع الأجنبية

1. Anonymous (1967) : The Quelea problem. Samaru Agr. Newsletter, A. Bello Univ., W. Nigeria 9 (4) : 54.
2. Cloudsley-Thompson, J. L. (1969) : The zoology of tropical Africa. Weidenfeld and Nicolson, London.
3. Greaves, R. H. (1936) : Sixty common birds of the Nile Delta. S. O. P. Press, Cairo.
4. Mellanby, K. (1967) : Pesticides and pollution. Collins, London.
5. National Report of the Democratic Republic of Sudan. March 1971.
6. Summers-Smith, D. (1964) : The house sparrow. Collins, London.
7. Van Weerd, E. (1971) : Wild animals of Libya : Birds. Al Hasad 17 : 5.

شكل ١ : طائر الكويليا أمام عشه .

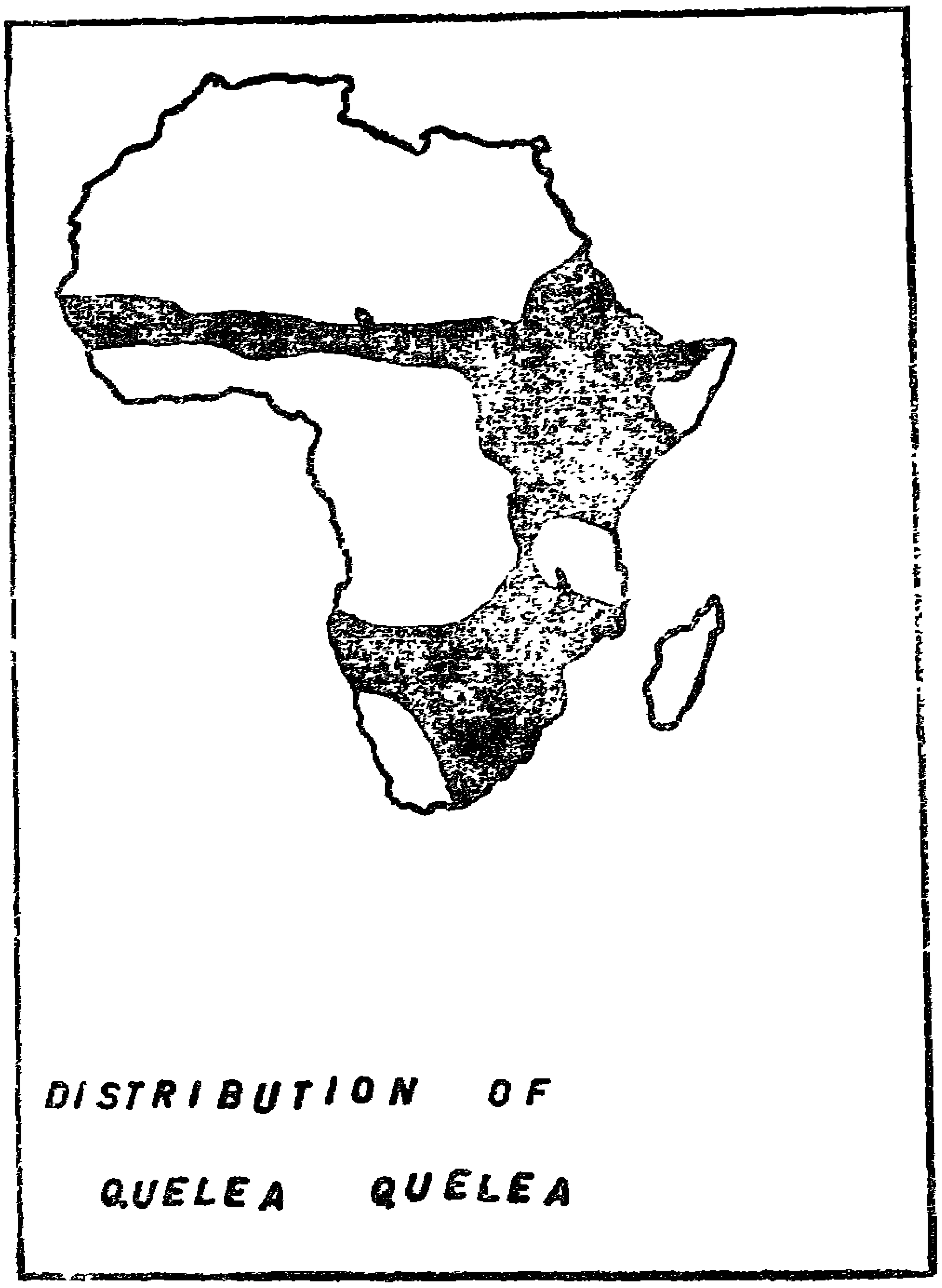

شكل ٢ : خريطة تبين مناطق انتشار الكويليا فى افريقيا .

شكل ٣ : عش لطائر نساج على اغصان الأكاسيا فى منطقة انتاج الصمغ العـربى قرب مدينة نيالا بجنوب دارفور بالسـودان ، يناير ١٩٦٨ .

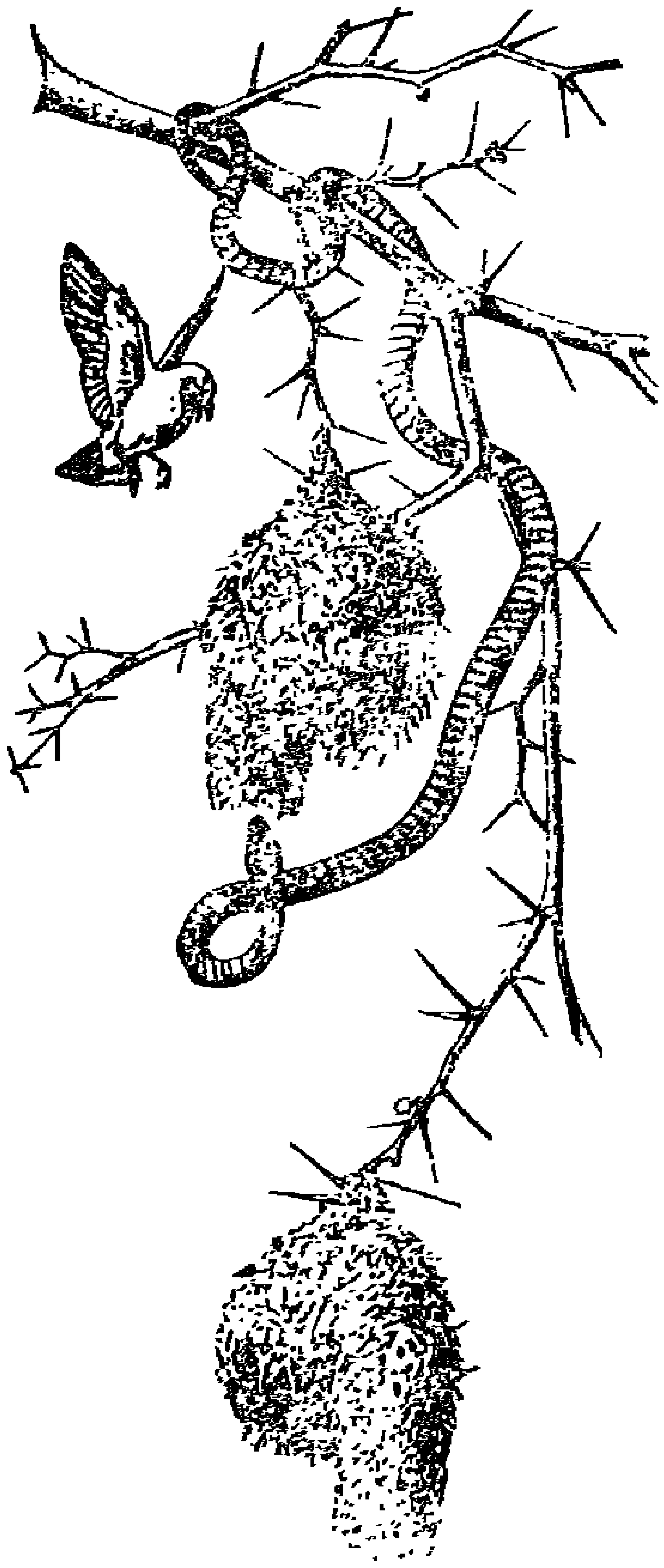

شكل ٤ : رسم تخطيطى يبين كيفية مهاجمة الثعابين لأعشاش الطيور النساجة .

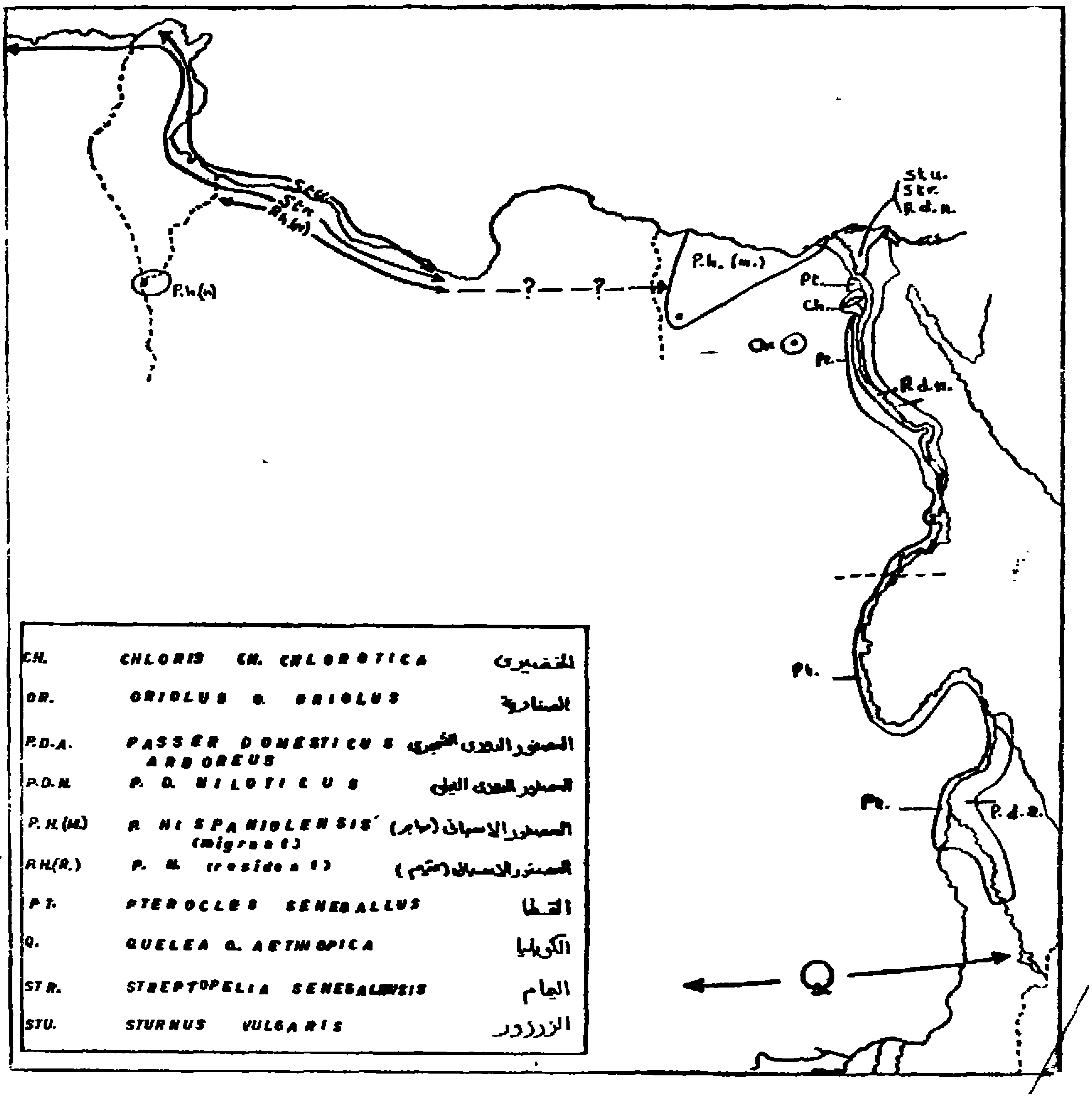

شكل ٥ : خريطة تبين مناطق انتشار الطيور التى تعتبر آفات زراعية فى شمال شرق وشمال افريقية .

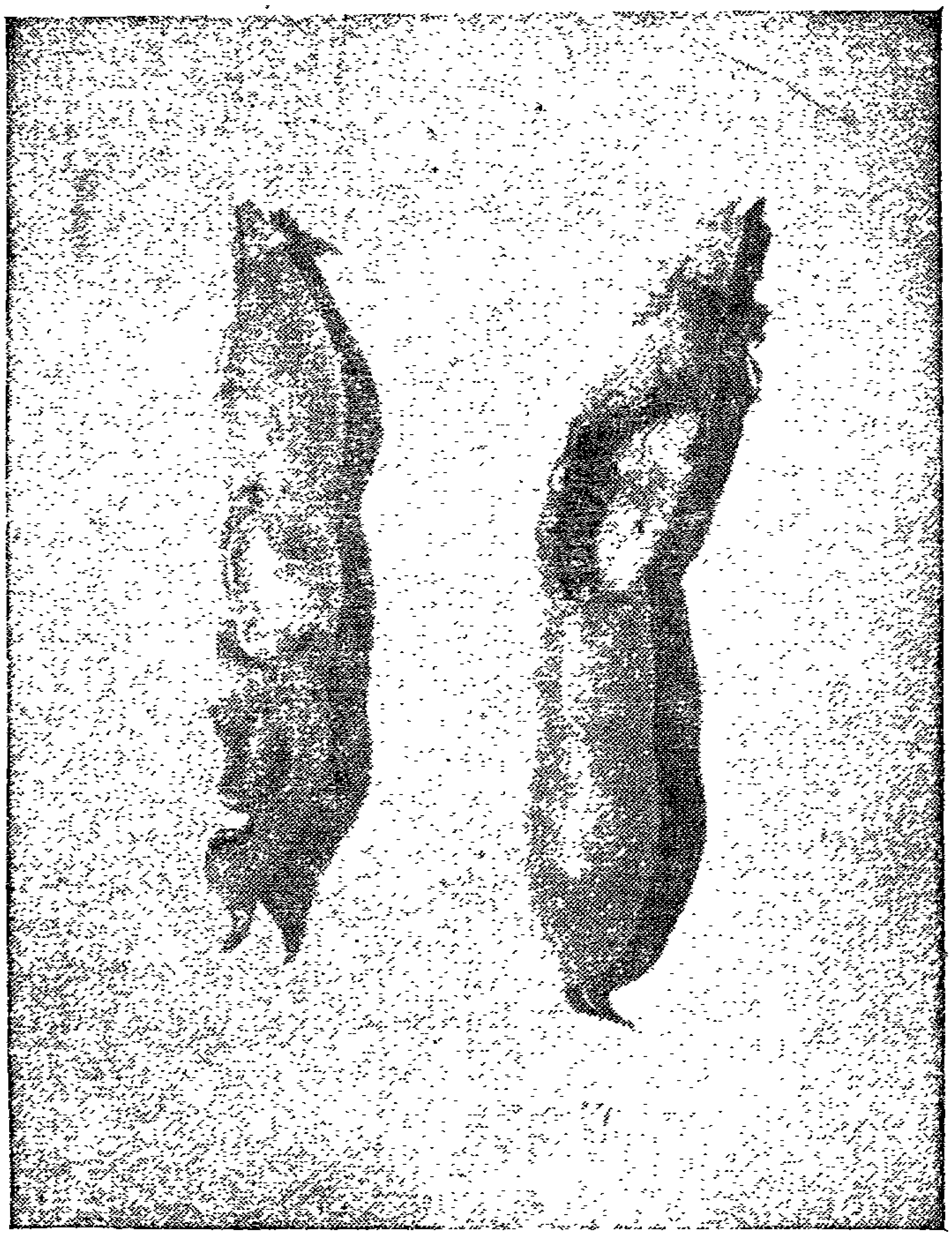

شكل ٦ : فول أصابته الأضرار نتيجة مهاجمة العصفور الدورى النيلى فى مزارع قرب قها بمحافظة القليوبية ، أبريل ١٩٧١ .

النشاط التجارى فى مملكة مروى

THE TRADE ACTIVITY IN MEROE KINGDOM

Trade activity led to the prosperity of Meroe Kingdom, while the decline of the trade was one of the causes of its fall in the fourth century A. D.

Meroe exported mainly the natural products like gold, iron, ivory, Elephants trained for war and strange animals for struggle in roman amphitheatres.

But its imports were concerned with luxurious goods such as bronze lamps, cups, amphoras, glass bottles and some statuetes.

Meroitic trade used the benefit of the evolution in transportation eas for good. It used the animals donkeys, horses and later it used Camels which came from Egypt in the first century B. C., and also it used the ships.

The Caravan routes started from the city of Meroe and Wadben-naga and directed towards the north to Egypt and the Mediterranean Sea world, east to Aksum and the red Sea world, west and south to the African tribes in the neighbourhood.

Although some pieces of coins were found in the Meroitic excavations, yet its traders used to barber their goods with their neighbours.

Fawzy Mikawy

احتلت التجارة مكانا هاما فى حياة مملكة مروى (٥٩٠ ق ٠ م — ٣٥٠ م) الى الدرجة التى دعت الى الاعتقاد بأن انتقال العاصمة من نباتا الى مروى كان بسبب موقع الأخيرة وقيمتها كمركز لتجميع التجارة والتقاء القوافل وتوجيهها (١) ٠

فقد قامت مروى بدور الوسيط التجارى الذى قدم منتجات وسط أفريقيا الى العالم المتحضر فى ذلك الوقت ، كما قدم منتجات مصر واليونان

---

(١) فوزى مكاوى : مملكة مروى (رسالة ماجستير غير منشورة) ص٢٦–٣١

والامبراطورية الرومانية والهند وغيرها من مراكز المدنية الى القبائل البدائية فى أفريقيا (١) •

ويرى كثير من الباحثين أن مروى وتجـارتها كانت الطـريق الذى سلكته العناصر والقيم الحضارية المصرية القديمة الى وسط أفريقيا وغربها •

ولدراسة تجارة مملكة مروى يتعين علينا أن ندرس :

(ا) السلع التجارية الصادرة والواردة •

(ب) وسائل النقل والطرق التجارية •

(جـ) المراكز التجارية ، والأسواق ، ووسيلة التعامل •

(ا) السلع التجارية

أولا : الصادرات ـــ لقد كانت تجارة الصادرات فى النوبة منذ أقدم العصور وحتى عصر مملكة مروى تعتمد بصورة رئيسية على الخامات والانتاج الطبيعى للاقليم ، بل ان ارمان يرى أن من المشـكوك فيه نسـبة التحف التى جلبها النوبيون فى مناظر تقديم الجزية لتوت عنخ آمون الى الفن النـوبى ، ويرى أيضا انها نوبية بمادتها فقط (٢) •

وفى الحقيقة لقد استمر الأمر على هذا الحال تقريبا خلال العصر المروى ، فاستمر تصدير المنتجات الطبيعية للمنطقة بالاضافة الى ما يرد اليها من البـلاد التى تقع الى الغرب أو الى الجنوب عنها •• والسلع الوحيـدة المصنـوعة فى مروى والتى يحتمل أنها كانت بين مواد التجارة الصادرة هى الأوانى الفخارية ، وقد عثر على بعضها فى أكسوم (٣) •

وقد كانت قائمة الصادرات تنحصر بصفة أساسية فيما يلى :

---

(١) Theodore Bent : The ancient trade routes across Ethiopia (London 1893) p.p. 143—144.

(٢) ارمان ، أدولف وهرمان رانكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ص ٥٧٥ •

(٣) Annales d'Ethiopie, I (1955) p. 41.

سلع معدنية :

الذهب : ان دراسة استخراج الذهب واعداده فى مملكة مروى تدل دلالة قاطعة على المركز الممتاز الذى كان يحتله الذهب بالنسبة للصادرات المروية (١) • ولقد صدر الى دولة البطالمة فى مصر كما قام ملوك البطالمة باستغلال مناجم النوبة السفلى (٢) ، وبالطبع كان ذلك باتفاق مع ملوك مروى شركائهم فى السيادة على الاقليم ، ولعل استمرار العلاقة السلمية بين الدولتين فترات طويلة مما يؤكد ذلك •

هذا بالاضافة الى أن هدف السيطرة على مناطق مناجم الذهب كان أحد الأسباب التى دعت الرومان الى مد حدود مصر الى المحرقة بعد أن كان جاللوس Gallus قد أقام هذه الحدود فى سنة ٢٩ ق٠م عند الشلال الأول (٣) • ولم تكن تجارة مروى فى الذهب قاصرة على دولة البطالمة وانما كانت آكسوم طريقا آخر استخدمته مروى لتصدير الذهب المترسب فى مياه النيل الأزرق (٤) •

الحديد : من دراستنا لانتاج الحديد فى العصر المروى يتضح مدى أهميته بالنسبة لهذه المملكة ولا شك أن جزءا من انتاج الاقليم كان يفيض عن حاجته وكان يصدر الى الخارج وقد أشار رستوفتيزف الى أن الحديد كان يمثل أحد العناصر المهمة فى التجارة المروية مع البطالمة (٥) •

الأحجار الكريمة : ذكر Cosmas أن تجارة الأحجار الكريمة بين مروى والهند كانت تتم عن طريق أدوليس (٦) •

سلع نباتية وحيوانية :

الفيلة والعاج : حظت الفيلة باهتمام أهل مروى وكان يجرى صيدها بطرق

---

(١) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ١٤١ ــ ١٤٥ •

(٢) Rostovtzeff : Social and Economic History of the Hellenistic world p. 382.

(٣) Kirwan, : Rome beyond the southern Egyptian Frontiers, p. 15

(٤) Wainwright, B. A. : Cosmas and the gold trade of Fazogli, Man XIII p. 30.

(٥) Rostovtzeff : *op. cit.* p. 383.

(٦) Pankhurs, R. : An Introduction to the economic History in Ethiopia (London, 1961) p. 37.

مختلفة (١) ، وقامت مراكز خاصة لترويض هذه الحيوانات وتدريبها لاستخدامها فى الحروب وقد اتضح الاهتمام بهذا الحيوان لكثرة تصويره ونقشه على الآثار المختلفة .. وكان المستهلك الرئيسى له هم ملوك البطالمة فى مصر الذين كانوا يستخدمونه فى الحرب بل ان رغبة البطالمة الملحة فى الحصول على الفيلة دعتهم الى ارسال بعثات صيد لحسابهم هذا بالاضافة الى انشاء مراكز تجارية لهم على ساحل البحر الأحمر ... ويبدو أن المرويين كانوا يصــدرون هذه الحيوانات للبطالمة بعد تدريبها . واذا كانت التجارة فى الأفيال الحية والمدربة شيء ظهرت أهميته فى عهد البطالمة — فان العــاج كان عنصرا قديما ومستمرا فى التجــارة سواء ذلك فى العصر المروى أو فيما سبقه من عصور ، واذا كان البطالمــة هم المستوردون الرئيسيون للأفيال فقد كانت أسواق العاج أكثر اتساعا ، فقد كان يصدر الى مصر وأكسوم التى قامت بدور الوسيط هى الأخرى حيث كان ينقل منها الى أدوليس ثم الى مراكز الاستهلاك سواء فى روما أو غيرها .

الحيوانات البرية : ذكر الكتاب القدامى أن روما كانت تستورد من مروى الحيوانات المتوحشة اللازمة لحلبات المصارعة ، هذا بالاضــافة الى حيوانات التسلية مثل القرود .. وكذا الحيوانات الغريبة مثل الزراف (٢) .

سلع نباتية وحيوانات أخرى : لم تقتصر تجارة الصادرات على ما سبق من السلع ولكن كانت هناك سلع أخرى شكلت جانبا من صادرات الاقليم وشملت ريش النعام وبيضه ، وبعض العبيد وقرون الخرتيت وجلود أفراس النهر (٣) .

وتبقى اشارة كروفوت عن اعتقاده أن تجارة القطن كانت أحــد مصــادر الثروة فى مملكة مروى (٤) ، الا أن هذا لم يقم عليه دليل قاطــع حتى اليوم ، صحيح أن عيزانا ذكر فى نص له أنه أحرق قطن المرويين ، غير أن القطن لم يرد كأحد مواد التجارة من مملكة مروى التى تحدث عنها الكتاب القدامى (٥) .

---

(١) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ١٢٢ — ١٢٤ .

(٢) Kirwan : *Op. Cit.* p. 18.

(٣) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٤) Crowfoot : The Island of Meroe p. 37.

(٥) ترجمة النص مذكورة ص ١٠١ — ١٠٥ من فوزى مكاوى : مملكة مروى.

ثانيا : الواردات ـ واذا انتقلنا لدراسة الواردات والسلع التي كانت تصل الى مروى من الخارج .. فان أول ما يلفت النظر هو أنها سلع مصنوعة فى الغالب ، بالاضافة الى أنها مصنوعات فاخرة مما يدل على ارتفاع مستوى المعيشة فى مروى .

وأهم هذه الواردات هى ..

(ا) المنسوجات : وقد ذكر مؤلف الطواف (١) بعض أنواعه مثل خيوط الغزل من المصنوعات المصرية وكذا أثواب من أرسينوى بالاضافة الى عباءات كتانية وأخرى شعبية ويعتقد بعض اساتذة الآثار ان بقايا المنسوجات القطنية التى عثر عليها فى جبانات مروى مستوردة من الهند ، اذا لم تكن صناعة محلية حيث أن القطن لم يكن معروفا فى مصر .

(ب) الأدوات المعدنية : وقد عثر على كثير من الأوانى والأدوات المستوردة وهى فى الغالب من البرونز أو الفضة ، ومن بين الأدوات المستوردة كانت المصابيح المصنوعة فى منطقة البحر المتوسط شائعة الاستخدام، وقد عثر على مثلين رقيقتين فى الهرم رقم (١٨) بالجبانة الشمالية فى مروى والذى دفنت فيه الملكة أمانى خاتاشان Amanikhatashan والتى عاشت فى الجزء الأخير من القرن الأول الميلادى ، وهذان المصباحان أحدهما ذو أيد على هيئة الجزء الأمامي من السنتوريون . بينما يدا الأخرى على شكل حصان ، ويرجع تاريخ صناعتهما طبقا لطرازهما الى القرن الأول ق . م أو بعده (٢) .

كما صور مصباح آخر من فرس وهو ذو أصل رومانى ، وعثر على قدر برونزي على شكل رأس طفل وقد صنعت حلقات التعليق من الحديد ، وطعمت العينان بالفضة ويبدو أنها ترجع الى القرن الثانى أو الثالث الميلادى (٣) .. هذا بالاضافة الى أنه قد عثر على

(١) Schoff W. : The periplus of the Erythrean Sea (New York, 1912) p. 284.

(٢) شكل (٢) رقم ٧٠ ، ٧٢ .

(٣) شكل ٢ .

كثير من أدوات الزينة التي يمكن اعتبار المرآة التي عثر عليها في فرس نموذجا لها •• وهذه المرآة جانبها الخارجي مزين برأس أنثى على الطراز الهلينستي بينما زين الجانب الآخر بحفر يمثل حورس جالسا خارج ورقة لوتس ومحاطا بتسعة مخلوقات خيالية (١) •

كما عثر على عدد من القدور الفضية المستوردة وأفضل أمثلته قدح وجد في أنقاض الهرم رقم (٢) بالجبانة الشمالية بالبجراوية ولا يبدو أنه أحد محتويات المقبرة لفقرها وربما أحضره أحد اللصوص ، هذا ويبدو أنه عمل من العصر الروماني ويعود على الأرجح الى منتصف القرن الأول الميلادى •

كما استوردت مروى من الخارج الأسلحة والآلات البرونزية خصوصا قبل انتشار صناعة الحديد ، هذا بالاضافة الى أنه كانت تستورد بعض سبائك البرونز من الخارج ويتم تصنيعها في مروى ، وربما كان هذا هو التفسير الوحيد لوجود أواني برونزية ذات صناعة مروية بالرغم من عدم وجود خام النحاس في الاقليم •

(جـ) الفخار : ولقد عثر أيضا على كثير من الأواني الفخارية المستوردة من مصر من العصر البطلمي ومن العصر الروماني وقد كان يتميز عن الفخار المحلي بأنه وردى اللون شديد الصلابة ويظهر من الشكل والزخارف أنه صنع في مناطق تحت التأثير الروماني وأغلب الظن أنها كانت مصنوعة في مصر ويمكن رؤية نماذج لها في اللوحات (٢) •

(د) الزجاج : لقد بقيت أعداد صغيرة من المصنوعات الزجاجية بالنسبة الى كمية الزجاج الذى استخدم خلال حياة مملكة مروى ، ومن الجدير بالذكر أن كل القطع الباقية ذات طابع روماني وليس هناك ما يدل على قيام صناعة الزجاج في مروى •

لقد حدث تغيير هام في طريقة صناعة الزجاج خلال القرن الأول

---

(١) شكل ٣ •
(٢) شكل ٤

الميلادى حيث تم التوصل الى طريقة نفخ الزجاج بدلا من صبه • الا أن المركز المصرى الرئيسى لصناعة الزجاج وهو كوم أوشيم (كرانيس) الذى وجد انتاجه منتشرا فى مروى لم يصل الى كامل انتاجه قبل بداية القرن الثانى الميلادى (١) •

لعل أهم القطع الزجاجية المصبوبة قد عثر عليها فى مقبرة من فرس ، وترجع الى القرن الأول الميلادى أو الثانى الميلادى •

أما الآنية الأخرى فكلها من الزجاج المنفوخ تقريبا ومعظمها مما كان يستخدم لوضع الدهون والزيوت • ويبدو أنها فى معظم الحالات كانت تستورد بمحتوياتها ، ومن الطريف العثور على ثمان زجاجات فى الهرم رقم (١٨) بالجبانة الشمالية من البجراوية فى بقايا صندوق خشبى يبدو أنه صنع لحفظها (صندوق عطور) وأنها نقلت فيه من مصر •• (٢) •

وهناك نموذج آخر للزجاج المستورد وهى زجاجة ذات لونين من اللون الأحمر الداكن وذات زخارف صفراء على شكل سيور ••

وقد عثر عليها فى القبر رقم (٣٠٠) فى مروى مقترنة بفخار من الفترة المتأخرة من العصر المروى ويمكن تأريخها بين (٢٠٠ ــ ٤٠٠ ميلادية) (٣) •

(هـ) المواد الغذائية : كانت المواد الغذائية المستوردة محدودة الكمية ولا تتمثل الا فى زيت الزيتون (٤) ولا يمكن تصور استخدام هذا الزيت فى أغراض الغذاء نظرا لتوافر الدهون الحيوانية فى مملكة مروى والأرجح هو استخدامه لأغراض دينية أو للزينة •

(ز) واردات أخرى : وفى الحقيقة لا يمكن اهمال ذكر التحف والتماثيل

---

(١) Shinnie : Meroe p. 130.

(٢) Dunham, D. : Royal cemeteries of Kush Vol. IV p. p. 149—151.

(٣) شكل رقم ٧

(٤) Pankhurst, R. : *Op. Cit.* p. 18.

والعناصر الفنية المختلفة ذات الصناعة الهلينسية وابتى عثر عليها فى مروى ولعل أبرز أمثلتها هى رأسي ديونيسيس التي عثر عليها فى مروى وكانتا لتمثالين ذات صناعة هلينسية (١) .

(ب)وسائل النقل والطرق التجارية

اولا : وسائل النقل

لقد أثرت وسائل النقل فى حجم التجارة المنقولة ونوعها وقد اختلفت هذه الوسائل ما بين برية ونهرية .. ويمكن حصر وسائل النقل خلال العصر المروى فى الوسائل الآتية :

النقل البرى :

الحمـار :

كان أقدم وسائل النقل التى استخدمت فى مصر ثم فى السـودان ، ولعـل استخدام حر حوف له فى تلك الرحلات المبكرة يعطى صورة عن مـدى قـدم استخدام هذا الحيوان فى وادي النيل .. ولقد استمر استخدام هذا الحيوان لنفس الغرض خلال العصور التاريخية المختلفة الى الوقت الحاضر وقد أشـار حر سيوتف الي استخدام الحمار خلال عهده .

الا ان هذا الحيوان بحجمه الصـغير وامكانياته محـدود القيمـة حيث لا يستطيع السير فى الرمال أو السير مسافات طويلة دون غـذاء .. الا أنه قام بدوره فى نقل التجارة طوال القرون السابقة للميلاد .

الحصـان :

استخدم الحصان للركوب ولجـر العربات ومن المعـروف أنه دخـل الى السودان عن طريق مصر(٢). وقد ذكر دنهام (Dunham) ـبعدفحصه للهيكلـ العظمي لأحد الخيولـتشبه تلك التي تعيش حاليا فى أوربا وأمريكا وان تميزت

---

(١) شكل رقم ٥ .

(٢) كان المعتقد ان مصر قد عرفت الحصان عن طريق الهكسوس ، ولكن عثور امرى على هيكل عظمى فى بوهين من الدولة الوسطى يغير من هذا الاعتقاد .
Emery : Egypt in Nubia p. 109.

الخيول الحالية بأنها أكثر رقة .. وقد استخدم هذا الحيوان للركوب وللجر ، كما أشار كل من حرسيوتف (Harsiotef) وناستاسن (Nastasen) الى الخيول واستخدامها وقد صورت الخيول فى النقـوش .. وقد عثر على سرج نزيه نايب توسع على الخيول . وعثر فى النقوش على طريقتين لقيادة الخيـل عند المرويين .. حيث كان الراكب يمسك الحصان بيد بينما كان يحمل فى اليد الأخرى سوطا قصيرا .

وعثر على طريقة ثانية للركوب حيث يمسك الراكب فى رقبـة الحصـان ويقـود الحيـوان رجـل آخـر وثالث يضرب على حلقـة مثبتة تحت ركبة الحصـان (١) .

الجمـل :

ان دخول الجمل الى مروى يبدو أنه قد تم فى أواخر القرن الاول ق.م. ولقد عثر على تمثال برونزى لجمل فى الهـرم رقم (٥) بالجبـانة الشماليـة بالبحـراوية والذى يخص أريكانخرير (Arikankharer) ابن ناتال آمانى (٢) كما ذكر عيزانا فى نصبه عن غزوه لمروى أنه قبض على اثنين من الجواسيس قدما اليه راكبين ابلا ... (٣)

ولقد صاحب دخول الجمل الى ميدان النقل فى مروى زيادة حجم التجارة والتبادل التجارى نظرا لميزاته التى لم تتوفر لوسائل النقل الأخـرى . وقد أدى بطبيعة الحال الى امكانية استغلال منتجات مناطق كان من الصعب فى ظل الظروف السابقة استغلالها كما أدى الى ازدياد الروابط بين منـاطق الانتـاج وموانى التصدير .. هذا بالطبع فى المناطق الملائمة لحياته .

النقل النهرى :

استخدمت السفن النهرية لنقل التجارة بين مصر والنوبة السفلى والنوبة العليا منذ فجر التاريخ . ولعل اشارة حرخوف الى حصوله على خشب السنط

---

(١) Macadam : Temples of Kawa 11, pl. I

(٢) Shinnie : *Op. Cit.* p. 104.

(٣) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ١٠٢ .

لصناعة السفن من النوبة السفلى مما يؤكد ذلك (١) • كما أن سنوسرت الثالث قد أكد استخدام النوبيين لهذا النوع من وسائل النقل عندما ذكر فى نصه الذى أقامه عند الحدود أنه •• ممنوع على أى نوبى سواء جـاء عن طـريق الماء أو الأرض أم بالسفن أو مع قطعان النوبيين تخطى هذه الحـدود •• أما النوبيين الذين يأتون كرسل أو الذين يقصدون سوق اقن •• فيسمح لهم بالمرور بغير سـفنهم (٢) •

كما أن العصر المروى يقدم لنا عدة اشارات لاستخـدام السفن ، فيذكر ناستاسن أنه عبر النهر فى طريقه الى نباتا لكى يتقلد أمـور المملكة من والده آمـون (٣) •

هذا بالاضافة الى أن بعثة نيرون قد استخدمت النهر للوصول الى منطقـة السدود وقد ذكر بلنى (Pliny) أن النباتات المتشابكة فى هذه المنـاطق لم تترك سوى مساحات صغيرة لا تسمح الا لقارب رجل واحد أن يعبر (٤) •

وذكر عيزانا أيضا السفن •• فان النوباويين السود الذين دهمتهم الهزيمة أمام جنود عيزانا أسرعوا طلبا للنجاة الى ركوب السفن لكى يعبروا النهر الى حيث الأمان ولكن عيزانا يذكر أن السفن قد غرقت بمن عليها نظرا لثقل الحمولة (٥) •

وهذه الأدلة تدل على استخدام السفن فى النقل •• الا أن النقل بالسفن كان محدودا بالطريق الصالح للملاحة عبر نهر النيل لذا فمن المعقـول أنه قد استخدم لخدمة أغراض التجارة بين مصر ومروى •

أما فيما يتعلق بأكسوم فمن غير المعقول استخـدام هذه الوسـيلة نظـرا لانحدار المياه من أعلى هضبة الحبشة الى أسفل فى سهول السودان مما يجعل السير عكس التيار بالحمولة أمرا غاية فى الصعوبة •

---

(١) أرمان : المرجع السابق ص ٥٧٢ •

(٢) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، الجزء الأول (القاهرة ١٩٦٩) • ص ٥٩ •

(٣) سليم حسن : المرجع السابق ص ٥٥٧ •

(٤) Kirwan : *Op. Cit.* p. p. 16—17.

(٥) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ١٠٣ •

ثانيا : الطرق التجارية

١ ـ الطرق الداخلية :

أن أهم الطرق الداخلية التى تربط أجزاء مملكة مروى هو ذلك الطريق عبر صحراء بيوضه والذى يصل بين مروى ونباتا •• ولقد استخدم هذا الطـريق خلال عصر نباتا (١) • وكذلك خلال العصر المروى حيث أنه أقصر الطـرق بين المدينتين •• وقد عثر فى هذا الطريق على قلعة فى فورا (Fura) ويبدو أنها كانت استراحة خلال الطريق (٢) •

٢ ـ الطرق الخارجية :

لعل أقدم الطرق التجارية وأهمها على طول تاريخ النوبة السفلى والعليـا على حد سواء هو (الطريق النيلى) متجها نحو الشمال الى مصر وهذا الطريق سواء على صفحة النيل أو على شاطئه كان الطريق الذى سارت فيه المدنية من مصر الى النوبة السفلى ثم العليا ممتدة حتى سنار خلال العصـور التاريخيـة المختلفـة •

ان هذا الطريق تصادفه عقبات الشلالات وقد استطاع الانسـان المصرى أن يزيل هذه العقبات منذ فجر التاريخ عندما استطاع أونى أن يحفر طريقا عبر صخور الشلال الأول (٣) • كما كان يجر مراكبه على البر فى المناطق الصعبـة التى لا تستطيع استخدام النيل خلالها • وعلى شاطىء النهر سارت القـوافل أيضا •• وان اختلف الطريق طولا أو قصرا •• فلجأ البعض الى اجتياز صحراء العطمور من خلال وادى قبقبة بين كورسكو وأبو حمد اختصارا للطريق وتجنبا لمشاكل الشلالات ، وقد ذكر استرابو (Strabo) أن بترونيس (Petronius) قد اتبع هذا الطريق وصولا الى نباتا (٤) كما استخدمته بعثة نيرون للوصول الى مدينة مروى (٥) •

---

(١) استخدمه ناستانسن فى الذهاب الى نباتا ، راجع سليم حسن ، المرجع السابق ص ٥٥٧ •

(٢) Shinnie : *Op. Cit.* p. 97.

(٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٣ •

(٤) Strabo : *Op. Cit.* Book XVII Chapter 54.

(٥) Kirwan : *Op. Cit.* p. p. 5—16.

بينما كان يسير الآخرون مع النهر يدورون معه بعيدا عن الصحراء ومشاكلها وقربا للمياه والغذاء وهذا ما اعتقد بلنى أن بترونيس قد فعله عند غزوه نبـاتا (١) •

ان هذا الطريق رغم قدمه لم يفقد أهميته وظل همزة الوصل بين الشعبين فى الشمال والجنوب حتى الوقت الحاضر •• وان كان قد تعرض لفترات من الأهمال وكان ذلك مرتبطا دائما بغياب الحكومة المركزية القوية فى الجنوب أو الشمال مما كان يتيح لقبائل الصحراء السيطرة على هذا الطريق التجارى والاغارة على القوافل وسلبها وقد حدث هذا خلال العصر الرومانى خصوصا بعد انسحاب الامبراطورية الرومانية بحدود مصر الى الشلال الأول (٢) •• كما عاصرت هذا الطريق فترات كساد •• عندما كان يحدث خلاف بين الحكام فى القطرين كما حدث بين بسماتيك وخلفائه وبين ملوك نباتا مما أدى الى اغلاق الطريق تماما بحاميات عسكرية (٣) • الا أن هذه الأمور كانت عارضة فى التاريخ الطويل لهذا الطريق التجارى • أما طرق التجارة مع أكسوم •• فقد كانت هناك عدة طرق تجارية تربط مروى بساحل البحر الأحمر عبر أكسوم (٤) •• لقد ازدادت أهمية هذه الطرق التجارية فى العصر اليونانى الرومانى عندما ازدهرت الموانى المختلفة على البحر الأحمر بحثا عن سلع وبضائع الظهير الافريقى •• وهناك طرق فرعية تربط مراكز الانتاج فى مملكة مروى أو حولها بمدينة مروى العاصمة أو سينعيوم (Cynium) ــ سنار ــ ومن هاتين المدينتين كانت تخرج طرق تصل بينهما وبين أدوليس (Adulis) على ساحل البحر الأحمر عبر أكسوم •• ومن غير المعروف طبيعة هذه الطرق التجارية الا أن العثور على ما يشبه المخازن فى المصورات الصفراء يدل على أنها كانت مركز تجميع تجارى (٥) •• وكانت هذه الطرق تقوم بعملية الربط بين المراكز الرئيسية مثل مروى •

---

(١) و (٢) Kirwan : Ibid. p. p. 5—16.

(٣) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ٣٩ وما بعدها •

(٤) Theodore Bent : *Op. Cit.* p. p. 143—144.

(٥) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ٢٠١ ــ ٢٠٣ •

لقد كان أهم الطرق التجارية بين مملكة مروى وموانى التصدير عبر آكسوم هو الطريق الذى يبدأ من Toues (واد بانقا) ثم يسير عبر سهل البطانة الى كسلا بعد عبور نهر تيكازى صاعدا على السفوح الملائمة من هضبة الحبشة حتى آكسوم ومن آكسوم كان الطريق الى أدوليس يقطع فى ثمانية أيام منها خمسة الى كولوى (Coloe) (١) ثم ثلاثة الى أدوليس (٢) .. وقد تميز هذا الطريق بمروره فى مناطق غنية بالغذاء والماء .. كما كان بعيدا عن القبائل المعادية .

لقد كانت هذه الطرق التجارية الى الجنوب الشرقى من مروى الى آكسوم والبحر الأحمر هى السبيل الذى عبرته بالعكس المؤثرات الحضارية الهندية والفارسية وغيرها الى مروى والتى ظهرت فى بعض مظاهر الحياة مثل استخدام نظام الحفيرات وزراعة القطن (٣) وما ظهر أيضا فى المعتقدات الدينية المروية من بعض المؤثرات الأجنبية والتى لم تكن ذات أصل مصرى (٤) .

(جـ) المراكز التجارية والأسواق ووسيلة التعامل

اولا : المراكز التجارية :

ان المراكز التجارية فى مملكة مروى كانت تنحصر بعد اضمحلال مركز نباتا السياسى فى الجنوب فى مدن مروى وسنيوم Cynium ـ منار ـ والمصورات واد بانقا والنقعة ، وقد أدت الظروف الطبيعية ـ من توافر مواد التجارة والموقع قريبا من المناطق الأخرى للانتاج فى الجنوب والغرب الى ازدهار هذه المراكز التجارية عدة قرون ، ساعد على ذلك صلاحية الطرق التجارية واستتباب الأمن عبر هذه الطرق كما أدى قيام مملكة آكسوم وحرصها على استمرار التجارة الى زيادة حجمها . واذا ما كانت مراكز الانتاج والتجميع تقع داخل حدود مملكة مروى فان مراكز التصدير لم تكن تقع داخل حدود هذه المملكة ..

---

(١) هى مدينة كوهايتو Kohaito الحالية فى شمال اثيوبيا .

(٢) Pankhurst, R. : *Op. Cit.* p. 17

(٣) Arkell : A History of the Sudan p. p. 166—167.

(٤) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ٢١٧ وما بعدها .

لقد تركزت مراكز التصدير فى البلاد الأخرى •• فقد كانت تصدر البضائع الى مصر عن طريق أسواق اليفانتين (Elephantine) حيث كان يقوم سوق لهذه البضائع كما ذكر فيلوستراتوس (Philostratus) قيام سوق حرة فى المحرقة فى القرن الثالث الميلادى (١) كما كانت أدوليس تقوم بهذه المهمة بالنسبة للتجارة عبر أكسوم •

ثانيا : الأســواق :

كانت أسواق منتجات مروى تتركز بصــورة أســاسية فى مصر وروما فى حوض البحر المتوسط والهند على الجانب الآخر ••

ومن الممكن تصور مدى فخامة حجم السوق المصرى للبضائع المروية من خلال ما هو معروف عن مدى تغلغل العنــاصر والقيم الحضــارية المصرية فى مروى •• وقد كان السوق الرئيسى دائما لمنتجات النوبة العليا قبل قيام مملكة مروى واستمر كذلك خلال عصر البطالمة •• وان تقهقر بعض الشىء خلال عصر الرومان بسبب طبيعة التجارة الرومانية واتجاهها للتعامل مع الهند بعد اكتشاف نظام الرياح الموسمية (٢) •

أما أسواق البضائع المروية الأخرى فقد ذكر الأســتاذ كمارير أن الهنــود كانوا أكثر المتعاملين فيها الى الدرجة التى تسمح لهم ولسفنهم بالدخــول الى ميناء أدوليس والرسو فيها واستخدامها والتعامل فى السلع الصادرة منها •• ثم استقر بعض الهنود من المشتغلين بالتبادل التجارى فى شكل جاليات فى الميناء وفيما وراء الميناء (٣) •

ثالثا : وسيلة التعامل :

يرى كيروان أن التعامل فى ابضائع المروية عن طريق المقايضة بصفة أساسية رغم العثــور على عمــلة لكلوديوس (Claudius) فى مروى وقطعــة عمــلة

---

(١) Kirwan : *Op. Cit.* p. 18.

(٢) Warmington, E. H. : The Commerce between the Roman Empire and India p. 7.

(٣) Kammarer, A. : Essai sur l'Histoire antique d'Abyssinie p. 97.

لليسينيوس (Licinius) وهى الآن فى متحف الخرطوم ، وكذا قطعة العملة لـ Valens من مقبرة تليبه من القسطل ربما كانت من القرن الرابع الميلادى — وقطعة أخرى من سنار وربما كانت من القرن الرابع الميلادى أيضا .. الا أن الأرجح أن هذه القطع من العملة لا يمكن أن تتخذ دليلا عن استخدامها فى التبادل التجارى نظرا لقلتها .

والجدير بالذكر أن التجارة التى رفعت قدر مروى وقوت مركزها كانت أحد الأسباب التى دفعت عيزانا للقضاء على الأسرة المالكة فيها .. فان الملك الاكسومى حرصا منه على استمرار التجارة ، ونظرا لغياب الحكومة المركزية القوية فى مملكة مروى وسيطرة قبائل النوبا السود على مقدرات البلاد مما هدد استمرار التجارة — وجد نفسه مضطرا لكى يحافظ على مصدر ثروة بلاده (آكسوم) — للهجوم على مروى والقضاء على الأسرة الحاكمة هناك .

فوزى مكاوى

شکل رقم ۱

شکل رقم ۲

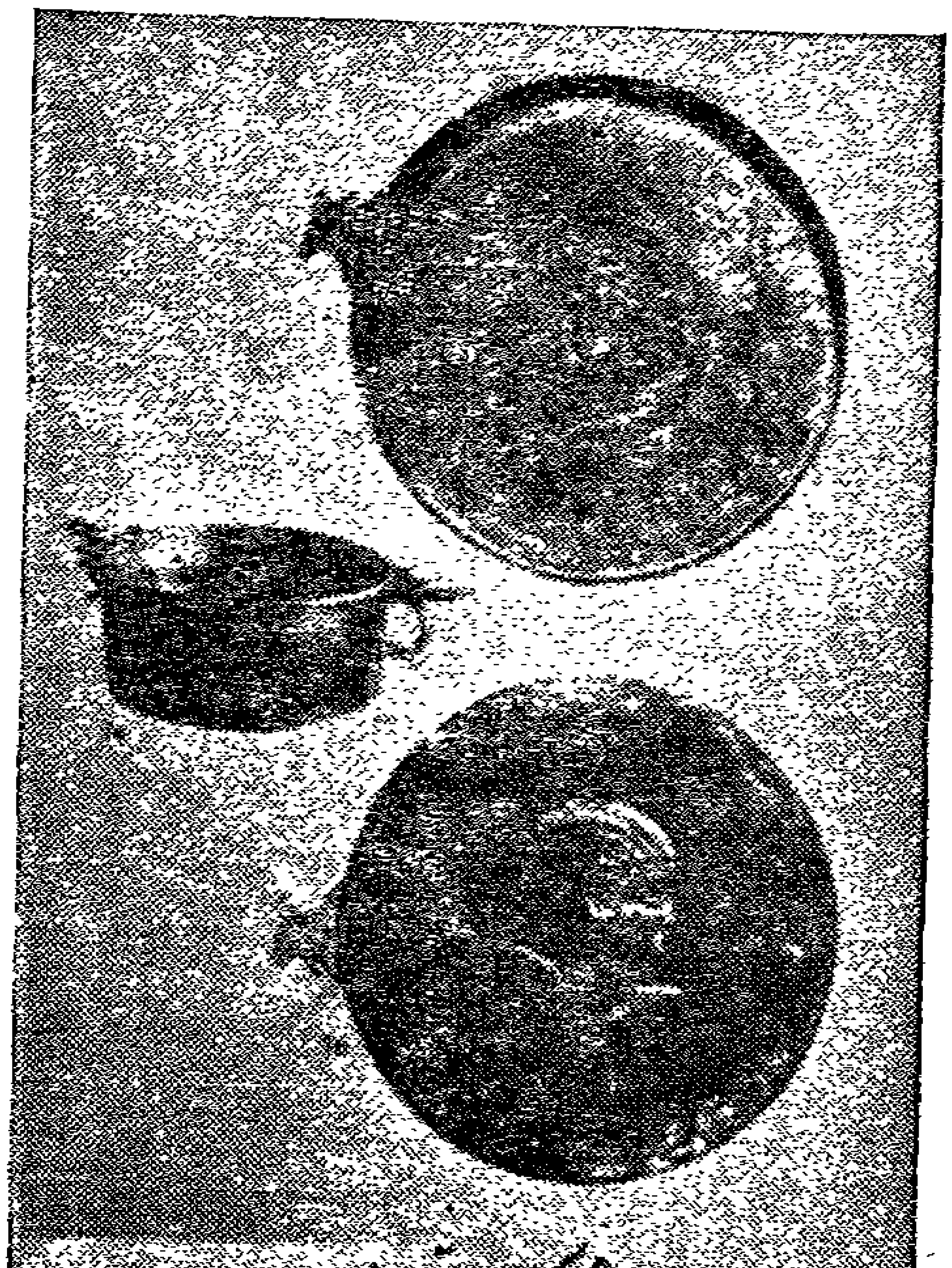

شکل رقم ۳

شکل نمبر ۴

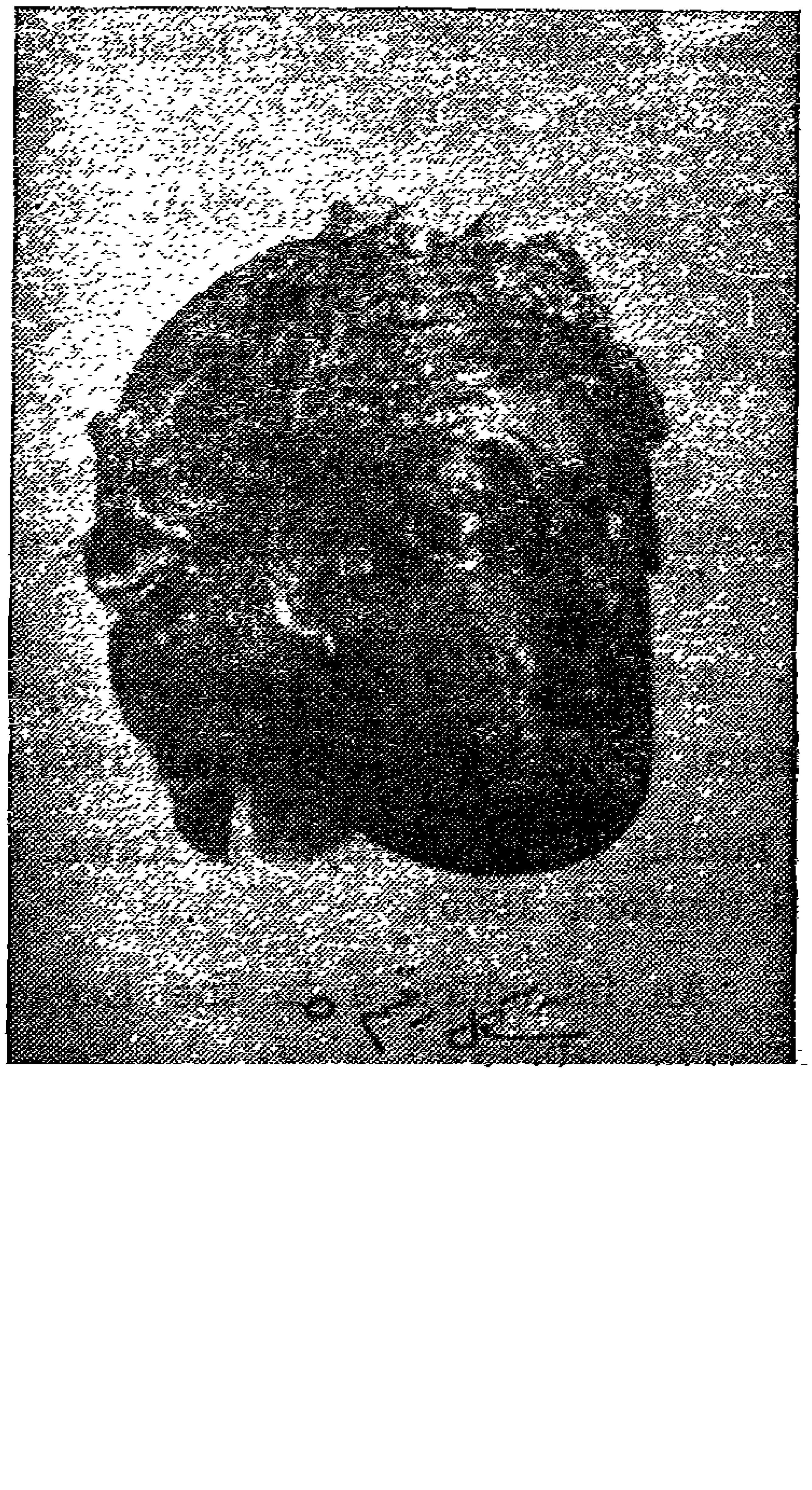

شکل نمبر ۵

المراجــع

أولا : مراجع عربية :

١ ــ ارمان ، أدولف ورانكه ، هومان :: مصر والحيــاة المصرية فى العصــور القديمة (ترجمة عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال) القاهرة ١٩٦٢ .

٢ ــ سليم حسن : مصر القديمة (الأجزاء ١١ ، ١٣ ، ١٥) القاهرة د . ت .

٣ ــ شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل جـ ١ القاهرة ١٩٦٩ .

٤ ــ صلاح الشامى : المواني السودانية ــ القاهرة .

٥ ــ فوزى مــكاوى : مملكة مروى (رسالة ماجســتير غــير منشــورة) القاهرة ١٩٧١ .

٦ ــ محمد أبراهيم بكر : تاريخ السودان القديم ــ القاهرة ١٩٧١ .

ثانيا : مراجع اجنبية :

1. Arkell A. J. : A History of the Sudan from earliest times to 1821, 2nd edition (London, 1961).
2. Crowfoot J. W. and Griffith F. : The Island of Mèroe. Meroitic inscriptions (London, 1911).
3. Dunham, Dows : The Royal Cemeteries of Kush V vols. (Boston, 1950—1963).
4. Emery. W. ; Egypt in Nubia (London, 1965).
5. Kammerer, A. : Essai sur l'histoire antique d'Abyssinie, Le Royoume d'Aksum et se voisins d'Arabie et de Meroe (Paris, 1926).
6. Kirwan, L. P. : Rome beyond the southern Egyptian Frontiers (Geog. Journal Vol. CXXIII) (London, 1957).
7. Macadam M. F. laming : The Temples of Kawa, I (Oxford, 1949) and Vol. II (Oxford, 1955).
8. Pankhurst, R. : An introduction to the Economic history of Ethiopia (London, 1961).

9. Rostovtzeff : Social and economic history of the Hellenistic world (Oxford, 1957).

10. Schoff, W. : The periplus of the Erythrean Sea (New York, 1912).

11. Schinnie P. L. : Meroe, a civilization of the Sudan (London, 1967).

12. Strabo : Geography of (London 1949—1954).

13. Theodore Bent : The ancient trade routes across Ethiopia (London, 1893).

14. Warmington E. H. : The commerce between the Roman Empire and India (Cambridge, 1928).

تم بحمد الله وتوفيقه طبع هذه المجـلة
بمطبعة جامعة القاهرة فى يوم الخميس الموافق
١٥ من فبراير سنة ١٩٧٣

مدير المطبعة
احمد سلامة

(مطبعة جامعة القاهرة ٢٧٦/١٩٧٢/٥٠٠)

NATIONAL LIBRARY LEGAL DEPOSIT
No. 628 - 1973

Printed by Cairo University Press,
Director.
AHMED SALAMA

Cairo Univ. Press, 155-1973-1000 ex.

LITERATURVERZEICHNIS

1. CERULLI, Enrico : Zàr. In : Enzyklopadie des Islam, Bd. 4. 1934 Leipzig 1934 S. 1317-1318

2. GOEJE, M.J.de : Zàr. In : Zeitschrift der deutschen morgen land ischen Gesellschaft Bd. 44. Leipzig 1890.S. 480

3. HENNINGER, Joseph : Ist der sogenannte Nilus-Bericnt eine brauchbare religions-geschlichtliche Quelle ? In : Anthropos, Bd. 50. Ereburg/Sch weiz 1955 S. 84, Anm. 7 u.s. 130-136, Anm. 232

4. HERZOG, ROlf : Die Ergebnisse der ersten sudanesischen Volks zahlung in ethnolcegischer Sicht. In Zeitschrift fuer Ethnologie, Bd. 84. Braunschweig 1959 , S. 173-204

5. KLUNZINGAR, G.B. : Bilder aus Oberagypten, der Wueste und dem roten Meer (Zweit-Auflage). Stuttgart 1878

6. KRISS, Rudolf und KRISS-HEINRICH, Hubert : Volksglaube im Be reich des Islam Bd. 2. Wiesbaden 1961

7. LITTMANN, Enno : Arabische Geisterbesceworungen aus Agypten Leipzig 1950

Dr. Soad Shaaban

LAND DER BEJA

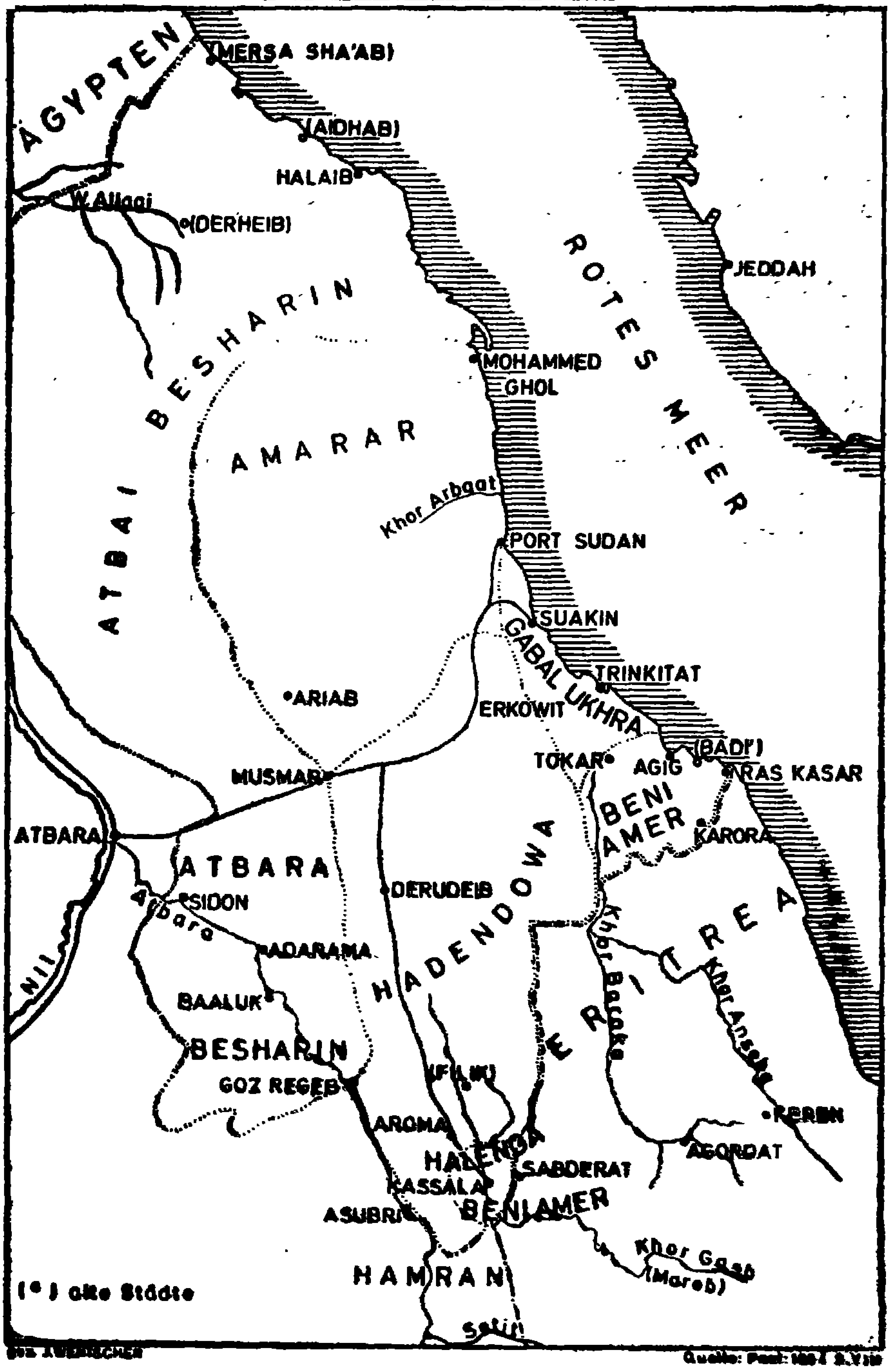

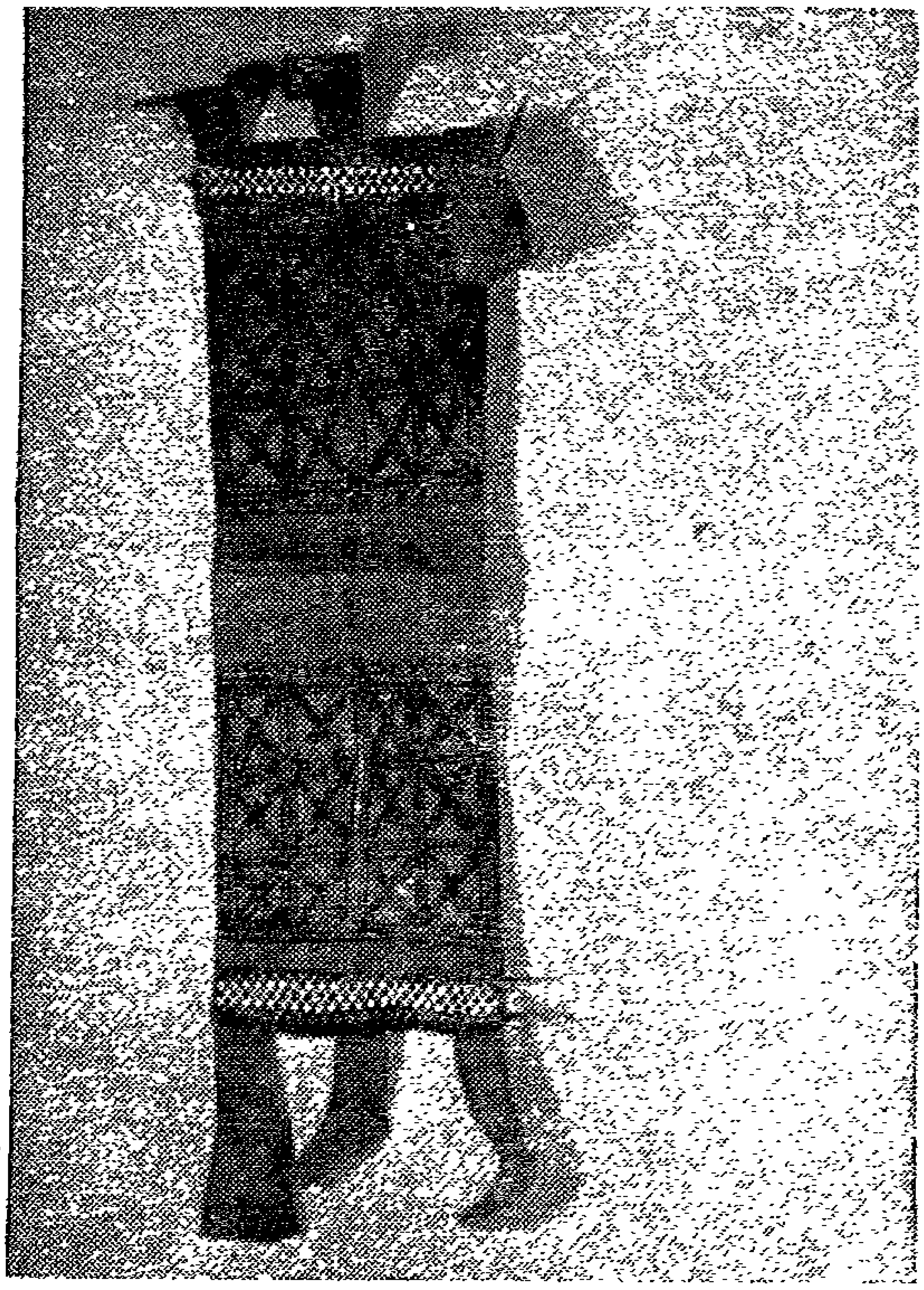

Kopfkissenuberzug.
Volkk. Sammlg. des s.f. Vk.
d.U. Bonn (Inv.-Nr. 2744).

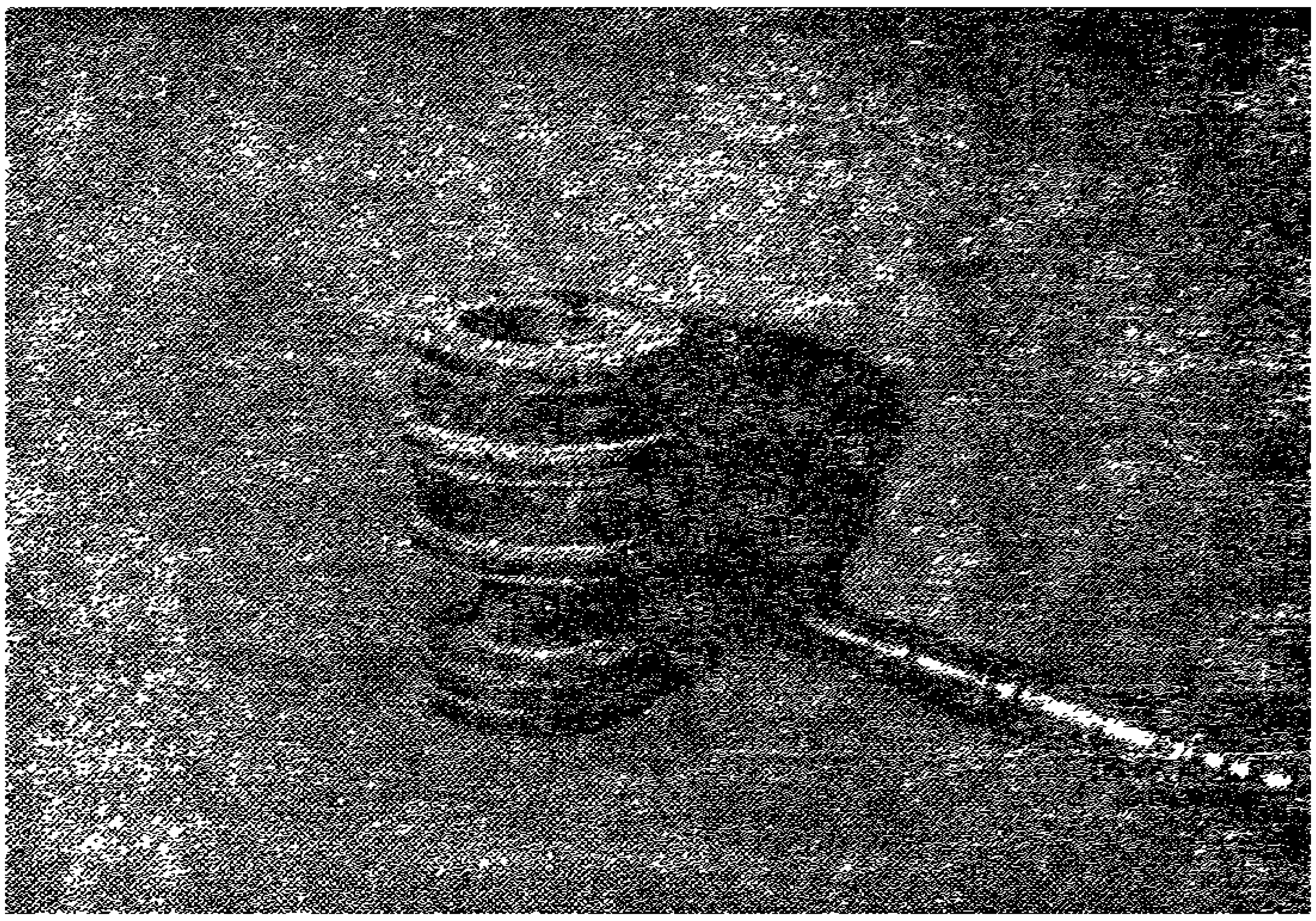

(1) Morser zum Zermahlen von Kaffecbonen. Einfuhrprodukt aus dem Sud-Sudan. Volkk. Sammlg. des s.f. Vk. d.U. Bonn (Inv.-Nr. 2750).

(2) Eiserner Stampfer zum Zerstampfen von Kaffeebohnen. Volkk. Sammlg. des S. f. VK. d.U. Bonn (Inv.-Nr. 2751).

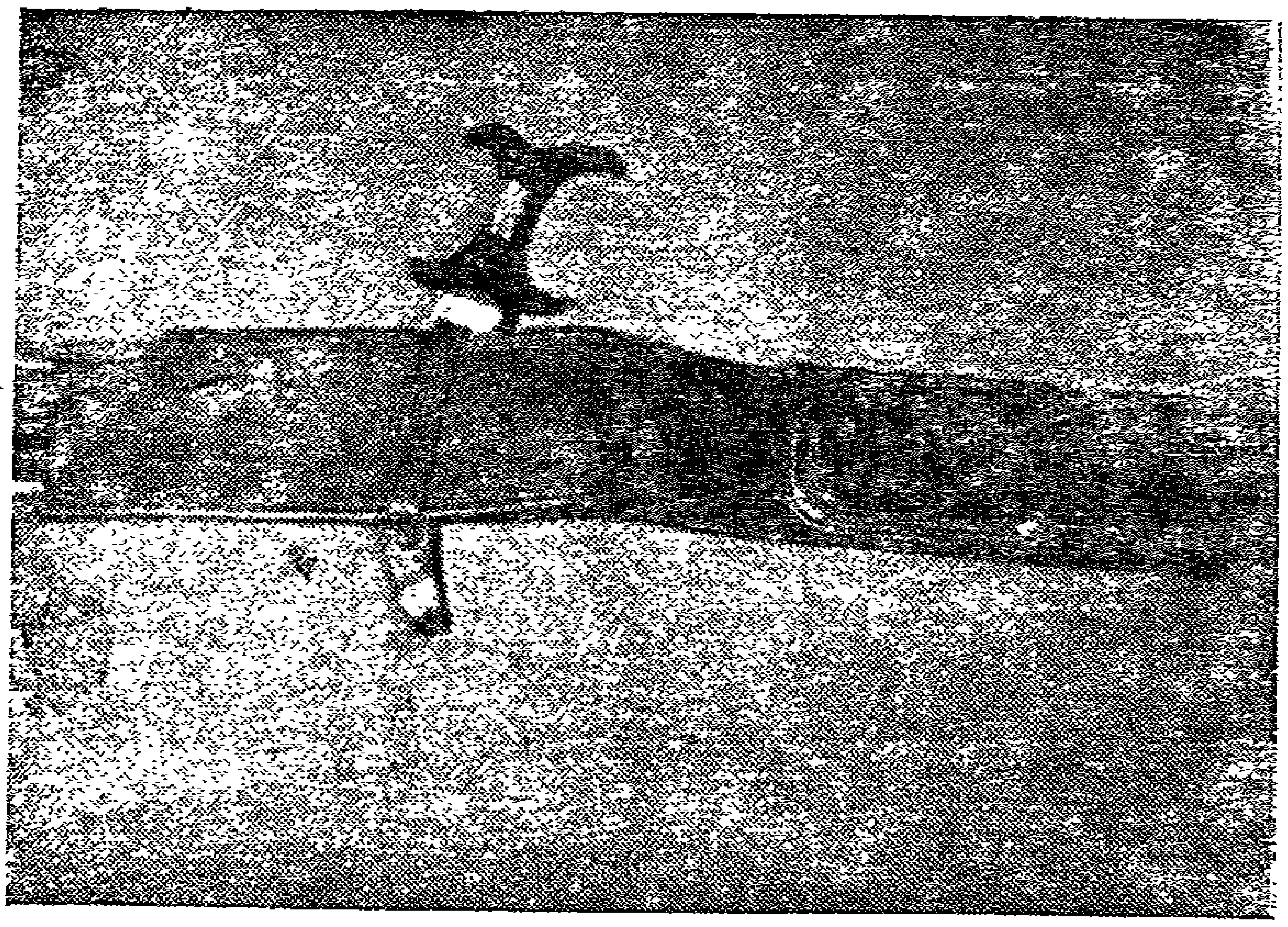

Ledergurt und Dolch des Hadandawa-Mannes. Volkk. Sammlg. des s.f. VK. d. U. Bonn (Inv.-Nr. 2757).

und setzen sich um die Schüssel herum. Sie singen Trauerlieder, waehrend eine von ihnen dazu mit dem Holz auf der Kalebasse den Takt schlaegt. In Trauerliedern sagt man von einem Mann, daß nun seines Hauses Reichtum, Macht und Freundschaft daherin sind, von einer Frau, daß sie ein geduldiger, glücklicher Mensch gewesen sei (1). Nach sieben Tagen des Gedenkens werden die Trauerutensilien weggeworfen.

Am Tage nach dem Tod wird übrigens ein Rind geschlachtet, am dritten, fünften oder siebenten Tag ein weiteres. Ein Teil des Fleisches wird als Almosen an arme Leute verteilt. Das übrige ißt die Trauerversammlung. Das Ende der Trauerzeit, ein Jahr nach dem Sterbefall, wird ebenfalls durch die Schlachtung eines Rindes gefeiert.

Ein Jahr lang müssen die nahen weiblichen Verwandten des Toten *Trauerkleidung* tragen, die wie die normale Tracht geschnitten ist, aber aus blauem Tuch oder, falls das nicht vorhanden sein sollte, aus dünnem weißem Stoff besteht.

Das islamische Gesetz foerdert von einer *Witwe*, daß sie vier Monate und zehn Tage in Trauer in ihrem Hause verbringt. Waehrend dieser Zeit darf sie keinen Mann sehen und keine Arbeit verrichten. Sie soll keinen Schmuck tragen und sich nicht einmal kaemmen. Der Grund für die Abschließung ist, daß man sich überzeugen will, ob sie schwanger ist oder nicht. Erst vier Monate and 10 Tage nach dem Tode ihres Mannes darf eine Frau sich wieder verheiraten; gewoehnlich wartet sie jedoch wenigstens ein Jahr. Ein *Witwer* darf sofort eine neue Ehe eingehen ; meist wartet er aber mindestens 40 Tage.

Ist jemand *ermordet* worden, so kann eine Trauerzeremonie erst dann stattfinden, wenn auch der Moerder getoetet oder zumindest das Todesurteil ergangen ist.

Im allgemeinen kann eine Frau nur einmal in ihrem Leben einen Zar für sich veranstalten lassen. Sie darf aber an den Riten für andere Frauen teilnehmen. Für die Abhaltung einer solchen Zeremonie werden der Leiterin drei Pfund gezahlt ; auBerdem erhaelt sie ein Pfund für Weihrauch. Am letzten Tag eines Zar sammelt die Scheicha unter den Frauen, die teilgenommen haben, übrigens noch Geld, das sie unter ihre Helferinnen verteilt. An diesem Tag findet auch ein Essen statt, bei dem die geschlachteten Tiere genossen werden, dazu Reis, Kaffee und Tee.

AuBer der Zar-Zeremonie dient eine groBe Zahl von *Amuletten* zur Abwehr von Krankheiten. Kindern gibt man bereits an ihren siebten Lebenstag ein Amulett. Maenner tragen es am rechten Oberarm, Frauen an einer Kette um den Hals (1).

Heute gibt es im Gebiet der Hadandawa in jedem Dorf ein kleines *Krankenhaus*, das aus drei «Abteilungen», d. h. je einem Zimmer mit acht Betten für Maenner, Frauen und Kinder, besteht. In jedem Krankenhaus wirken ein Hilfsarzt, zwei oder drei Krankenschwestern und eine Hebamme. Jedes verfuegt auch über einen Krankenwagen. In den drei Staedten Port Sudan, Kassala und Aroma existieren groeBere Krankenhaeuser. In allen Anstalten sind Untersuchungen, Injektionen und Medikamente kostenlos. Dringende und leichtere Faelle werden in den kleinen Krankenhaeusern behandelt. Kranke, welche die Klinik nicht zu FuB aufsuchen koennen, holt man mit dem Krankenwagen ab. Patienten mit schweren Erkrankungen finden in den groeBeren Haeusern Aufnahme. Dort gibt es auch Operationssale und die gesamte Ausstattung ist selbstverstaendlich besser (2).

5. **Der Tod**

Trauerzeremonien fuer einen hochstehenden und geachteten Mann dauern vierzehn Tage Waehrend dieser Zeit weinen die Frauen, und sie gehen in Gruppen umher, wobeisie Schwert und Kleider des Verstorbenen mitsich fuehren Stirbt aber ein «einfacher» Mann, so wird — wenn er ein Nomade war — sein Zelt abgebrochen und ein neues für die Trauerveranstaltung errichtet. Die Frauen seiner Verwandtschaft bringen eine Waschschüssel, die halb mit Wasser gefüllt ist, eine Kürbisschale und ein Stück Holz in das Zelt oder in das Sterbehaus

---

(1) Persoenliche Mitteilungen ; vgl. dazu auch die verschiedenen Literaturangaben über Zar.

(2) Persoenliche Mitteilungen.

Sie tragen Namen « *Zar-Braut* » (Arusa), weil sie als Braeute jener Geister gelten, die von ihnen Besitz ergriffen haben. Zur staendigen Begleitung der Scheicha gehoeren auBerdem Personen, welche die Musik zum Beschwoérungs taenze spielen [1].

Die folgenden Auskünfte verdanke ich einer Zar-Meisterin sowie einigen Teilnehmerinnen an einer Zeremonie in Wagar. Dort hatte ich übrigens auch selbst Gelegenheit, an einer Beschwoerung teilzunehmen. Wenn eine Frau schwer krank ist, geht sie zur « Zar-Meisterin », welche sie mit Weihrauch bespringt und fragt, was sie sich wünsche. Nach einiger Zeit antwortet die Kranke, d. h. eigentlich sprechen die Geister, welche, die Krankheit verursacht haben, aus ihr. Deshalb klingt die Stimme der Besessenen auch ganz anders als gewoehnlich, ja manchmal redet sie sogar in einer fremden Sprache. In dem von mir beobachteten Falle verlangte die Kranke ein weiBes makelloses Schaf, einen Soldatenhut, eine schwarze Brille, Hose und Hemd, Maennerstrümpfe und Maennerschuhe—alles füer eine Frau ungewoehnliche Dinge. Saemtliche Frauen die an der Zeremonie teilnahmen, muBten die erbetenen Kleidungsstücke beschaffen. Man kauft oder leiht solche Gegenstaende in besonderen Geschaeften,

Am Freitag begannen die eigentlichen Vorbereitungen für den Zar, der dann zwei Tage dauerte. Unter Trommelschlag wurde bekanntgegeben, daB am naechsten Tag eine Beschwoerung stattfinden sollte. Die Hauptzeremo nie nahm am Sonnabendfrüh mit der Schlachtung der Opfertiere ihren Anfang. Dabei standen alle am Zar beteiligten Frauen im Kreis herum. Sobald Blut floB, fing die Scheicha etwas davon in einem Teller auf, der zu ihren Ausrrüestungegegenstaenden gehoert, Die Kranke muBte vom Blut eines jeden Tieres kosten. Nach der Schlachtung verlieBen alle Frauen den Kreis und sammelten sich zu Singen, Klatschen und Tanzen. Jede der Teilnehmerinnen hatte einen Stock in der Hand, und alle trugen die beim Zar üblichen Arm—und Fingerringee. Frauen, für die persoenlich noch kein Zar veranstaltet wurde, haben üebrigens nicht das Recht, aufrecht zu tanzen, sondern sie müssen sich knicnd fortbewegen Den Frauen, welche aufrecht tanzten, bestrich die Leiterin der Zeremonie die Stirn mit Blut. Auch Trommel und Taburine wurden mit Blut gezeichnet. Tanz und Gesang um die geschlachteten Tiere dauerten etwa zehn bis fünfzehn Minuten. Zwischen den einzelnen Beschwoerungsliedern füer einen bestimmten Geist wurde eine Schelle gelaeutet.

---

(1) Vgl. Kriss, 1962, S. 144

man «Uebernachtung des Zeichens».[1] Die Scheicha legt das Zeichen unter ihr Kopfkissen, und in jeder der drei Naechte beschwoert sie die Geister, ihr im Traum zu offenbaren, was der Grund der Krankheit sei, ob das Uebel von ihnen stamme und wie sie versoehnt werden koennen, auf das die Kranke wieder gesund werde. Auf diese Weise erfaehrt man die Namen der verantwortlichen Geister. Wenn das aber keinen Erfolg hat, muß man Beschwoerungs-lieder singen. Der Geist, der in der Besessenen haust, gibt sich naemlich zu erkennen, wenn er sein eigenes Lied hoert. Aus der Art der Bewegung der tanzenden Kranken schließt man, ob der besungene Zar tatsaechlich in ihr ist oder nicht. Manchmal bedarf es mehrerer Sitzungen, bis der Geist aus dem Munde der Besessenen spricht und seinen Namen nennt. Das kann oft lange dauern, weil der Patient stets von mehreren Geistern zugleich besessen ist und die Scheicha sie erst entmischen muss [2]

(Der Forscher Rudolf Kriss selbst gab einmal vor, von Zar-Geistecn besessen zu sein, und so wurde für ihn 1957 in Kairo eine zweitaegige Zar-Zeremonie veranstaltet) [3].

Richtige Melodie, richtiger Text, richtige Kleider, Weihrauchsorten und Opfertiere sind je nach Art der einzelnen Zar-Geister verschieden. Die hauptsaechlichsten Opfertiere sind übrigens Huhn und Schaf. Eine Kranke, aus welcher der boese Geist ausgetrieben werden soll, muß vom warmen Blut des Schafes trinken. Auch wird sie damit bestrichen[4]. Da jeder Zar-Geist ganz bestimmte Foerderungen stellt, ist die Scheicha selbst mit moeglichst zahlreichen Amulettee behaengt, damit sich ja keiner der Geister benachteiligt fühlt. Die jeweilige «Zar-Braut» (s. unten) traegt nur die zu ihrem besonderen Geist gehoerigen Amulette.

Die *Scheicha* (es gibt übrigens auch maennliche Zar-Meister) spielt gewissermaßen die Vermittlerrolle zwischen den Geistern und der besessenen Person. Ihr Amt ist erblich, und zwar gilt ihre Tochter als Nachfolgerin. Falls sie keine Toechter hat, kann die Nachfolge auch von einer ihrer Begleiterinnen übernommen werden. Der Unterschied zwischen der Scheicha und den sie umgebenden Frauen besteht darin, daß s i e mit a l l e n Zar-Geistern umgehen kann, d.h. auch mit jenen, von denen sie selbst nicht besessen ist. Die Frauen ihrer Begleitung aber sind nur mit ganz bestimmten Zar-Geistern verbunden.

---

(1) Vgl. Littmann, 1950, S. 1.

(2) Vgl. Kriss, 1962, S. 198.

(3) Vgl. Kriss, 1962, S. 160-180 ; dazu auch Henninger, 1963, S. 924.

(4) Vgl. Henninger, 1955, S. 132.

Das *Wort* selbst ist offensichtlich nicht arabischen Ursprungs. Goeje meint dazu : «Zar ist kein arabisches Wort, bildet auch im Arabischen keine Ableitungen und seltsamerweise nicht einmal einen Plural.[1] Die meisten Gelehrten, vor allen Cerulli, [2] gehen daher vom abessinischen Sprachgebrauch aus und leiten es von der Bezeichnung für die hoechste Gottheit der «heidnischen» Kuschiten ab.[3] Kriss schreibt hingegen : «Das Wort Zar wird von manchen Gelehrten von dem arabischen «zara (besuchen) oder ziyara (Besuch) abgeleitet..[4]

Mit «Zar» bezeichnet man sowohl die *Geister* selbst in ihrer Gesamtheit als auch die Veranstaltung, welche ihrer Vertreibung dient. Littmann unterscheidet vier Gruppen Zar-Wesen :

1. Geister mit Personennahmen, unter denen gibt es einen Koenig, der wiederum einen Sultan und einen Wesir hat. Der Koenig selbst wird auch «es--Sid-el-Kabir», «der groBe Meister», genannt.

2. Naturgeister wie «Samawiya», «die Himmliche»,—«Ardiya», «die Irdische», u.a.m.

3. Landschaftsgeister, die in bestimmten Gegenden oder an gewissen Orten zu Hause sind, wie «Masri», «der Agypter», «Sudani», «derSudanese», Habaschi», der «Abessinier» u.a.m.

4. Geister aus der Gattung der «Dschinn». Unter den Dschinn gibt es sieben Fürsten, die nach ihrer Farbe unterschieden werden : einen gelben, weiBen, roten, blauen aschfarbenen und schwarzen. [5]

Zar-Geister sind entweder maennlich oder weiblich. Wenn ein Mann von einem weiblichen Daemon besessen ist, so zieht er Frauenkleider an und gibt sich als Frau aus. Wenn umgekehrt eine Frau einen maennlichen Daemon in sich hat, so legt sie Maennerkleidung an und gilt als Mann, bis der Geist aus ihr ausfaehrt[6].

Um Namen und Herkunft eines Geistes zu erfahren, schickt eine kranke Frau ihr Kopf-oder Handtuch zur «Scheicha», der Leiterin der *Zar Zeremonie*. Dies sogenannte «Zeichen» bleibt drei Naechte bei der Meisterin. Das nennt

---

(1) Goeje, 1890, S. 480.
(2) Vgl. Cerulli, 1934, S. 1317.
(3) Vgl. dazu auch Kriss, 1962, S. 180 ; Goeje, 1890, S. 480 und Klunzinger, 1878, S. 388.
(4) Vgl. Kriss, 1962, S. 180.
(5) Vgl. Littmann, 1950, S. 52-58.
(6) Vgl. Littmann, 1950, S. 58.

Von sieben Uhr morgens bis zwei Uhr nachmittags steht das Gesund heitszentrum der Bevoelkerung offen. Hauptaufgabe der Fuersorgerin und ihrer Hebammen ist es aber, alle Schwangeren und alle Mutter mit Sauglingen regelmaessig zu besuchen und ihnen Hilfe zu leisten, sobald Schwierigkeiten auft auchen. Frauen werden waehrend ihrer Schwangerschaft immer wieder unter der Aufsicht der Fuersorgerin von Hebammen untersucht. Steht eine Geburt dnmittelbar bevor, so kontrolliert die Fuersorgerin auch den Geburtshelferkoffer der zustandigen Hebamme auf Sauberkeit und Vollstaendigkeit des Inhalts. Dazu uehoeren neben einer weisen Uniform ein Koffer, in welchem alle Utensilien fuer uie Geburtshilfe untergebracht sind (Geburtszange, sterilisierte Verbandgaze dnd Watte, decinfizierende Fluessigkeit fur Waschungen, Glyzerin zum Einreiben der Brustwarzen, unvergallter Alkohol, Salz, Tabletten gegen Blutungen und gegen Durchfall, eine Klistierspritze, Pinzette, Schere, Loffelchen zum Einneh men der Tabletten, Seife, eine Burste und eine Kanne, in her heißes Wasser gekocht werden kann). Eine Hebamme bezieht vom Gash-Amt ein Monatsgehalt von vier fund (etwa 40 DM).

Kinder werden bis zu ihrem fünften Lebensjahr vom Gesundheitszentrum betreut, um eine ausgewogene Ernaehrung sicherzustellen. (Mütter stillen zwei Jahre lang, es sei denn, daB sie bis dahin erneut schwanger geworden sind.) So steht jedem Kind unter fünf Jahren einmal in der Woche ein Frünstück zu, da ihm im Gesundheitszentrum verabreicht wird. Es bekommt-meist montags-entweder Linsen oder gekochten Reis mit Milch. Darüber hinaus erhaelt jedes Kind Medikamente und 37 g Milch pulver pro Woche. Einmal in der Woche muB übrigens jedes Kind auch gewogen werden.

4. Krankheiten und Gesundheitspflege

Nahezu jeder Hadandawa leidet an *Anamie*. Sehr haeufig, gerade im Süden des Landes, kommt auch eine *Entzuendung der Ohrspeicheldrues*evor. Besonders Kinder werden von dieser Krankheit befallen. Oft leiden die Hadandwaw an *Keuchhusten*, einer Art *Durchfall* (vor allem Kinder), *Malaria Dysenterie*, *Bandwurmern* und *Eskares*.

Nur im auBersten Notfall suchen die Hadandawa ein Krankenhaus auf. Statt dessen veranstalten sie meist einen «Z a r». Solche magischen Zeremonien werden aber fast nur bei Krankheiten einer Frau abgehalten. Die Riten dienen der Vertreibung und Besaenftigung von boesen Geistern, und in ihrem Mittelpunkt stehen Opfer und ekstatische Tanze. (1)

---

(1) Vgl. Kriss, 1962, S. 140. Die folgenden Angaben uber «Zar» beziehen sich, falls nicht ausdrucklich auf eigene Beobachtungen hingewiesen wird, auf Feststellungen in Agypten.

Etwas anders verlaufen Heirat und erste Ehezeit bei den Halenga Gebiet von Kassala. Drei Monate nach der Verlobung gibt der Braeutigam seiner Brau- 20 Pfund. Er baut auch ein Zelt, das er mit zwei Sorten unterschiedlich gefaert bter Matten abdeckt, und zwar mit weisen und roten. Die weisen Matten sind aus Mitteln des Braeutigams bezahlt, die roten stammen von der Brautmutter. Nach der Hochzeitezeremonie bleibt die Braut noch zwei Tage bei ihrer Mutter. Am dritten Tage Wird sie von den jungen Maedchen ihrer Verwandtschaft zum Haus des Brautigams gebracht. Nachdem man ein Schaf fuer die Braut geschlachtet hat, verlassen die Maedch n die junge Frau. Nach Ablauf von weiteren vierzig Tagen schenkt der Ehemann seiner Frau neue Kleider und bringt sie wieder zu ihren Eltern zurueck. Dort bleibt sie drei Monate lang und verfertigt waehrend dieser Zeit Matten fuer das kleine Bett («Angarib»).-Ist eine Frau im siebten Monat schwanger, so geht sie zu ihrer Mutter und bleibt dort, bis ihr Kind drei Monate alt wird. Bei den Halenga traegt die Frau uebrigens sofort nach der Hochzeit einen Ring in einer Haarlocke. Die anderen Hadan-dawaFrauen legen diesen Ring erst nach der Geburt des ersten Kindes an.

Der Gesundheitszustand der Hadandawa-Frauen waehrend der *Schwangerr schaft* ist im allgemeinen sehr schlecht. Sie leiden meist unter Blutarmut. Einer Ueberlieferung nach hat naemlich einmal im Altertum eine Frau Waehrend deb Schwangerschaft zu viel gegessen. Daraufhin wuerde ihr Kind im Mutterlei, sehr gross und schwer, und die Geburt war eine Qual. Daher essen Frauen-wenn sie schwanger sind, heute moeglichst wenig.(1)

Wie oben bereits ausgefuehrt wurde, gibt es im Suedteil des Hadandawa-Landes heutzutage eine Institution fuer die *Gesundheitsfuersorge von Schwangeren und Kindern.* Das Zentrum wurde 1960 in Aroma, dem Hauptort der Hadandawa, eroeffnet. In diesem Haus bildet man u. a. Hebammen aus, und zwar sowohl theoretisch als auch praktisch. Mit der Erteilung der Unterrichts ist eine Gesundheitsfuersorgerin betraut. Die Fuersorgerin selbst hat nach der Volks-schule eine dreijaehrige Ausbildung als Krankenschwester absolviert. Jetzt hat sie die Aufgabe, zweimal im Monat in jedem der ihr anvertrauten Doerfer, in Mekali, Tendelai, Wagar, Metateib, Dugein und Goz-Regab Sprechstunde zu halten. Einmal in der Woche erteilt sie den Hebammen Unterricht. Außer den Hebammen unterstehen ihr auch eine Sekretaerin, eine Reinemachfrau und ein Hausmeister.

---

(1) Personliche Mitteilungen alter Frauen.

Hochzeiten von jungen Maennern aus beruhmten Familien oder von Haeuptlingen dauern meist nur drei Tage. Aus diesem Aula-β erscheinen Abordnungen aller Staemme der Bedscha. Jede dieser Gruppen wird von einem Mann angefuehrt, dessen Schild anzeigt, um welchen Stamm es sich handelt. All Abordnungen fuehren dann ihre eigenen Taenze und Gesaenge zu Ehren des Braut- paares auf. Dabei tanzen Frauen und Maenner getrennt voneinander. Der Familie des Brautigams obliegt es, alle Kosten fuer Unterkunft und Verpflegung ihrer Gaeste zu tragen.(1)

Als *Brautqreis*, hier eher als eine «Brautgabe», mu β der Brautigam seiner Braut (!) 360 Piaster (etwa 36 DM) zahlen. Diese Summe ist in der Sunna festgesetzt. Aber darueber hinaus darf er seiner Braut noch soviel Geld geben, wie er mag. Im allgemeinen ist der Braeutigam verpflichtet, seiner Braut einen gewissen Teil der Summe in Gold auszuhaendigen. Dieser Betrag ist aber nicht schon vollstaendig anlaeBlich der Hochzeit selbst faellig. Die Auszahlung kann in Raten ueber einen gewissen Zeitraum verteilt werden. Jeder Stamm hat seine, eigenen Gewohnheiten bezueglich der Hoehe des eigentlichen Brautpreises. Es sind zwei, vier oder sechs Rinder an die Eltern (!) der Braut zu entrichten. Will ein junger Mann ein «fremdes» Maedchen (keine Base) heiraten, so kann er bei der Aufbringung des Brautpreises keine Unterstuetzung von seiten seines Vaters erwarten. Heiratet er aber seine Base, dann wird der Vater den Brautpreis zahlen-es sei denn, der junge Mann verfuegt uber eigenes Vermoegen.

Die *Zahl der Verheirateten* bei den Hadandawa liegt unter dem Landes-und Provinzdurchschnitt. Nur 62,8 % der Maenner (2) und 83,7 % der Frauen waren bei den Hadandawa im Jahre 1955/56 verheiratet. Von den zur Zeit der Volkszaehlung verheirateten Maennern lebten 90,6 % in Einehe, 7,9 % mit zwei, 1,1 % mit drei und 0,5 % mit vier Frauen. (3)

Nach der Hochzeit weilt die junge Ehefrau den Tag ueber bei ihrer Mutter und kehrt erst spaet in der Nacht in ihr eigenes Haus zurueck. Das tut sie bis zur Geburt ihres ersten Kindes. Bei den Amarar-besonders bei denen die zur Merfuwab-Abteilung bei Port Sudan gehoeren-, dauert diese Periode sogar so lange, bis das erste Kind etwa drei Jahre alt ist. Dank dieser Regelung haben die Eltern der jungen Frau Gelegenheit, ihr bei der Erziehung des Kindes zu helfen.

---

(1) Personliche Mitteilungen.

(2) Manner und Frauen, uber Pubertatsalter.

(3) Vgl. Herzog, 1959, S. 185. f.

Wenn alle Vorbereitungen beendet sind, beginnt die *Hochzeitsfeier*. Die eigentliche Eheschließung findet meist an einem Donnerstagabend statt. Am *Tage vor der Hochzeit* haben sich die Frauen versammelt und sind mit Palmzweigen gemeinsam zur Moschee oder zu einem heiligen Grab (das als « baraka », d. h. segenbringend, betrachtet wird) gepilgert. Nachdem sie siebenmal um die Moschee oder um das Grab herumgegangen waren, kehrten sie zum Hochzeitshaus zurück. Die Palmzweige, « Sunkab » genannt, wurden durch diese Zeremonie geweiht. Man hat einige am Haus des Braeutigams «Beit el-'Irs», andere an der Wohnung seiner Mutter aufgehaengt; denn sie bringen Glück : Sie verheißen Soehne und viele weibliche Kamele. —Die Nacht vor der Hochzeit ist die «*Hennanacht*»: Braut und Braeutigam bemalen sich die Haende und Füße mit Henna—. Die *Hochzeit selbst* beginnt mit der Schlachtung der Tiere, die waehrend des sieben Tage dauernden Festes verspeist werden. An den Festtagen sitzt die Braut mit ihren jungen weiblichen Verwandten auf dem großen Bett im Elternhaus hinter der Schamla, die als Vorhang dient. Vor dem Haus haben sich die übrigen Frauen nieder-gelassen. Einige singen und tanzen. Die Mutter des Braeutigams nimmt auf dem Erdboden Platz. In der Hand haelt sie ein Büschel Palm-oder Dumzweige; einen ebensolchen Zweig traegt sie im Mund.

Waehrend der Hochzeitsfeierlichkeiten werden *Lieder* gesungen, und es wird getanzt. Sehr beliebt ist ein Gesang, in dem folgende Geschichte erzaehlt wird: « Eine Jungfrau traeumte sich ihren Liebsten in Gestalt einer Puppe. Sie spricht zu dieser Puppe, als sei sie ihr leibhaftiger Geliebter : « Du bist aus einer vornehmen und geachteten Familie, und Du sollst die guten Sitten, den Mut, die Güte, die Tugend und die Mannhaftigkeit Deiner Familie bewahren ». Wenn Nawwal (der Name des Geliebten) aber boese wird, dann besaenftigt die junge Frau ihn indem sie ihm eine Sklavin oder einen Sklaven gibt ; denn er ist so hoch gestellt, daß er sich nicht mit weniger begnügt. Darauf sprechen ihre Freundinnen : «Schlaegt dieses Maedchen; denn sie lobpreist eine Puppe und sagt so etwas von ihr ». Sie aber antwortet : « Nawwals Mütter sind so geachtet, sie tadeln niemanden ; sie sind so standhaft, daß sie auch auf der Reise kein Wasser trinken. « Weiter singt sie : «Deine Schwester, Nawwal, ist die Schoenste auf der Welt. Deshalb ist es auch kein Wunder, daß Du so schon bist. Du bist es, der sich mit Murtad Pascha, dem Herrscher über Suakin, unterhaelt. Du bist es auch, der nach Kassala geht, um Probleme zu loesen ». Dieses Lied ist seit türkischer Zeit in Suakin beliebt. —In einem anderen Gesang heißt es : « Hoffentlich wird diese Hochzeit gesegnet und stark wie eine Schnur ». Dem Brautigam wird gewünscht, daß er ein tüchtiger Reiter, ein kraeftiger Schwerttraeger, ein mutiger und guter Mann werden moge.

Maedchen werden etwa im sechsten Lebensjahr beschnitten, und zwar an ihren Schamlippen. Man laeBt die Wunde zusammenwachsen und oeffnet die Vagina erst wieder bei der Verheiratung(1). Bei der Beschneidung der Maedchen geht es aber nicht so feierlich wie bei der der Knaben zu. Sie erhalten allerdings auch neue Kleider. Die naeheren Verwandten sind eingeladen, und Datteln' Nüsse und SüBigkeiten sowie Kaffee werden herumgereicht.

3. Verlobung, Heirat, Ehe und Schwangerschaft

Wenn ein junger Mann heiraten will, so wendet er sich zunaechst an seinen Vater, Der spricht dann mit dem Vater des Maedchens. Sind beide Vaeter einverstanden, so benachrichtigt der Vater des jungen Mannes seine Ehefrau von der bevorstehenden Heirat. Grundsaetzlich bevorzugt sind EheschlieBungen unter Vettern und Basen vaeterlicherseits. Ein Vater wird seine Tochter erst dann einem fremden Mann versprechen, wenn er dazu von allen heiratsfahigen Verwandten die Erlaubnis eingeholt hat.

Nach der ersten *Unterredung der Vaeter* besucht die Familie des jungen Mannes die Eltern des Maedchens. Dieser Besuch heiBt «Oeffnung des Mundes» « Fath el-Khashm ». Die Mutter des Jungen bringt der Mutter des Maedchens Geschenke mit wie Tuecher (Kleidungsstücke) und SüBigkeiten, getrocknete Datteln, Erdnüsse und dazu acht Pfund (etwa 80 DM) an Bargeld. Die *Zustimmung der Brautmutter* zur EheschlieBung ist sehr wichtig. sie zur Durchführung der Hochzeit für notwendig haelt.

Sobald die Brautmutter im Besitz der erforderlichen Dinge ist, beginnen die weiblichen Verwandten mit der *Errichtung des « Hochzeithauses »*. Es wird von den Frauen am Rand des Dorfes gebaut. Das Gerüst für das Zeltdach wird errichtet, das Bett « Inbagi » aufgestellt, Matten werden geflochten, die «Schamla» (Wolldecke) gewebt und der Schmuck für das Innere des Zeltes angefertigt. Waehrend der Bauzeit treffen sich die Frauen morgens früh an der Baustelle und bleiben bis abends dort. Einer alten Sitte entsprechend haelt man einen Teller mit Datteln bereit, in dem ein Gold-oder Silberring liegt. Naehert sich ein Mann dem Platz, so wird ihm durch ein Maedchen oder einen Jungen von den Datteln angeboten. Der Beschenkte hat dafür eine Gegengabe, und zwar Geld, in den Teller zu legen. Auf diese Weise sammeln die Frauen etwas Geld für ihre eigenen Bedürfnisse. Selbstverstaendlich meiden Maenner moeglichst die Stelle, an der ein Hochzeitshaus gebaut wird.

---

(1) Persoenliche Mitteilungen.

vor dem Haus der Woechnerin ein Feuer unterhalten. Erst nach Verstreichen der Meidungsfrist kaemmt sich die Mutter ihr Haar und reibt sich Haende und Füße mit Henna ein.

Die *Geburtenrate* bei den Hadandawa liegt zwischen ein und vier lebenden Kindern pro Familie(1).

2. Kindheit und Jugend

Jungen und Maedchen unterstehen der *Aufsicht der Mutter*, bis sie etwa sieben Jahre alt sind. Maedchen werden mit zunehmendem Alter von der Mutter in die Hausarbeiten eingeführt. Die Jungen haben jedoch viel Freiheit.

Schulpflicht besteht für beide Geschlechter vom sechsten Lebens-jahr ab. Trotzdem weigern sich viele Kinder, besonders Maedchen, zur Schule zu gehen. Die sudanesische Regierung kann, vor allem bei den Nomaden, nichts Durchgreifendes dagegen unternehmen. Sie errichtet aber in jeder Siedlung zwei Volksschulen, eine für Jungen und eine für Maedchen, mit der erforderlichen Zahl von Lehrkraeften und mit den notwendigen Lehrmitteln.

Bei den Hadandawa werden Jungen und Maedchen *beschnitten*, und zwar die *Knaben* in den nordlichen Siedlungen meist am siebten Tage nach ihrer Geburt. Die südlichen Hadandawa beschneiden ihre Knaben erst im sechsten oder siebten Lebensjahr. Aus diesem AnlaB wird ein groBes Fest gefeiert, zu dem alle Verwandten eingeladen sind. Das Fest dauert sieben Tage und beginnt mit der Schlachtung eines Rindes. Der Volksüberlieferung nach muBte früher ein Knabe am Tage vor der Beschneidung, mit allen seinen neuen Sachen angetan. auf einem reichgeschmüeckten Esel oder—wenn er aus edler Familie stammte—auf einem Pferd um das Dorf herumreiten. Heute ist dieser Ritt nicht mehr üblich(2)

Nachdem der Junge beschnitten ist, gilt er im Süden des Landes nicht mehr als Kind, sondern als Jüngling. Er bekommt neue Kleider und geht von der Aufsicht der Mutter in die seines Vaters üeber. Im Norden geschieht das vom siebten Lebensjahr ab. Nun geht der junge Mann mit den übrigen Maennern taeglich auf die Weide, darf ein Schwert tragen und iBt zusammen mit dem Vater und seinen Verwandten und Bekannten.

---

(1) Vgl. Herzog, 1959, S. 173-204.

(2) Persönliche Mitteilungen einiger alter Frauen.

vom Gesundheitsministerium weder ausgebildet noch ueberwacht. Im Sueden dagegen existiertieren eigenes Haus, das fur die Gesundheitsfuersorge von Kindern durch das Gesundheits-ministerium und das Gash-Amt unterhalten wird).

Die *Nachgeburt* legt man in einen bereitgestellten Korb, der zugenaeht und von einer aelteren Verwandten der Mutter auf dem Kopf bis hinaus vors Dorf getragen wird. Dabei begleiten die Tragerin die ubrigen Frauen und Maedchen, von denen eine ein Gefaess mit Raeucherwerk (Weihrauch, Sandelholz und anderes wohlriechendes Holz) mit sich fuehrt. Vor der Siedlung klettert ein Maedchen auf einen hohen gruenen Baum, in welchen es den Korb mit der Nach-geburt haengt. Auf dem Rueckweg zum Zelt, in dem sich das Neugeborene befindet, sammeln die Frauen Brennholz.

Die *Geburtszeremonien* sind verschieden, je nach dem ob ein Knabe oder ein Maedchen zur Welt kam. Für einen Knaben beginnt ein sieben Tage dauerndes Geburtsfest mit siebnnfachen Freudentrillern der verwandten Frauen. Das eigentliche Geburtsfest nimmt mit der Schlachtung eines Schafes am Tage der Geburt seinen Anfang. Schon vor der Geburt hat der Vater einen Sack Mehl, einen Sack Getreide, Oel, Butter, getrocknete und gepreBte Datteln, Zucker und Kaffee gekauft, womit er die Verwandten und Freunde waehrend der sieben Festtage bewirtet. Man singt Lieder zu Ehren der Mutter und des neugeborenen Knaben. Eines davon lautet : « Es gibt eine gute Nachricht von Dir : Du hast einen Jungen geboren. Auch der Vater ist stolz. Gott sei gepriesen : Der Junge wurde unversehrt geboren. Nun hoffen wir, daB Du nicht krank wirst nach der Geburt » [1]. Nach Ablauf von sieben Tagen wird dem Kind, waehrend ein weiteres Schaf geschlachtet wird, s in Name gegeben. Ist das Neugeborene aber ein Maedchen, so wird kein siebentaegiges Fest veranstaltet. Es gibt auch keine FreudenaeuBerungen. Der Vater gibt lediglich von eingekauften Nahrungsmitteln für die naeheren maennlichen Verwandten ein Essen.

Der Vater darf sein Kind und seine Frauerst sehen, wenn vierzig Tage (im Süeden des Landes fünf Monate) nach der Geburt vergangen sind. Waehrend der *Meidungsfrist* darf die Frau ihr Zelt nicht velassen und auch niemandem aus ihrer Nachbarschaft zu Gesicht kommen. Neben dem Bett der Woechnerin befindet sich daher eine Schelle, die jeden Abend und jeden Morgen von ihrer Mutter oder Schwester gelautet wird, dann naemlich, wenn die Maenner mit dem Vieh, das sie waehrend des Tages bewachen, das Dorf verlassen bzw. ins Dorf zurückkehren. Neben der Glocke haengen übrigens die FuBknochen des Schafes, das am Tage der Geburt geschlachtet wurde. Waehrend der ganzen Nacht wird

(1) Personliche Mitteilungen.

Drittens die Beforderungsschwierigkeiten : Ich mußte die verschiedensten Transportmittel benutzen, z.B. die Eisenbahn für Strecken, die laenger als eine halbe Tagesreise waren. Die Wohnplaetze in der Naehe der Staedte konnte ich im Taxi erreichen. Haeufig durfte ich Regieungsautos oder Polizeiwagen benutzen. Dies war besonders günstig bei schlechten Wegstrecken, die allein mit solchen Fahrzeugen zu bewaeltigen waren.

Viertens das Herstellen von kontakten zu den Einheimischen: Ich war auf die Hilfe von Stammesangehoerigen angewiesen, die mich einführten und begleiteten. Ohne ihre Hilfe haette ich keinen Kontakt zu Eingeborenen gewinnen koennen. Auch kontrollierte ich die gesammelten Nachrichten gemeinsam mit diesen meinen Begleitern. Im Norden des Hadandawagebietes waren meine Begleiter ausschließlich Maenner, die bei den sudanesischen Verwaltungsbehoerden arbeiteten im Süden auch Frauen. Die Frauen mußten zuerst mit den Omdas und Scheichs bzw. mit den Familienoberhaeuptern sprechen. Erst dann bekam ich die Erlaubnis, in die Haeuser einzutreten und mich mit den Hadandawa-Frauen zu unterhalten. Nach dieser umstaendlichen Einführung wurde es dann gewoehnlich bald leichter, Vertrauen zu gewinnen. Dieser Prozeß wiedrholte sich in jeden Dorf und in jeder Region. Ich benoetigte immer mindestens drei Tage, bis ich diese Einführungsschwierigkeiten überwunden und Vertrauen gewonnen hatte. Eine große Erleichterung war mir die Hilfe der Lehrerinnen, weil sie die meisten Familien sehr gut kennen, oft zu den Müttern gehen, um sie zu beraten und sie über die Vorteile einer Schulerziehung aufzuklaeren. Im Südteil der Provinz waren meine Begleiterinnen auch Gesundheitsfürsorgerinnen und Hebammen.

Fünftens die photographischen Aufnahmen : In den ersten zwei Monaten im Norden des Landes konnte ich keine Photographien von Personen aufnehmen. Der Grund dafür war, daß die Hadandawa sich fürchten, die Photos konnten in der Zeitung veroeffentlicht werden. Erst nachdem ich versicherte, daß mein Vorhaben gar nichts mit «Zeitung» zu tun habe, gelang es mir nach und nach, die Erlaubnis zum Photographieren zu erwirken.

Meine Fragen beantworteten mir die Eingeborenen sowie Begleiter und Amtspersonen gerne, so daß ich Forschung mit reichhaltigem Material an mündlichen und schriftlichen Informationen, aber auch an Bildern und Tonbandaufnahmen beenden Koennte.

DIE EINZELNEN ABSCHNITTE IM LEBEN DER HADANDAWA

1. Die Geburt

Bei der *Niederkunft* halten sich weibliche Verwandte in der Naehe der Gebaerenden auf. *Geburtshilfe* leistet eine Hebamme. (Im Gebiet der Hadandawa gibt es zwei Arten von Hebammen. Diejenigen im Bergland des Nordens werden

Male. Wenn sich dort naemlich in meiner Abwesenheit etwas Wichtiges ereignete, gaben mir die Omdas und Scheichs sofort davon Nachricht, so daß ich immer rasch erscheinen koennte. Ich hatte einen Hauptwonhsitz. Von dort aus fuhr ich dann zu den verschiedenen Orten.

Waehrend meines Aufenthaltes bei den Hadandawa nahm ich Material, wie schon erwaahnt, durch Interviews und Beobachtungen auf-im direkten Kontakt mit den Eingeborenen. Ich mußte mich allerdings damit begnügen, inj edem Ort etwa 5 bis 10 Familien bzw. Haeuser zu untersuchen. Die Zahl war abhaengig von der jeweiligen Aufenthaltsdaur.

Mein Ziel war es stets, zuerst einen allgemeinen Ueberblick über den Lagerplatz zu bekommen. Dabei gelang es mir meist schon, mit einigen der Bewohner bekannt zu werden. Dann untersuchte ich das taegliche Leben im Detail: Familienleben, Handwerke, Religion, Zeremonien usw. Dafür war ein Kontakt mit beiden Geschlechtern notwendig. Die Informationen, die ich erhielt, und die Ereignisse, welche ich beobachtete, schrieb ich sofort nach Verlassen der Haeuser auf, und zwar soweit das moeglich war, mit Namen der Informanten. Ich hatte keine spezielle Informantengruppe. Was den Haushalt und «Frauenangelegenheiten» betraf, waren es die Frauen, die mir Mitteilungen machten. Genealogische und geschichtliche Angaben suchte ich von alten Maennern, den Omdas und Scheichs, vor allem vom Haeuptling des Stammes (Nazir) selbst und vom Unterhaeuptling zu erhalten. Spezialfragen z.B. über Schulerziehung, Gesundheitspflege, Handwerke, Gerichtspraxis usw., beantworteten mir die Personen, die mit den betreffenden Angelegenheiten beruflich beschaefligt waren.

Einige Gegenstaende des taeglichen Gebrauchs habe ich mitgebracht. Sie werden jetzt in der Lehrsammlung des Seminar füer Voelkerkunde in Bonn verwahrt

Bei meiner Feldforschung waren etiche Schwierigkeiten zu überwinden :

Erstens das Wohnungsproblem : Es war unmoeglich, die Erlaubnis zu erhalten, innerhalb eines Lagerplatzes zu wohnen und allein in einem Zelt zu übernachten. Deshalb hat mir das Erziehungsministerium die Erlaubnis erteilt, in Schulen zu wohnen.

Zweitens die Kleidung : Es war außerordentlich schwierig, europaeisch gekleidet unter den Eingeborenen zu arbeiten. Die Bedscha sind naemlich gegenüber europaeisch gekleideten Menschen mißtrauisch. Ich mußte daher die Kleidung der Hadandawa-Frau anlegen.

Die Bedscha sind aber auch interessant, weil sie vielleicht die einzige Gruppe im Sudan bilden, die-bei allem Wandel-einen groBen Teil ihrer alten Braeuche auch Züge des Nomadentums, beibehalten hat. Inwieweit haben nun die Bedscha, speziell die Hadandawa, ihre Lebensweise (vor allem im «materiellen» und im gesellschaftlichen Bereich veraendert, und inwieweit sind sie durch die arabische Kultur beeinfluBt ? Die vorliegende Arbeit soll versuchen, diese Fragen zu beantworten.

Dabei kann die Verfasserin sich auf ihre eigenen Beobachtungen, auf die von den Hadandewa mitgeteilten Ueberlieferungen und auf die Literatur beziehen. Wichtig sind vor allem die Interviews, auf die sich die Verfasserin weitgehend stützt.

Vor meiner Reise in den Sudan habe ich die bis dahin vorhandene Literatur über die Bedscha durchgearbeitet. In Khartum, der Hauptstadt der Republik Sudan, besorgte ich mir Literatur in der Universitatsbibliothek, was dort fehlte; im Archiv der anthropologischen Abteilung des Innenministeriums. Landkarten der verschiedenen Untersuchungsgebiete konnte ich ebebfalls nur vom Katasteramt in Khartum bekommen. Diesen Vorbereitungen in der Hauptstadt diente ein Aufenthalt, der einen Monat lang dauerte. Vor meiner Abreise ins Gebiet der Hadandawa hatten die Regierungsaemter und der Haeuptling, der waehrend meines Aufenthaltes auch in Khartum war, den Personen, die mich in den Staedten und Doérfern des Hadandewa-Gebietes begleiten sollten und mir helfen konnten, von meiner baldigen Ankunft und meinem Vorhaben Mitteilung gemacht. Füer die Arbeit im Feld nahm ich Tonband und Kamera mit.

Ich verlieB Khartum in Richtung auf Port Sudan, eine Stadt im Norden des Hadandawa-Landes. Dort verbrachte ich die Zeit vom 15. November 1965 bis zum 15. Februar 1966 und besuchte die Wohnquartiere der Hadandawa bei der Stadt (Deim el-Arab, Omna, Belinai und Deim Golod, dazu einige kleine Siedlungen, in denen ich nur je einen Tag zubrachte). Ich besuchte die Staedte Sinkat, Erkowit und Gebeit. In den Ruinen der früheren Hafenstadt Suakin verbrachte ich nur einen Tag. Dann reiste ich weiter in den Südteil des Landes. Dort blieb ich vom 15. Februar bis zum 1. Mai 1966 und besuchte alle Doerfer der Umgebung von Aroma (Hauptstadt der Hadandawa) und Kassala (Hauptstadt der Provinz Kassala und Sitz der Zentralregierung), und zwar : Metateib, Mekali, Wagar, Tendelai und Tementai, dazu einige der Doerfer, die im Hamaschkureib-Gebirge (etwa 100 km nordostlich von Kassala) liegen, um regionale Unterschiede hinsichtlich der Siedlungsformen und der Lebensverhaeltnisse festzustellen. Welche Zeit ich in jedem Ort verbrachte, kann ich nicht genau sagen ; denn meine Besuchszeiten wurden haeufig unterbrochen. Manchmal besuchte ich ein Dorf mehrere

BEDSHA — HADANDOWA

Eine wissenschaftiche Forschungsreise in das Gebiet der Bedscha.

الهدندوة ـ بجا

قبائل البجا تضم خمسة قبائل تعيش بشرق السودان ، يشمل هذا البحث دراسة للحياة الاجتماعية والحضارية لواحدة منها هى قبيلة الهدندوة . ويوضح البحث مدى تأثير الحضارة العربية والاسلامية على حياة الأسرة بتلك القبيلة ، من خلال اجتماعيات : الولادة ـ الطفولة والشباب ـ الخطوبة والقران والزواج والحمل ـ الأمراض والعناية الصحية ـ الوفاة ، ويحتوى البحث على بعض الصور التى تمثل بعض الأدوات والآلات التى يستعملها الهدندوة الى جانب قائمة بالمراجع

Meine Forschungsregion ist das im Nordosten der Republik Sudan gelegene Stammesgebiet der Bedscha. Es umfa-Bt 32 280 km² und bildet seit Jahrtausenden Wohn- und Weidegebiet der Bedscha. Der Anbau beschraenkt sich auf Dukhn-Hirse (andropogon sorghum), woraus die Einheimischen ihr Brot backen. Urspriienglich kannten die Bedscha keinen Anbau, sondern waren Nomaden, die mit ihren Kamel-und Schafherden von einem Weideplatz zum anderen zogen ,

Bis in die neueste Zeit hinein lagen nur dürftige Berichte über diese Gruppe vor. Was sich bei mittelalterlichen Autoren findet, stützt sich meist auf flüchtige Beobachtungen von Reisenden. Für das 16. Jahrhundert ist David Reubeni, für das 19. Jahrhundert der Schweizer J.L. Burckhardt zu erwaehnen. Um die lückenhaften Quellen zu ergaenzen, war es notwendig, die Bedscha an Ort and Stelle zu untersuchen, eine Zeitlang mit ihnen zu leben und die Ueberlieferungen aufzuzeichnen, wie sie die alten Leute zu erzaehlen wissen.

Das Schicksal dieser Gruppe ist ethnographisch und kulturgeschichtlich besonders interessant, weil sie heute im Uebergang von Hirtentum und Transhumance zur SeBhaftigkeit steht. Der groeBte Teil der Bedscha-Staemme, naemlich die Bischarîn, Beni Amer, Ababde und Hadandawa-den letzteren ist diese Untersuchung gewidmet-haben diesen Kulturwandel durchgemacht. Eine Ausnahme bilden die Amarar; dort ist der ganze Stamm bis heute vollnomadisch. Er erhaelt die Produkte des Anbaus, das Getreide, von den Bischârîn.

VANSINA, JAN. «A Cpmparison of African Kingdoms,»Africa, Vol. 32, International African Institute (1962).

VIDAL, J. «Un Probleme Historique Africian : au sujet et l'emplacement de Mali (ou Melli), Capitale de L'ancien empire mandingue,» B.C.E. (April-June, 1923), pp. 251-68.

— — . «La Legende Officielle de Soundiata, fondatuer de l'empire manding,» B.C.E. (1924), pp. 479-543.

MONOD, J.L. Histoire de L'Afrique Occidentale Francaise. Paris : Delagrave, 1926.

MONTEIL, Vincent. L'Islam Noire. Paris : Collections Esprit, 1964.

NIANE, D.T. and SURET-CNALE, J. Histoire de L'Afrique Occidentale. Paris : Presence Africiane, 1961.

OLIVER, ROLAND and FAGE, J.D.A. Short History of Africa. Baltimore : Penguin Books, 1962.

AL-OMARI, IBN FADL ALLAH. MASALIK EL ABSAR FI MAMALIK EL AMSAR. I. L'Afrique Moins, L'Egypte. Translated and annotated with introduction and 5 maps by : Gaudefroy-Demombynes. Paris : Librairies Orientaliste Paul Geuthner, 1927.

PAULME, Denise. Les Civilisations Africianes. Paris : Presses Universitaires de France, 1959.

ES-SADI, A. Tarikh Es-Soudan, tans. From Afabic by O. Houdas. Paris : Librarie d'Amerique et Orient, 1964. (This book was first published in 1913-14 but was reedited under the auspices of the UNESCO : Collection UNESCO D'Oeuvres Representatives Serei Africiance.)

TRIMINBHAM, J. Spencer. Islam in West Africa. Oxford : Clarendon Press, 1959.

— — — . A History of Islam in West Africa. London : Oxford University Press, 1962.

Westermann, D. and Baumann, H. Les Peuples et les Civilisations de L'Afrique. French translation by L. Homburger. Paris : Payot, 1948.

ARTICLES and PERIODICALS

BORDARIER, Paul. «Crandeurs et Decandences Soudanaises,» Tropiques. No. 29 (1948) pp. 8-12.

FAGE, JOHN. «Some Thoughts of State-Formation in the Western Sudan Before the 17th Century,» in Jeffrey Buttler, African History, Boston University Vol. I, 1964.

MEGAHED, Horeya T. «Mali Empire : a mylh or reality,» Bulletin of the Facubty of merce, Alerandria Univ. Press, (1969), pp. 1-25.

MONTEIL, Ch. «Les Empires du Mali,» B.C.E. (July-December, 1929), pp. 291-448-

PAGEARD, Robert. «Soundiata Keita et les tradition orale,» Presence Africaine, Vol. XXXVI, 1961.

PEFONTAN (Lieutenant). Histoire de Timbuctou, Bulletin du Comite d'Etudes Historique et Scientifique de l'A.O.F., 1922, pp. 81-113.

SIDIBE, Mamby. Notes Africianes. «Numero Special, L'Empire du Mali» I.F.A.N. Dakar, April 1959.

5. The spread of Islam provided the important force of cohesion between the population and provided a strong spiritual link between the Western Sudanic ethnographic circle and that of the Desert area. Furthermore, the Arabic language is used in the northern part of the country up to Timbuctu ; it is the second written language in Mali.

Finally, the fact that Mali—unlike the majority of the African states—had a long, glorious history behind it enabled the leaders to find a myth in their past on which to build national unity.

BIBLIOGRAPHY

BOOKS

BATUTA, Ibn. Voyages d'Ibn Batoutah (IV Vols). Arabic Text, accompanied by Freneh translation. Paris, 1949.

EL-BEKRI. Description de L'Afrique Septentrionale, trans. by M.R. de Slane Algiers, 1913.

BERAUD-VILLARS, J. L'Empire de Gao. Paris : Librairie Plon, 1942.

BOULNOIS, JEAN and HAMÁ BOUBOU. L'Empire de Cao : Histoire coutumes et magie des Sonrai. Paris : Librairie d'Amerique et d'Orient, 1954.

BOVILL, B.W. The Golden Trade of the Moors. London : Onford University Press, 1958.

DELAFOSSE, Maurice, Haut-Senegal-Niger, 3 Vols :

I. Le Pays, Les Peuples, Les Langues.

II. L' Histoire.

III. Les Civilisations.

Paris : Emile Larose, 1912.

FAGE, J.D. An Introduction to the History of West Africa. Cambridge University Press, 1962.

EL-KALKASHENDI, A.A. Sobhey el Aasha, 5 vols. Cairo 1915-16.

KHALDOUN, IBN. KITAB EL-IBAR WA DIWAN EL MOBTADDA WAL-KHABAR, 7 vols.

KATI, MOHMOUD KATI. TARIKH EL-FETTACH, ou Chronique de Chercheur, pour servir a l'Histoire des Villes, des Armees et de Principaux Personnages du Tekrour. (Arabic text and French translation by O. Hodas and M. Delafosse). Paris : Librarie d'Amerique et d'Orient, 1964. (This work was published for the first time in Paris, 1913-14. It was reprinted and reedited under the auspices of the UNESCO, 1964).

important. The Mande speaking traders or the Dioulas as they came to be known, worked as transmitters of the ideas in the Soudan as well as the neighboring countries. They spread Islam as far down as the northern part of present-day Ghana. In the post Second World War period, they acted as active propagators of political ideas, particularly those of the R.D.A. (1). The trade linkage and the special position of the Soudan as the crossroads of West Africa influenced the Malian leaders to think in terms of interterritorial unity, rather than national independence. Moreover, the traditional importance of the Dioulas in trade made them later hostile to the Malian government policy of socialism and government control over trade before the 1968 coup d'état.

4. The Western Sudanic empires established an urban tradition (2) which developed not only around trade but also around Islamic culture. The important urban centers like Timbuctu, Gao, and Djenne resulted primarily from the increase of the trans-Saharan trade for which these centers were the important ports. Moreover, more recent southern cities, like Segou and Sikasso developed on the trade axis to the South. The Urban centers manifested a high degree of civilization and were important axes for the diffusion of Islamic and Arabic culture into West Africa. They were real cosmopolitan areas which reached a high degree of material, as well as intellectual and moral, civilization and which flourished in the second half of the fourteenth century. Islamic libraries and universities were established particularly in Timbuctu and Djenne where intensive philosophical, theological, and juristic studies were directed. Thus the cities included a large number of *Ulama* and students in addition to the traders(3). These urban centers helped to some extent in weakening tribal and traditional ties among their dwellers who were very mixed and established instead a universal tie of Islam. The urban tradition gave Mali a unique flavor of the combination of old and new. It might be noted that the style of architecture which one finds all over the urban centers in Mali, called the «Soudanic style», *style Soudanais* had its origin in the fourteenth century (when it was introduced by Es Saheli, the North African architect who was brought by Askia Mohamed to establish the mosques of Djenne, Timbuctu, and Gao) (4).

---

(1) «Rassemblement Democratique Africain», the most important inter-territorial Party in French Went-Africa before independence.

(2) The term «urban tradition» was used by Professors T. Hodgkin and R. Morgenthau «Mali,» in J. Coleman and C. Rosberg, *Political Parties and National Inregtation in Tropical Africa* (Berkeley, : California University Press, 1964). See pp. 221-22.

(3) See Ruth S.Morgenthau, *Political Parties in French-Speaking West Africa* (London : Oxford University Press, 1964), pp. 262-63.

(4) «L'Influence de l'Islam sur L'Art au Sahara et au Soudan,» *La Documentation Photo- graphique*, Paris, dossier No. 55-16, 1963, p. 4.

that prevailing in the Desert area (although it is based in general on ethnic rather than on racial basis). At the top of the echelon, there were the warrior nobles or chiefs, and at the very bottom, there were the serfs and captives (who represented the menial group in the society). Between these two levels of social hierarchy were the free men, followed by a typical Soudanese endogamous caste group composed of the blacksmiths [1], whose wives were pottery makers, the leather workers, the fishermen, and the *griots* (or praise singers, who were attached primarily to the ruling group) [2]. The point is that there has been social prohibition of marriage between a member of the noble or the free-men class and some «inferior» classes since the Mali Empire [3]. Another significant point is that agricultural work, particularly among the Bambaras and the Malinkes, was in the domain of free-man, since it was considered honorable and purifying. (It was mainly the Peuls who left agriculture to their captives, the Rimaibés). These two aspects are important since in present-day Mali the leaders have been fighting against the former, and trying to revive the latter.

3. The importance of trade since the medieval empires created a trade linkage and coherence between the Western Sudanic area and the North, on the one hand, and between the former and the neighboring areas of the forest and Guinea Coast, on the other hand. The strategic intermediate position of the Western Sudanic area between the North and the forest helped it in controlling trade and enabled it later to acquire the title of the «crossroads of French West Africa» [4]. The trade tradition developed (or flourished) primarily under the «pax Soudanaisa» which the empires, particularly those of the medieval time, established. The initial trade linkage was with North Africa by means of the Arabs and Tuareg Berbers through the trans-Saharan trade routes. As to the trade across the Western Sudanic area and to the South, it was developed by the Mande speaking people, namely the Sarakoles, including the Dioulas, who dispersed with the collapse of the Ghana Empire, mainly along the natural route of the Niger. They established their trading cities in Djenne and down to Bobo, Kong, and Bego ; i.e., they reached down to the Ashanti and in doing so, they connected the trans-Saharan trade with this new axis [5]. As the trans-Saharan trade died off, the linkage with the South and the Atlantic coast became more

---

(1) The blacksmiths had an importance, since they were also «medicins» and sorcerers ; they influenced the masses.

(2) The *griot* is also known as duelle, dyeli.

(5) Kati, *op. cit.*, pp. 20-22. See Hampate Bâ, *op. cit.*, pp. 10-11 ; Pagués, *op. cit.*, pp. 59-60.

(4) Foltz, *op. cit.*, p. 44 ; see Fage, *op. cit.*, pp. 20-31.

(5) See Ivor Wilks, *The Northern Factor in Ashanti History* (Legon : University of Ghana. Institute of African Studies, 1961).

scale political systems did not develop. The largest society for the individual was the village, which was the basic politico-administrative unit of the large ucale system. The village was a real community, based on the organic ties of all individuals in it. There was no place for the individual outside the community in which he was a member of a family, age group, clan, and village, and not a solitary individual. The individual had horizontal loyalty to all these primary traditional social institutions, and there was no real vertical loyalty transcending that of the village apart from the unfinished attempts of the late 19th century to create politico-Islamic loyalty. The traditional society was functional by nature and communal in character.

The Impact of the Large Scale Political System.—In concluding this part about the phenomenon of the traditional large-scale political system in the Western Sudanic area, it should be stressed that its complex historical development left important landmarks which in turn might have influenced greatly the process of nation building in present day Mali.

1. The most important outcome is the population dispersion. This resulted primarily from the conquest. Thus, for instance, the Srakoles with the collapse of their Ghana Empire dispersed along the natural route of the Niger and down until they reached the Ashanti. The Peuls who were believed to be in the area of Senegal at the time of Almoravides' conquest dispersed into a huge area in the center of present-day Mali. The dispersion weakened ethnic boundaries. For instance, among the Bambara, which represent the largest ethnic group in the area (25 per cent), it is hard to identify one block of pure Bambara ethnic grouping [1]. Ethnic groupings, in fact, do not have real territorial boundaries. Thus tribalism, in the sense of a large concentration of an ethnic group, which is a familiar case in Africa in general, has no significance ; it is rather regionalism which is more significant. Ethnicity in fact became blurred so that a person can easily change his ethnic affiliation by changing his functional activity, religion or family name (diamou) [2] .

2. The traditional society was characterized by a complex social stratification system, a natural result of the population movement and the succession of conquest states [3]. The common pattern does not differ considerably from

(1) Pagues, *op. cit.*, p. 9.

(2) Jean Gallais, «Signification du Groupe Ethnique au Mali,» in *L'Homme*, Tome 11, No. 2 (May-August, 1962), pp. 106-29, see mainly pp. 107-10.

(3) The stratification system was sharper among the Mandes than the Peuls, for instance but the same picture prevailed among all the major ethnic groupings. Among the Bambaras the slaves were not outcasts, but they were essential elements in the society and took an active role in the army and defense. Among the Mande, the military noble class (tontigi) was at the top, free men (horo or woro), the real caste (called nyama kala), and then the captives and slaves. In the Peuls' theocratic state, at the top were the politico-military and religious chiefs, free men, the caste group (neybe), and the serf (rimaibé).

but the fact remains, however, that this trade was increased after the pilgrimages of the rulers. Thus along with their fame in the Islamic world, trade and pros perity increased, too.

From what preceeded, one can see that the Western Sudanic circle developed a highly sophisticated political system characterized by the development of succeeding large-scale states with a hierarchy of authority and a high degree of civilization. The idea of empire-building was diffused from the ethnic group, which became an empire builder, to another ethnic group the area. The succeeding states and empires should be considered as interconnected links in the long chain of the state system in the area which in its final pre-colonial phase developed into proto-nation state building.

The society of the Western Sudanic area was characterized by a highly instrumental value system which made the people very receptive to change. The basic influence on the area came from the outside, namely from the caucasoid white elements of North Africa. The point of importance is that while there was a great capacity to absorb the outside influence and culture and to use them as instruments for the development of the neo-Sudanic system, there was simultaneously a great capacity to eliminate or absorb the white alien elements which transmitted the influence or initiated political development in the area [1]. The best example for this instrumental value system is found in the Sarakoles of the Ghana Empire who eliminated the white founders after learning from them the techniques of governing a large-scale political system and then proceeded to develop asophisticated system which resulted in the first empire building in Western Sudan. It is interesting to notice that the Sarakoles, including the Dioulas, who were the first to come into contact with the white traders of North Africa and were also the first to become well Islamized by Almoravids, absorbed knowledge of both trade and Islam and made them parts of their traditions. When they dispersed, they became simultaneously the propagators of Islam as well as the traders *par excellence* in West Africa. The idea of empire building was diffused, particularly among the Mande people, and the succession of empires that proceeded.

To sum up, one might say that the neo-Sudanic civilization resulted, in fact from an overstructure of paleo-Mediterranean or North-African Islamic culture ; however, the civilization and architecture—particularly in the medieval empires—remained Sudanic in content. The society remained similar to the neighboring paleo-Nigritic ones in the forest area of the Ivory Coast for instance where large-

(1) The elimination of the white elements was done in the Ghana Empire when the Sarakoles took over the power from the caucasoid elements who initiated the state system there. The absorption was done, for instance, in the case of the Songhai Empire, Bambara kingdoms, and the descendants of the Moroccan conquest army, the *Arma*.

disciples with the primary goal of propagating Islam and the Tijaniyya [1]. El Hadj Omar and his son Ahmadu, who carried on the leaderdhip after him. were engaged in intensive holy war against the pagans in the name of Islam. Actually, El Hadj Omar's Empire was an unfinished scheme for the unification and the total Islamization of Western Sudan by the use of force. It was the French conquest which put a definite end to this scheme and to the holy war.

Thus Islam in its relation to the state developed from the religion of a minority and some ministers and advisors of the emperors of Ghana in the eleventh century to the religion of the state and the rulers of Mali and Songhai empires, and lastly, to become the *raison d'être* and the main ideology of the theocratic Peul Kingdom and the more extensive empire of El Hadj Omar in the nineteenth century.

Islam, in fact, gave the pulse and the rationale for the aggrandizement of the empires ; this is particularly noticed in the modern phases [2]. It gave the leaders spiritual supremacy, enabling them to consolidate the power. In the meantime, it gave the technique of bureaucratic machinery for administering the empires [3]. It also played an indirect integrative role in the fragile empires of Mali and Songhai, and a more direct positive role in the 19th century's states [4]. But more important, it gave a feeling of belonging to a universal cult which helped the leaders to think on a universal rather than tribal parochial scale in their state-building. Furthermore, it intensified the relations with North Africa and opened the landlocked area to the Islamic civilization, and Islamic World [5]. Finally, Islam was an effective policy of the state for the intensification of the trade relations with the Islamic North, which was the main source for the great prosperity of the medieval empires. It is true that trade was carried on, parti cularly trade in gold which was the main source of wealth to its holder, the Empir of Ghana, long before Islam became the religion of the state in Mali Empire

---

(1) Hargreaves, *op. cit.*, p. 10.

(2) Foltz, *op. cit.*, p. 4, applied that on the expansion of Mali Empire.

(3) *Ibid.*, p. 5.

(4) La Documentation Francaise, *Le Problème des Chefferies en Afrique Noire Francaise*, Notes et Etudes Documentaires (February 10, 1959), pp. 5-6.

(5) This resulted in the existence in the courts of the emperors of the medieval time of high personalities from North Africa and the Islamic world. For instance, Es Saheli, an outstanding poet and architect from North Africa, was in the court of Askia Mohamed. He lived in Mali Empire until the end of his life. Another important example is that the Sherif of Mecca, Maulai El Abbas, after instituting Askia Mohamed as the Klalif of the Sudan, sent his cousin, Sherif Ahmed Es Segli, to live beside the Askia where he lived until he died, as well as his sons. Kati, *op. cit.*, p. 25. This resulted in having descendents of the Shorafa (plural of Sherif) who became mixed with the local population but are still considered as aristocracy there.

identity from the former dominating Empire, Mali, whose leaders were identified with Islam [1]. But this policy was reversed by his successor Askia Mohamed, who made great efforts to spread Islam beyond urban centers and went as far as declaring a holy war against the Mossi pagans [2]. He increased relations with the Islamic world. During his pilgrimage to Mecca, he was installed by the Sherif of Mecca, Maulay El Abbas, as the Khalif of all the Sudan [3]. The influence of the Ulama in advising the rulers in decision-making increased considerably by the end of the 16th century [4], and the Moslem scholars and religious men enjoyed special positions. The *Qadi* (Moslem jurist), for instance had a special position in Songhai Empire. He was the only one in the Empire, other than the Askia, who had the right to order and be fully obeyed like the Askia. It is also mentioned that the Askia stood only for the Ulama, the Sherif, and those coming back from the pilgrimage. He allowed them to eat with him [5]

The spread of Islam came to a halt, however, after the Moroccan invasion in 1591, which resulted in the collapse of Songhai Empire and the destruction of the Islamic centers in Timbuctu, Djenné, Gao, and the dispersion of the *Ulama*. It was during this period that the pagan Bambara states developed in Segou and Kaarta. But this did not last, however, for too long, since Western Sudan in the 19th century witnessed a new phase marked by the creation of theocratic states by religious leaders. Thus the Peul Kingdom was established as an ideal Islamic state *Dina* by Seikou Hamadou who was a marabout and a son of a marabout in the Qadriyya sect. He was designated as the Khalif—*Amir el-muminin*—which gave him a spiritual influence [6].

This new phenomenon of establishing theocratic states having Islam as the base of the state was developed more extensively in the second half of the nineteenth century by El-Hadj Omar. He gained considerable prestige as the head of the Tijaniyya as well as from more than two decades of traveling and studying in Mecca and Al Azhar (in Cairo). He attracted many followers to his reforming confraternity that was operated primarily on equalitarian principles. Thus he was able to formulate a considerable military state by the support of his

---

(1) Fage, *op. cit.*, p. 29.

(2) Kati, *op. cit.*, p. 16

(3) *Ibid.*, p. 16.

(4) *Ibid.*, p. 14.

(5) *Ibid.*, p. 15.

(6) Khalif means successor or *Imam*. The Prophet predicted 12 khalif to come after him, two of the Sudan. Thus as the Sherif of Mecca Said, Askia Mohamed is the eleventh khalif. And the prediction was also made of the twelfth khalif, who was Sekou Amadou, the founder of the Peul Kingdom in the nineteenth century.

sign of such influence was noticeable even in the first empire of Ghana. Despite the fact that before 1076 the emperor (in the latter) was not Moslem, he chose the majority of his ministers among the Moslems [1]. Moreover, there was a large number of Moslem Arab and Berber traders in the capital. The conquest of the Ghana Empire by Almoravides in 1076 was the real landmark for the beginning of the Islamization of Western Sudanic area [2]. Despite the fact that this conquest did not last for more than twelve years (Ghana gained its independence, though declining, in 1088), it resulted in the thorough Islamization of the rulers of Ghana and its Sarakole people, as well as those of the surrounding areas [3]. This trend was carried over in the succeeding empires.

In the Mali Empire, the ruling class as well as their retainers were Moslems Reference can be made to the several pilgrimages which the Malian leaders made to Mecca [4]. Moreover, Mansa Moussa, after his famous trip to Mecca in 1355, made considerable efforts to spread Islam. Mosques, Koranic schools, and universities were established in Timbuctu, Gao, and Djenne [5]. Thus Islam began to spread not just among the rulers and their retainers, but to the subjects, particularly in Urban centers [6]. There was no indication, however, of a systematic attempt by the rulers to spread Islam outside the urban centers.

As to the Songhai Empire, it is believed that its rulers and people became more thoroughly Islamized than the Mali Empire. The reference is always made to Sonni Ali, the real founder of the Empire, and his anti-Islamic policy and. persecution of the *Ulama*, i.e., the Moslem scholars[7]). This, however, was explained by his fear of the foreign influence that might come through religion [8] (mainly that the *Ulama* resented his conquest of Timbuctu). He accused them of being allied to the Tuareg againts him. Also, he desired to establish a separate

---

(1) El Bekri, *op. cit.*, pp. 327—31.

(2) See also R. Cornevin, *Histoire de l'Afrique, Tome I* (Paris : Payot, 1962), pp. 62, 295—99.

(3) Fage, *op. cit.*, p. 24.

(4) It is believed that since the Islamization of the king of «Melleb» at the hands of a Lemtouna trader, as El Bekri reported, *op. cit.*, p. 331, the reulers have been Moslems. The traditons in Mali support that the first Moslem king was Baramendana Keita and that after he becam Moslem, he went on a pilgrimage to Mecca in 1050.

(5) See Al Omari, *op. cit.*, p. 53 and passim.

(6) It was reported by Iben Babutahat that the peoples in Niani, the capital, were thoroughly Moslem, and that they were prompt inpraying andt that they forced their children to do it. That during Friday prayers the crowed was so large in the Mosque that one had to go early to find a place to stand. See Ibn Batuta, *Voyages*, «Arabic text accomp. by Frencho transl.» Paris : 1949), IV, p. 421.

(7) See Villars *op. cit.*, pp. 52—53— and El Moucheli, transl. by F. Dubois, *Tombouctо la Mysterieues*, Paris, p. 122; Sadi, *op. cit.*, pp. 104—109.

(8) See *Ibid.*, p. 109.

Thus, apart from the direct rule in the nuclear area of the empires, particularly in medieval times, indirect rule was the norm, and the head of the states interfered little in the affairs of the local units of the outlying areas. The ruling clan was primarily interested in keeping order and getting tribute. The administrative units of the empires corresponded more or less to the ethnic or tribal groupings within them, i.e., they were inter-tribal and not cross-tribal empires [1]. And the masses were left more or less untouched ; the contact was with the provincial chief. In other words, there was no national feeling, and centralization of authority was rather fictitious. This, however, was not the case of the Empire of El Hadj Omar, who established an administrative structure which cut across tribal bases and which was not based on kinship linkage. The conquered territories were divided into districts on territorial bases ; on the top of each was placed a *talibé* who was a religious as well as a political disciple [2]. Even the village chiefs were replaced in many cases by an outsider chief—*sofa*—appointed by the head of the state [3]. Recruitment to the system was open to all ; rank was decided according to the religious integrity of the individuals, but a large number of the imposed rulers were from the Toucouleurs conpatriots of El Hadj Omar. Thus the empire of El Hadj Omar was actually an intensive movement toward the unification of all the people in Western Sudan on the basis of Islam's cutting across all ethnic and parochial ties. This centralized power, and the direct interference in the affairs of the conquered territories might explain the reason why the imposition of El Hadj Omar Empire was resented by the conquered people, particularly the Bambara pagans and Moslem Quadriyya Peuls of Macina Kingdom, while the earlier empires avoided such imposition and thus minimized the troubles of empire building.

In short one might say, that the last phase of the large-scale political systems in Wstern Sudan, exemplified by the empire of El Hadj Omar, was marked by the development toward a corporate principle, a more impersonal government and a real centralization of power. It was, as one might call it, an attempt of a proto-nation-state building.

The Political Role of Islam. The significant political role which Islam played is another common characteristic shared by the empires of Western Sudan [0]. It is true that the importance of this role increased as the time went on, but the

---

(1) This terminology was applied by Foltz, *op. cit.*, pp. 2—9.

(2) See Delafosse *op. cit.*, II, pp. 341—51.

(3) See *Ibid.*, *III*, p. 131; Hargreaves, *op. cit.*, pp. 122—24.

(4) For the role of Islam see J.S. Trimingham, *op. cit.*,; Fage, *op. cit.*, pp. 19—33. There is also some account in Vincent Monteil, *l'Islam Noir* (paris : Collections Espirit, 1964), mainly op. 58—90; and J.C. Froelich, *Les Musulmans d'Afrique Noire* (Paris : éditions de l'Orantee 1962), pp. 17—69.

however, modified to a greater extent in more recent succeeding states of Western Sudan. A new basis of authority, like religious discipline and military process, started to appear. Thus in the kingom of Segou military prowess became the foundation for appointing the provincial chiefs regardless of their clan or social status. For instance, the *Ton-Dion*, who were appointed as the provincial chiefs by Biton Koulibaly, the founder of the kingdom, were primarily slaves from his disciplined army in which membership was open to everyone without exception [1]. Moreover, in the Peul Kingdom, the basic criterion for appointing an *Amiru* or governor was the literacy in Arabic and religious orthodoxy [2].

As to the outlying territories, it is more likely that after they were conquered, they were in most cases left under their chiefs who were reduced to vassals under the emperor. In other words, the emperor delegated the political and administrative authority to the conquered chiefs who became dependent on him and who showed their dependency by paying tributes. Thus, the creation of the empire did not mean that there were no other political unitsallowed within its bound ries; what it does mean is that the sovereignty belonged to the head of the state—the emperor—and other inferior political units (even kingdoms) could continue to exist, but only as subject or administrative units responding to the demands of the highest sovereign and showing their subjection by paying tributes. There was, however, some manifestation of protocorporate principles even in the medieval empires, represented by the appointment of a Viceroy of the emperor — *Fariba* in Mali Empire, and *Farin* in Songhai Empire — in the provincial divisions into which the empires were divided [3], to act as the eye of the head of the state in watching over the affairs of the annexed territories and supervising the collection of taxes. These local representatives were not primarily from the ruling clan, as in the case of the nuclear area, but were mainly from the same ethnic group of the emperor. In addition to this delegation of the political and administrative authority, there was also a delegation of military authority to the army generals who were responsible for keeping order and defending the empire. These generals were not exclusively from the royal clan. For instance, Mamadou Touré, who was the general of Sonni Ali in the Songhai Empire and who took over the power to establish the Askia Dynasty, was not Songhai but Sarakole.

---

(28) The kingdom of Segou was divided into sixty provinces, on top of each a *Ton* Dion See A. Bime, *Notes Africaines*, No. 75, Dakar, IFAN.

(29) See Hampaté Ba, *op. cit.*,

(30) Kati, *op. cit.*, p. 16.

of Ghana, Mali and Songhai can be noted from some scattered reports of the Arab writers (1). But the crystallization of this collegial character of decision-making occurred in the Peul Kingdom, where Seikou Hamadou was the founder and head, but the decisions were in the domain of the Great Council and its inner core (The Great Council was composed of forty members of the *Ulama*, while the central core was composed of three chosen by the former, and included Seikou Hamadou). The *Almamy*, i.e. the head, was surround d by *El Moustahi-boun* (2) (of the religious leaders and notables). In short, one can say without hesitation that the rule in leadership of Western Sudanic empires was collective decision-making and the absence of absolute leadership.

In addition to the single leader, the other main characteristic of the centra lization of authority is the delegation of power by the leader to the local chiefs. The leader was at the head of the administrative machinery, and below him there was a hierarchy of chieftaincy. At the very base of this hierarchy was the village chief who controlled a number of chiefs of extended families ;the next level was the *canton* chief or district chief who controlled a number of villagé chiefs, and above that was a provincial chief and occasionally a king, who controlled a number of district chiefs (3).

The question is, how were these empires administered ? In other words, what was the basis for the delegation of authority from the emperor, or the head of the state, to the inferior chiefs ? In answering this question one should make it clear first that there is a lack of sufficient information to build a comprehensive analysis, particularly on the earlier empires. However, it is more likely that there were two levels of administration : A direct one in the nucleus from which the empire started, and indirect rule in the annexed territories (outlying areas) included in the empire as a result of its expansion (4). In the former, direct rule was represented in the placing of members of the ruling clan and the retainers of the emperor as chiefs of the provinces which composed the central core (5). Thus it was more likely that kin linkage was the rule as the basis of authority in the central cores of the medieval empires of Ghana, Mali and Songhai. This was,

---

(1) Kati, *op. cit.*, mentioned how the Askira called a re-union of his council, which was composed of the Ulama, the notables, and the chief of his army, to consult them on what was to be done about the Islamization of the pagans, p. 103.

(2) Hampaté Ba *op. cit.*, pp. 6—10.

(3) For more details about the poiltical units, see M. Delafosse, *op. cit.*, Vol. III, pp. 124—45.

(4) For the theoretical framework and terminology see Vansina, *op. cit.*, pp. 324—30.

(5) See J.S. Trimingham, *A History of Islam in West Africa* ((London : Oxford University Press 1962), pp. 76—77; Mamby Sidibé, *Histoire du Mali*, Deuxième Partie, mimeographed, paper, (Bamko, n.d.»), p. 24.

In addition to the sword, or the military supremacy, which was apparently the most effective means for the legitimation of authority, it is interesting to note that the heads of the empires had some kind of supra-natural mythical power. It is true that the divine kingship which existed in Ghana Empire seemingly disappeared from this area of Western Sudan in the succeeding kingdoms as a result of the spread of Islam, particularly among the rulers, but this does not mean that some mythical ideas about the genealogy of the ruler did not remain. Th attempt to link with holy Islamic origin became the typical phenomenon.

A manifestation of this can be found in the Mali Empire. The tradition in Mali held that the ancestor of the Keitas of the royal family in Mali Empire came from Arabia, i.e., where Islam originated. But besides the quality of kingship, Soundiata Keita, the founder of the Empire, was said to possess some supra-natural power.

In the Songhai Empire, Askia Mohamed, under whom the Empire reached its apex, was designated by the Sherif of Mecca, Maulay El Abbas, as the Khalifa of all the Sudan in the sense that he was considered as the eleventh Khalifa after the prophet Mohamed[1]. Seikou Hamadou, the founder of the Peul Kingdom, was designated as the twelfth Khalifa [2].

As to the last empire, El-Hadj Omar was named the head of the Tijaniyya sect [3], and his son succeeded him as the ruler as well as the head of the sect. He also had the prestige of being the son of a marabout—Omar Tall—and son in law of the prestigeous Othman dan Fodio of Nigeria.

But the important point that should be made here is that the head of the state, as a rule, was never an absolute monarch [4]. Although he was the symbol of the supreme authority and power, this does not mean that his power was unlimited. There were «constitutional» limitations upon his power. The emperor was always surrounded by his council of ministers and advisors who balanced his influence. These did not have mere advisory power, but they in fact participated and shared in the important decisions of governing the state. Such examples of «collective decision-making» and advising in the medieval empires

---

(1) Kati, *op. cit.*, Chapter 1 on the Khalifat.

(2) See *Ibid.*

(3) John D. Hargreaves, *Prelude to the Partation of West Africa* (New York : Macmillan and Co., 1963), pp. 9—11; Trimingham, *Islam in West Africa* (London : Oxford University Press, 1959), pp. 97—98.

(4) Delafosse, *op. cit.*, Vol. III, p. 6.

area (most of the territory of present-day Mali plus peripheral) areawas the Mali Empire, which reached at its apex the Atlantic in the West, Hausaland in the East, Mossi land in the South, and which extended its influence deep into the desert up to Air. Finally, one should note that the empires of Western Sudan, particularly those of the medieval time at their climax, did not cover only the area of the Western Sudanic circle but they went beyond to that of the Desert area, when their influence expanded deep into the desert.[1]

The Centralization of Authority.—The second characteristic of the empires of Western Sudan is the centralization of authority, which is, in fact, the essence of the large scale political system in Africa. This centralization of authority is defined as the existence of « a single leader who delegates authority to representatives in charge of the territorial units into which the country is divided [2].

By applying this definition to the empires of Western Sudan, one can find that the main aspect of the centralization of authority in all the successive states in the area is that each had a single leader who was the head of the state and the symbol for the empire. Whether the head was known as Tounka (in the Ghana Empire), Mansa (in Mali), Sonni or Askia (in Songhai), Massassi (in Kaarta), Fama (in Segou) or Almamy (in the Peul Kingdom), the title made no difference as long as he was the depository of supreme authority and sovereignty belonged only to him. The emperor, or the head of the state, was chosen from a royal clan. The lineage system was seemingly patrilineal in all the empires, with the exception of Ghana where matrilineal descent was the rule. This was particularly the result of the impact of Islam. Thus, the Tounka of Ghana was chosen from the Sisse Tounkara family [3]. In Mali, the Mansa, was chosen from the Keita family. In Songhai, the leader came from the dynasty of Sonni and then from that of the Askia [4]. The Massassi of Segou was chosen from the Koulibaly family ; the Almamy of the Peul Kingdom were from Bari dynasty.

---

(1) For instance Ghana Empire conquered Ouadaghost; Mali Empire expanded even further to include Walata (or Oualata); and the Songhai Empire was the uncontested master of he salt mines of Teghaza.

(2) Jan Vansina, «A Comparison of African Kingdosm,» *Africa*, Vol. 32, International African Institute, 1962, pp. 324—34.

(3) As Mamby Sidibé, in *Le Mali d'Autrefois*, mimeographed, unpub., (Bamako, «n.d.»), bp. 5, said, they were always nephews (sons of the sisters) of the family of Kaya Maghan.

(4) The norm was that the head was chosen from the founding ruling dynasty, but in some cases this dynasty was overthrown by usurpers, as in the scae of Askia Mohamed (1493—1529), who overthrew the Sonni, the descendent of the legitimate royal clan, and established the dynasty of the Askias. The word Askia in Songhaic means «it is not his,» («il ne l'est pas.») See Villars, *op. cit.*, p. 5.

successive empires. In the Ghana Empire, although it was believed that its birth as a king- dom was the product of African non-negroid elements, [1] the Sarakoles, who represented the base of the empire, took over the power in the eighth century, and it was under their rule that Ghana expanded and reached its apex in the tenth century. Thus, the Sarakoles are connected with the memories of the Ghana Empire The Malinkes are the founders of the Mali Empire. And the Bambaras, with an admixture of Peuls in the ruling aristocracy, established the kingdoms of Segou and Kaarta. The Peuls were the founders of the Macina Kingdom The Toucouleurs retain the memories of the Empire of El-Hadj Omar and his son Ahmadou.

Actually, each empire contributed to the destruction and in general to the domination of the empire that had just previously occupied the place of supremacy in Western Sudanic area. The main reason for such conquest and domination in the pre-nineteenth century hegemonies was the desire for controlling trade, particularly with the North, which was the source of great prosperity for the medieval empires. [2] The conquest of the nineteenth century states, particularly that of El Hadj Omar, was accomphished primarily in the name of Islam and not in the name of trade, as had been the case of the preceeding states.

As a result of the conquest, the empires of Western Sudan were far from being homogeneous. They included political units and ethnic groupings that had no ties in common. This cultural hetrogeneity, however, is the essence of empire, generally speaking Furthermore, it might be mentioned that the western Sudanic empires in their expansion did not cover exactly the same area, the same people or even the whole present-day Mali, but the fact remains that they were all, more or less, based on the Upper Niger and that they dominated the great part of the Western Sudanic area [3] The one that covered the largest

---

(1) The origin of these white elements is not known, but it is believed that they were either proto-Peuls or Lybian-Berbers. Es Sadi, *op. cit.*, mentioned on p. 18, about the early white dynasty of Ghana and how their origin is not known. He also mentioned that the number of the kings who succeeded to the throne was forty-four before and after the *Hegira.*

(2) Trade was primarily in gold of which the Western Sudan had the largest deposit. The trans-Saharan trade routes to which the northern cities of the empires of Ghana, Mali and Songhai were the outposts or the ports on the Sahara, extended further south, but in the hands of the Dioulas traders, from Djenne until it reached the gold mines in the Ashanti. For details on the conquest and the trade, see John Fage, «Some Thoughts of State-Formation in the Western Sudan Before the 17th Century,» in Jeffery Buttler, *African History*, Vol. I (Boston : Boston University, 1964), pp. 19—33; E.W. Bovill, *The Golden Trade of the Moors* (London : Oxford University Press, 1958).

(3) The Ghana Empire was primarily in the Sahel, which was not as dry as it is now; it reached to Senegal and did not go beyond Upper Niger, but it went as far as Djenne; to the North, it extended to Ouadoghost (of Wadagost); Songhai went as far as Mopti there were still some remnants of Mali, but it was strong in the west where it conquered the Eastern part of Hausaland, and in the North it included the Air.

The Common Characteristics of the Empires of Western Sudan

Despite the fact that these states differed in size, wealth, power, there are certain aspcets that were common to all of them. These can be summarized in the following way :

Conquest States. The first main characteristic of the empires of Western Sudan is that each was a conquest state which developed into an empire as a result of military force. (1) The common pattern is that an empire comes into existence as a result of the liberation and expansion of an already existing vassal kingdom (.2) The empire of El Hadj Omar,however, was a deviation from this rule, since it did not result from the expansion of an existing kingdom but was primarily the creation of El Hadj Omar himself. It belongs to what Delafosse called *Empire de hasard.* (3) Each of these kingdoms which formed in itself a nucleus for an empire, was based on the core of an ethnic group; it is when the kingdom, or more specifically, the ethnic group which composed it, under the leadership of a ruling clan spread to conquer the other ethnic groups and the surrounding territories that the empire came into existence. Thus at the heart of each empire there is a centralized core of one ethnic group (4) .

The point that is of interest here is that every one of the major ethnic groupings in the area of Western Sudan wasthecentral core of one or the other of these empires, i.e., it retains the glorious past of having been the founder of one of the

---

(1) The importance which these empires gave to the army was remarkable. The cavalry, namely the horses which they imported from Northern Africa, was the main basis of the supr emacy of the army, particularly in the medieval empires. Moreover the fleets in the Niger, ontributes to the supremacy of the Songhai and mainly the Bambara of Segou, who through the organization of its military fleets were able to conquer Macina. Furthermore, with the ntroduction of firearms to Africa at the arrival of the Europeans, these became the major element in the supremacy of the 19th century's Empire of El Hadj Omar.

(2) For instance Mali Kingdom was vassal to Ghana and to the Sosso and it was liberated by the hand of Soudiate Keita and expanded in all directions to include its former oppressors, i.e. Ghana and Sosso ; it also included the Tekrour, the Songhai, the Macina, Segou. When the Songhai Kingdom, which was a vassal to Mali Empire, was liberated by the hand of Ali Kolen and started to spread under the Dynasty of the Sonni and then the Askia, it included the major parts of the Mali Empire particularly the Macina, the Bamaras. When the Bambara liberated themselves under Biton Koulibaly from the Songhai and the Armas, they conquered Macina.

(3) See Delafosse, *op. cit.*, Vol. III, p. 142.

(4) The nucleus of Ghana Empire was the Kingdom of Ougadou, for Mali, the kingdom of Mali or Mellel or the Mandinque, for Songhai, the kindom of Songhai mainly in the region of Dendi. Macina was the nucleus for the Paul Kindom. As to El Hadj Omar, he started from Dinguiraye. William J. Foltz, *From French West Africa to the Mali Federation* (New Haven and London : Yale University Press, 1965), p. 4.

Since the initiation of the tradition of Empire in the Western Sudan by the Ghana Empire in the early centuries A.D., there had been a continuation of this traditional experience [1]. This was demonstrated after the final collapse of the Ghana Empire in the thirteenth century [2] by the Mali Empire, which reached its apex in the fourteenth century and was apparently the most glorious and the wealthiest of all Western Sudanic empires. Then the Songhai Empire followed and dominated the scene from the end of the fifteenth century until it collapsed at the hands of the Moroccan army in 1591 [3]. The collapse of the Songhai Empire marked the end of the era of the great medieval empires in Western Sudan. This does not mean, however, that the large scale political system disappeared from the area, what is meant is that the scale of the states became smaller. Thus the area witnessed the establishment of smaller scale states, particularly, the Bambara kindoms of Segou and Kaarta,[6] and then the Peul Kingdom of Macina (1810—1862). [4] The empire of El Hadj Omar and his son Ahmadou, which collapsed on the hands of the French colonial army in the 90's of the nineteenth century, was the last expression of the large scale traditional systems and can be regarded as an unfinished scheme for establishing an empire similar in scale to those of the medieval time [5].

It is not intended here to go into details concerning the historical development of these states. There were, however, certain common aspects which they shared that will be discussed briefly in order to shed some light on this phenomenon of large scale political systems in the traditional pre-colonial era.

---

(1) The Concept of Empire, like that of civilization is vague enough to be streched to include different forms. The main characteristics of an empire is the huge extension of power, usually by military force, over the existing political entities.

(2) The main source of information on Ghana Empire is El-Bekri, *Description de L'Afrique Septentrionale*, trans, M.R. de Slane (Algiers, 1913). See also J.D. Fage, «Ancient Ghana : A Review of the Evidence», Tans. Hist. Soc. Ghana, III, 2, (1957), 77—98 ; R. Mauny, «The Question of Ghana», *Africa*, XXIV, 1954.

(3) The main sources of information about Songhai Empire are : Es Sadi, *Tarikh Es Soudane* trans. by O. Hodas (Paris, 1900), and Kati, *Tarikh El Fettach*, trans. by Hodas & M. Delafosse (Paris, 918). See also Beraud Villars, *op. cit.*, p. 211; Boulnois, Jean, and Hama Bouhou, *Empire' e Gao : Histoir3, Coutumes et Magie des Sonrai* (Paris : Librairie D'Amerique et d'Orient,, 1954), p. 182 ; J. Rouch, *Contribution à L'Histoire des Soghay* (Dakar : I.F.A.N. 29, 1953)I.

(4) For more details about the history of the Bambaras Kingdom, see : L. Tauxier, *Historie des Bambara* (Paris : Librairie Orientaliste, 1942), p. 227 ; A. Perignon, *Haut-Senegal et Moyen Niger : Kita et Segou* (Paris : J. André, 1901), p. 208.

(5) For details on the Peuls Kingdom see, Amadou Hampate Ba and J. Gadet, *L'Empire Peul du Macina*, Vol. I (Paris : Mouton, 1962) ; L. Tauxier, *Moeurs et Histoire des Peuls* (Paris : Payot, 1937).

(6)) For El Hadj Omar Empire see, Mohammoud Aliou Tyam, *La Vie d'El Hadj Oma.* «Poem in Poular», transl. by Henri Gaden (Paris : Université de Paris, Institut d'Ethnologie 1937) ; P. Saleng, *La Vie d'El Hadj Omar*, (Paris : Bulletin du Comit éd'Etudes de lA.'O.Fc 1918).

African Studies Review (1972)

THE EMPIRES OF WESTERN SUDAN

« A POLITICAL ANALYSIS »

By

HOREYA T. MEGAHED

امبراطوريات السودان الغربى

(تحليل سياسى)

من الخصائص الفريدة لغرب السودان قيام الامبراطوريات والممالك التى تميزت بتقدم نظمها الاجتماعية والسياسيه ، والتى تلت الواحدة الأخرى ، من القرن الثامن الميلادى الى الاستعمار الأوربى للمنطقة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وتميزت هذه الدول بأنها دول غزو جاءت نتيجة قوة عسكرية ، وورثت كل منها الأخرى لذا فقد كانت بعيدة عن التجانس ، فضلا عن تميزها بمركزية السلطة ــ التى تلازم النظام السياسى متسع النطاق التى تمثلت فى وجود رئيس واحد كان يعتمد على التفوق العسكرى للاحتفاظ بالسلطة بالاضافة الى وجود ذلك فقد اعتمد مؤسسو الامبراطوريات على ما يبدو على بعض القوى الغيبية والدينية والنسب للاحتفاظ بسلطاتهم ، ولكن بالرغم من هذا فلم يكن الرئيس حاكما مطلقا بل كانت هناك حدود دستورية على سلطته فكان له مجلس وزراء ومستشارون يشاركون بفاعلية فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالحكم فى الدولة .

وتميزت الامبراطوريات باللامركزية والتنظيم الادارى الهرمى : فضلا عن ظهور الدور السياسى للاسلام فى حياة هذه الامبراطوريات .

One of the unique characteristics of western Sudan is its successive hegemonies[1] with sophisticated social and political structures which dominated the scene and followed one after the other from the eighth century A.D. until the European conquest in the second half of the 19th century.

---

(1) *Hegemonies Soudanaises* as they were called by Beraud-Villars, *L'Empire de Gao* (Paris; Librairie Plon, 1942), p. 1.

REFERENCES

١ ــ ابراهيم فوزى : كتاب السودان بين يدى غوردون وكتشنر (القاهرة ــ ١٣١٩ هـ) .

٢ ــ اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار (الجزء الثانى ــ بولاق ١٣١٤ هـ) .

٣ ــ شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة ــ ١٩٧١) .

٤ ــ على ابراهيم عبده : المنافسة الدولية فى أعالى النيل (القاهرة ــ ١٩٥٨) .

٥ ــ محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ــ تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر (القاهرة ــ ١٩٥٧) .

٦ ــ محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه (١٩٥٢) .

٧ ــ نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث وحضارته (الجزء الثالث ــ ١٩٠٣) .

8. COCHERIES, JULES : La Situation Internationale de l'Egypte et du Sudan (Paris, 1903).
9. DE CAIX, R. : Fashoda (Paris, 1899).
10. EMILY, J. : Mission Marchand 1896 — 1899 (Paris, 1913).
11. GOOCHE and TEMPERLEY : British Documents on the Origins of the War 1898 — 1914 (London, 1927).
12. GIFFEN, M.B. : Fashoda. The Incident and its Diplomatic setting (1930).
13. HANOTAUX, GABRIEL : Fachoda (Paris, 1900).
14. HANOTAUX, GABRIEL et ALFRED des MARTINAUX : Histoire des Colonies Françaises et de l'Expansion de la France dans le Monde. (Paris, 1931).
15. HARDY, G. : Histoire des Colonies Françaises et de l'Expansion de la France. (Paris, 1941).
16. LUCAS, CHARLES : The partition and Colonisation of Africa (Oxford, 1922).
17. MANGIN : Lettres de la Mission Marchand, (Revue des deux Mondes—Septembre 15, 1931).
18. MEKKI, SHIBEEKA : The Independent Sudan, (N.Y. 1959).
19. REED, J.H. : Fashoda and Bahr El-Ghazal, (1899).
20. RODD, J. RENNELL : Social and Diplomatic Memories. (London 1922).

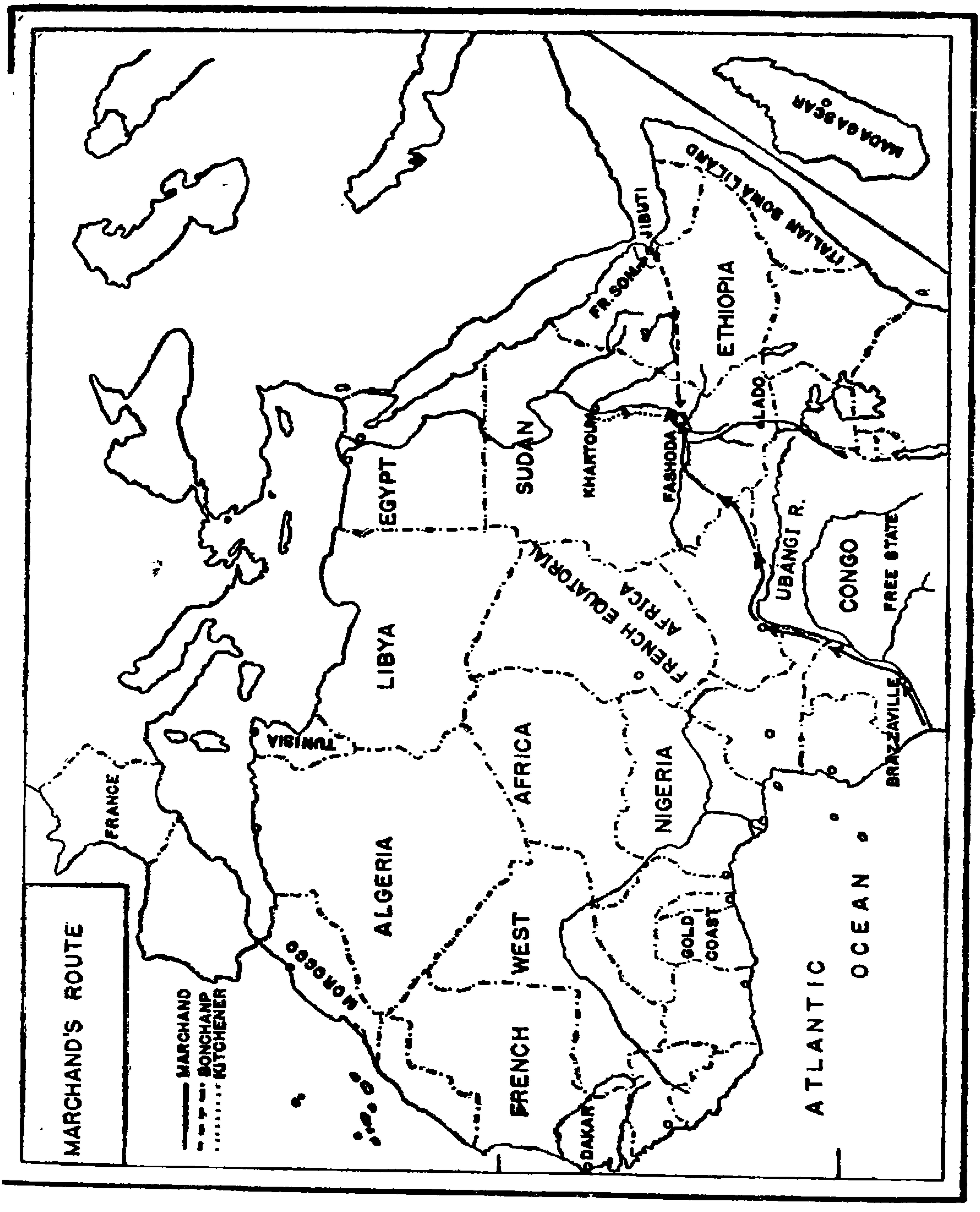
MARCHAND'S ROUTE
MARCHAND
BONCHANP
KITCHENER
FRANCE
MOROCCO
TUNISIA
ALGERIA
LIBYA
EGYPT
SUDAN
KHARTOUM
FASHODA
LADO
ETHIOPIA
FR. SOMALI
JIBUTI
ITALIAN SOMALILAND
MADAGASCAR
FRENCH EQUATORIAL AFRICA
UBANGI R.
CONGO
FREE STATE
BRAZZAVILLE
FRENCH WEST AFRICA
NIGERIA
GOLD COAST
DAKAR
ATLANTIC OCEAN

At last the French Foreign Minister who was irritated by the behaviour of Marchand who had quitted Fashoda without permission and came to Cairo leaving his soldiers — sent his orders to Marchand to go back to Fashoda and withdraw his soldiers.

On the *4th* of November 1898, Salisbury sent to E. Monson, the British ambassador this telegram.

« The French ambassador informed me to day that the decision had been taken by his Government to withdraw Marchand's party from Fashoda and to send him back there to carry out that decision and that orders to that effect had been sent to Cairo ».

Dr. Shawky El-Gamal

When Gordon became general ruler of the Sudan in the year 1877, he appointed many foreigners in the Sudan. Gessi was appointed as a Mudir (governor) in Bahr Al Ghazal and was asked to put an end to the revolt of Soliman El Zobeir. He could defeat him and Soliman and many of his familya nd soldiers were put to death after their surrender in July 1879.

But Gessi returned to Khartoum ill and fatigued in January 1881, then he returned to Egypt. When he reached Suez on 28 March 1881, he was taken to the French hospital there but died two days later.

He records his speculations and adventures in the Sudan in an important book titled «seven Years in the Sudan-London 1892».

6th There are some other facts related to this document which we must mention.

We know that France could not oblige England to start negotiations with her before giving orders to Marchand to withdraw from Fashoda. Although the French foreign minister insisted that he could not submit to what would be the humiliation of France and insult to its national honour, yet England even refused the French proposal that an order might be sent to Marchand including a hint that the two governments would negotiate sooner about the relations between them. France was forced at last to recall Marchand.

The factors that led France at last to have this decision may be summarised as follows :—

1. There was no doubt that England would not give way and would not accept any French proposals for future negotiations so long as the Fench expedition was at Fashoda.

2. The sad state of Marchand and his men because he was cut off from the interior, and because his water transport was inadequate ; all this in addition to the shortage of ammunition and supplies.

3. Perhaps Russia, which was at that time France's ally persuaded her not to reach the point of war with Britain because of Fashoda.

4. The circumstances in France itself and France's relations with other countries let her think deeply about the results of such dispute with England.

5. At that time, France began to think that it was better for her to come to an agreement with England. The French foreign minister Delcassé had announced during his discussions with the British ambassador in Paris concerning Fashoda's crisis, that France prefers English friendship to that of Russia.

2nd This document is a clear evidence that there were Egyptian soldiers and officers in the battalion left at Fashoda. It is clear that England's share in the battles of the restoration of the Sudan was not more than a few officers at the head of the campaign, though this was the basis on which it claimed her rights in what was called the condominium agreement between the British government and the government of the Khedive of Egypt.

3rd This document sheds light on the Anglo-French relations in particular and the relations of the colonial powers in general, during this period. The Anglo-French relations had at that time reached a serious point and there was fear of a coming dispute between the two powers. Fashoda's crisis in fact started a series of negotiations between the two powers. Salisbury the English foreign minister, Sir Edmond Monson the British ambassador on one hand and M. Delcassé, the French foreign minister on the other hand played an important part and at last ended by the agreement between France and England in 1904 called «Entente Cordiale», and this agreement has affected and destined the policy of the two countries for a long time after.

All these facts indicate that France's main purpose from her campaign on Fashoda was to oblige England to discuss the question of Egypt as well as to seize the chance to discuss the foreign policies of the two countries.

4th Marchand mentioned his anxiety about the delay of the ammunitions and supplies which he expected to come. As we know kitchene hastened to occupy the Subat and according to the instructions of his government he prevented any ammunitions or supplies from reaching Marchand, and gave way only to the mostly needed provisions to reach him for only the preservation of his life and the lives of his men. England hoped that this would oblige France to send instructions to her officer to withdraw from Fashoda.

5th Marchand in his letter referred to the events of Gessi's campaign in the dangerous region of Bahr Al Ghazal during the years 1880 and 1881.

Romulo Gessi, as we know was an Italian. He was a friend of Gordon and took part with him in the Crimean War. When Gordon became ruler of the Equatorial Province in 1874 after Samuel Baker, he administered to Gessi many affairs in Bahr Al Ghazal. Gessi made a tour in lake Albert and was able to draw a map of it [1].

---

(1) See, General Stone's Report about the Geographical discoveries in the years, 1874 —1876.

On 1st September 1898 Kitchener entered Fashoda, met Marchand and a flaming discussion between the two leaders was about to lead to the use of force, but at last the two agreed to await orders from their governments, and Marchand could not resist the hoistlng of the Egyptian Flag on the ruins of an old fortification, about 500 yards south of the French flag.

Kitchener left at Fashoda a Sudanese batalion under the command of Major Jackson and went southwards, for he expected that the Abyssinians might have reached the Subat. He reached a point where the Subat and the White Nile meet and there established a garrison, and thus made sure that Marchand was cut off from the interior and that he was beseiged at Fashoda.

The letter previously mentioned and which is published here is from Marchand to Major Jackson the English commander.

The contents of the letter :

In this letter Marchand mentions that he has received Jackson's letter and that he was glad to know that the Egyptian officer who was ill in his battalion, has become better and was not then in danger. He says that he puts at the command of the English battalion the French doctor «Emily» who is specialised in the diseases of tropical regions.

Marchand adds that he is anxious because the armed steamer and supplies he expected to reach Fashoda between 25th & 28th of September have failed to reach it. He said that he was afraid that something wrong might have happened to the expected steamer and that his fear increased as he remembered what happened to Gessi Pasha in 1880/1881 in the dangerous swamps of Bahr Al Ghazal.

This document explain many events :

1st It was written on 2nd October 1899. Marchand, as we have said before, has reached Fashoda on 10th July 1898 while Kitchener was near the doors of Fashoda on 18th September 1898 and entered the town on 21 September.

The document thus was written twelve days after Kitchener's arrival to Fashoda and after his departure southwards leaving Major Jackson in command at Fashoda with a Sudanese battalion.

---

(2) See : Emily, J. : Mission Marchand 1896—1899 (1913).

We have to notice that, at that time the importance of the Nile and of the domination over its upper parts began to be clear.

Or was their purpose nothing but to oblige England to come to an agreement concerning the Egyptian problem taking advantage of its existance in this territory between the white Nile and Sobat to oblige England to start negotiations about its future projects concerning Egypt ?

Or did France want to be an obstacle and prevent, if possible, English projects which aimed at linking Egypt with theCape ofGood Hope, as well as their possessions in East of Africa with those of the Royal Niger Company in the West ?(1)

In casting a look at the phases of this crisis, we may shed light on the French objectives behind this mission.

On 20th August 1898 a fight took place between the French and the Dervishes who sent a steamer to Omdurman to ask for reinforcements and provisions. This steamer reached Omdurman on 9 September 1898 after the dervishes, defeat and thus they found there the Sirdar instead of the Khalifah.

Kitchener, as soon as he became sure of the French occupation of Fashoda, hastened on 10th September to the south. He was instructed to try to convince Marchand that his presence in the Nile Valley is an infringement of the rights both of Great Britain and of the Khedive (2).

On 18th September (1898) Kitchener was at the doors of Fashoda and on 19th September sent a letter to Marchand announcing his victory over the Khalifah in Omdurman and to tell him of his presence.

In Marchand's reply to Kitchener, after congratulating him on his victory over the Khalifah, the former stated that in accordance with the instructions from his government, he occupied Bahr Al Ghazal and the land west of the Nile up to Fashoda. He told him that he fought with the Dervishes on 25 August and was victorious over them and thus he freed the Shuluk's country from their domination and signed a treaty with the chief of the Shuluks who placed his country to the west of the White Nile under French protection.

---

(1) Mangin, General : Lettres de la Mission Marchand (Revue de deux Mondes, September 15, 1931).

N.B. : Mangin was a member of Marchand's mission.

(2) Shibeika, Mekki : The Independent Sudan (N.Y. 1957), p. 431.

As for the expedition which was to move from East towards the Nile Valley France sent Mr. Lagard, the French governor of the Somal to Adis Ababa to try to gain Menelek's approval to facilitate the marsh of this expedition through Ethiopia towards the Nile.[1]

England, knowing of such French activity in Ethiopia, sent Rennell Rodd to try to sign an agreement with Menelek aiming at preventing France from fulfilling its purposes.[2]

France however succeeded to move an expedition under the leadership of Bonchanps from the east. This expedition reached the Sobat at the end of December1897 and thus became 100 miles far fróm Fashoda, but it could not go further because of the lack of provisions and was obliged to return.

France made another attempt and sent another expedition under the leadership of Faivre who reached the Nile on *22nd* June 1898.

As for the west, France prepared another expedition under the leadership of Marchand the writer of the document published here.[3]

Marchand had left France on May 1896 and reached Loango in the French Congo with eight officers and 120 soldiers and after that he reached Brazaville and advanced towards the Ubangi River.

The mission did not go by land because of the swamps of Bahr al Ghazal but carried her small fleet through the Ubangi to the Nile and was obliged to cross the vast swamps of Bahr al Ghazal and went down the Nile till it reached Fashoda at five o'clock p.m. on Sunday 10*th* July 1898, and raised the French flag over the ruins of the old Egyptian fortress there.[4]

We may wonder about France's purposes from sending such an expedition.

Did France aim at settling there and taking the position as a point linking its territories in the East with those in the west of the continent ?

---

(1) Gabriel Hanotaux et Alfred Martineau : Histoire des Colonies Françaises (Tome IV, Paris 1931), p. 585.

(2) See : Rodd, J. Rennell : Social and Deplomatic Memoires (1922).

(3) Jean Baptiste Marchand was born on *22nd* November 1863. He was appointed as an assistant lieutenant in the French army. He faught in the Senegal. In 1902 he was promoted as a colonel. He took part in the First World War and was promoted in 1917 to general. He died on 14*th* January 1934.

(4) Hanotaux, et Martinaux : Op. cit. p. 522

The French set their eyes on the Nile Valley especially because they found other European colonisers as Leopold II King of Belgium trying to extend his power from Congo to the Nile Valley.

The French and Belgians greed led to a new problem in the relations between the imperialistic countries concerning the Sudan and upper Nile.

As for the Belgians, the government of the Congo Free State has, on 12 May 1893 ; made an agreement with England according to which England had lent to the Free Congo a great part of Bahr al Ghazal and the Belgians began to occupy this Area.(1)

France threatened to use force and a French troop under the leadership of Monteil was sent to drive the Belgians away from the Upper Ubangi.

Victor Liotard lead another troop eastwards to the Nile. But France and Belgium came to an agreement in 14 August 1894, according to which France was not to oppose the Belgian's occupation to (Lado's barrier) rent to her by England while the Belgians agreed to evacuate territories which hindered the French from moving towards the Nile.

This Franco-Belgian agreement which aimed at extending each country's influence over the Nile revewed the problem of the Sudan's position after the Mahdism Revolution.

Is the Sudan to be considered no man's land «Res Nullius», or is it legally under the supreme power of the Sultan and the Kedive is its legal governor ?

The French government however began thinking deeply from 1896 onwards of extending its domination towards the Nile Valley. To fulfill this purpose it was decided that two expeditions might be sent - one from the East and the other from the West.

It is worth noticing here that when France opposed the Anglo-Belgian's agreement of 12*th* 1894, she built her opposition on the fact that Egypt has the legal right on the Sudan. Hanotaux, the French Foreign Minister in 1895 declared that the Sudan is still legally under the authority of the Sultan and that the Khedive is its legal governor.

---

(1) Mohamed Foad Sukry : Egypt and Sudan and the history of the political unity of the Nile Valley in the nineteenth century (1958). pp. 451—462.

Veuillez agrier Commandant, les assurances de ma consideration très distinguée.

Marchand.

The Manuscript :

The manuscript published here, on which we are going to shed light and summarise the issues it leads us to, is a letter from Marchand dated 2 October 1898.

It was written in Fashoda to Major Jackson the British leader whom the Sirdar of the Egyptian army Sir Herbert Kitchener had left at the head of a trcop of Egyptian and Sudanese Soldiers [1].

The original manuscript is kept in the library of the Institute of African Studies, Cairo University among other original documents dealing with the events of the Sudan during this period. It testifies many important facts and opens the discussion of some other problems concerning the events of the Sudan and the condition of England in Egypt and the Anglo-French relations during this period .

Before discussing its contents, we have to deal with the circumstances in which it was sent.

Marcdand's expidition and the Circumstances related to the document published here :

France was able during the 19*th* Century to form a big empire in Africa. It began by the occupation of Algeria in 1830. After this the French extended their influence to Tunisea and Morocco in North Africa and to what was called «French West Africa» in West Africa. They also extended their influence to «French Equatorial Africa» .

Thus, the French Empire extended from Algeria to Congo and from Dakar to the western borders of the Sudan. As to the East of the continent, they occupied what is known by the name of the French Somalil and, this besides the island of Madagascar. These Territories could be estimated at one six of the total survey of the whole continent.

---

(1) Many of the documents, concerning the history of the Sudan during that period are reserved in the (Central Building for Documents) at Khartoum, but some of these documents had found their way out of the Sudan for example those which are found in the library of the School of Oriental Studies in Derham University in England. This library contains Sir Reginald Wingate's papers who has played an important role in the history of the Sudan from 1884 to 1916.

Veuillez agréer Commandant, les assurances de ma considération très distinguée —

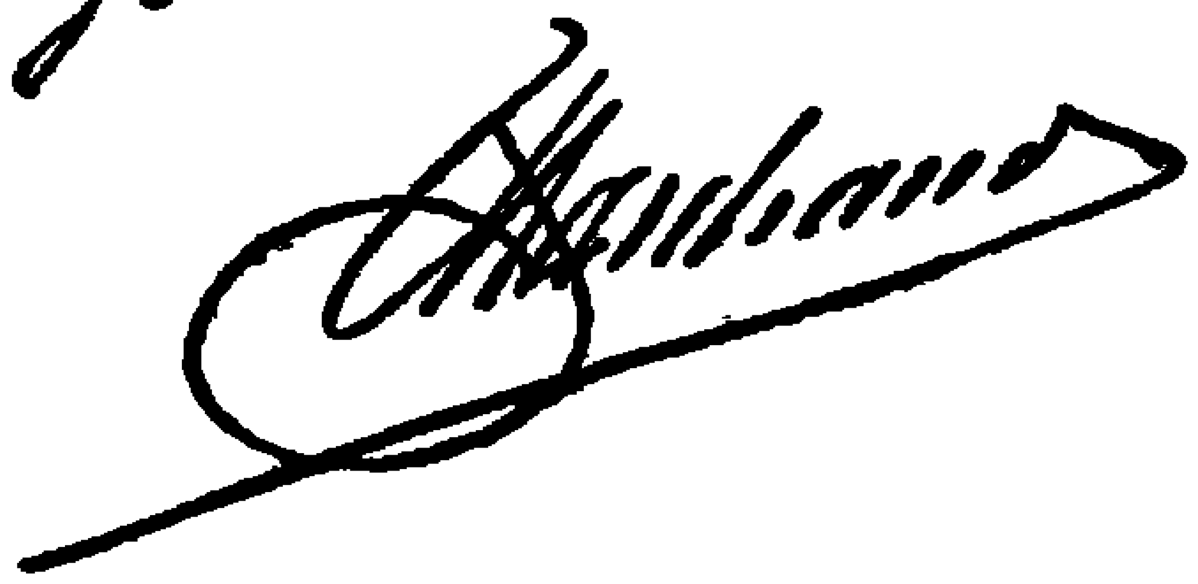

A Copy of the Manuscript in Print :

Fachoda 2 Octobre 1898.

A Monsieur le Commandant.

Jackson Bey-Fachoda.

J'ai bien reçu votre honorée lettre Monsieur le Kaimakan, et j'ai été heureux de savoir que celui de vos officiers egyptiens qui est malade, n'est pas en danger.

Je vous renouvelle, pour l'avenir, l'offre de mettre à votre disposition pour les cas graves, notre médecin-Le docteur Emily, médecin de la marine française est un spécialiste des maladies coloniales et il est l'auteur de plusieurs découvertes importantes dans la pathologie médicale aux colonies-je souhaite très vivement, cela va sans dire, que vous si ayez jamais besoin de son intervention, mais il sera toujours à votre pleine disposition si par malheur le cas se presistrait.

Je profite de cette occasion pour vous remercier d'avoir bien voulu me faire donner des nouvelles de la lettre que j'envoyais au commandant de la canonnière française. Je crois qu'avec les précautions prises et dont m'a parlé Monsieur le Capitaine Stanton, il ne saurait rien se produire de regrettable.

Je suis assez inquiet du retard de notre canonnière que j'attendais à Fachoda du 25 au 28. J'ai grand peur qu'elle ne soit arretée par les barrages de grands roscaux qui en Août se formaient dèjà dans le Bahr Al Ghazal, entre le confluent du Bahr El Arab et celui du Soueh.

Le souvenir du disastre de l'expedition Gessi 1880/81 me fait passer de mauvaises nuits depuis quelques jours. Ces parages sont toujours très dangereux.

Je profite de cette occasion pour vous remercier d'avoir bien voulu me faire donner des nouvelles de la lettre que j'envoyais au Commandant de la Canonnière française — Je crois qu'avec les précautions prises et dont m'a parlé Monsieur le Capitaine Stanton, il ne saurait rien se produire de regrettable —

Je suis assez inquiet du retard de notre canonnière que j'attendais à Fachoda du 25 au 28 — j'ai grand peur qu'elle ne soit arrêtée par les barrages de grands roseaux qui en Août se formaient déjà dans le Bahr el Ghazal, entre le confluent du Bahr el Arab et celui du Soueh — Le souvenir du désastre de l'expédition Gessi en 1880/81 me fait passer de mauvaises nuits depuis quelques jours — Ces parages sont toujours très dangereux —

A Photograph of the Original Manuscript :

Fachoda 2 octobre 1898 —

(23)

A Monsieur le Commandant
Jackson Bey — Fachoda —

J'ai bien reçu votre honorée lettre, Monsieur le Kaïmakam, et j'ai été heureux de savoir que celui de vos officiers égyptiens qui, est malade, n'est pas en danger —

Je vous renouvelle, pour l'avenir, l'offre de mettre à votre disposition pour les cas graves, notre médecin — Le Docteur Emily, médecin de la Marine française est un spécialiste des maladies coloniales et il est l'auteur de plusieurs découvertes importantes dans la pathologie médicale aux Colonies — Je souhaite très vivement, cela va sans dire, que vous n'ayez jamais besoin de son intervention, mais il sera toujours à votre pleine disposition si par malheur le cas se présentait —

AU UNPUBLISHED DOCUMENT IN THE HISTORY OF THE ANGLO-FRENCH COMPETITION FOR THE DOMINATION IN UPPER NILE

وثيقة غير منشورة عن تاريخ الصراع الانجليزى ــ الفرنسى على السيادة فى اعالى النيل

هذه الوثيقة خطاب كتبه مارشان فى فاشودة للماجور جاكسون البريطانى فى اكتوبر ١٨٩٨ . (الأصل محفوظ بمكتبة المعهد) وتشير الوثيقة لعديد من الأحداث منها : أن قوات جاكسون فى فاشودة كانت كلها من المصريين ، وأن بعثة مارشان كانت تضم طبيبا متخصصا فى أمراض المناطق الحارة التى كانت من أعقد مشكلات الاوربيين فى افريقيا . كما يلاحظ قلق مارشان على الامدادات التى كان ينتظرها اذ كان يخشى من أن تلقى مصير حملة جسى على بحر الغزال (١٨٨٠ ــ ١٨٨١) ، وهذه تبين محاولة كتشنر عرقلة وصول امدادات الفرنسيين الى فاشودة حتى يجعل اقامتهم هناك غير محتملة ، واخيرا تلقى الوثيقة اضواء على العلاقات الانجليزية الفرنسية فى تلك الفترة واهداف فرنسا من بعثتها هذه .

REFERENCE

1. DURANT, W., CAESAR and CHRIST, the story of civilization, part III, N.Y., 1944, P. 499.

2. JONES, A.H.M., The cities of eastern Roman provincess, OXFORD 1937, P. 359.

3. DURANT, The life of Greece, N.Y., 1939, P. 590.

4. ALI MOHAMED, FAHMY, Muslim sea power in the eastern Mediterranean, Cairo, 1966, P. 41.

5. SYKES, SIR PERCY, a history of exploration, London, 1949, P. 39.

6. This expedition enabled Ptolemy to enumerate the towns and villages of Arabia Felix with Rome accuracy.

7. D.G. HOGARTH, Arabia, Oxford, 1922, P.S.

8. This was a book by an unknown author giving commercial information. It was published about A.D. 60.

9. ABDEL AZIZ SALIM, TARIKH El Arab Fi El-Gahlya, Beirut, 1970, P. 116. (in Arabia).

10. DURANT, op. cit., P. 329 — see also Strabo, The Geography of Strabo Trans., Jones (A.L.), London, 1949.

11. SYKES, op. cit., P. 41.

12. EL YACKOBY, Tarikh El Yackoby, IRAQ (In Arabic).

13. ABDEL AZIZ SALIM, op. cit., P. 121.

14. RICHARD BELL, The Origin of Islam in its Christian Environment, London, 1926, P. 4? 156

15. ABDEL AZIZ SALIM, op. cit., P. 144.

16. The same that columbus would seek in his journy

17. DURANT, op. cit., P. 329.

The Commercial Goods In The Red Sea During The Roman Empire

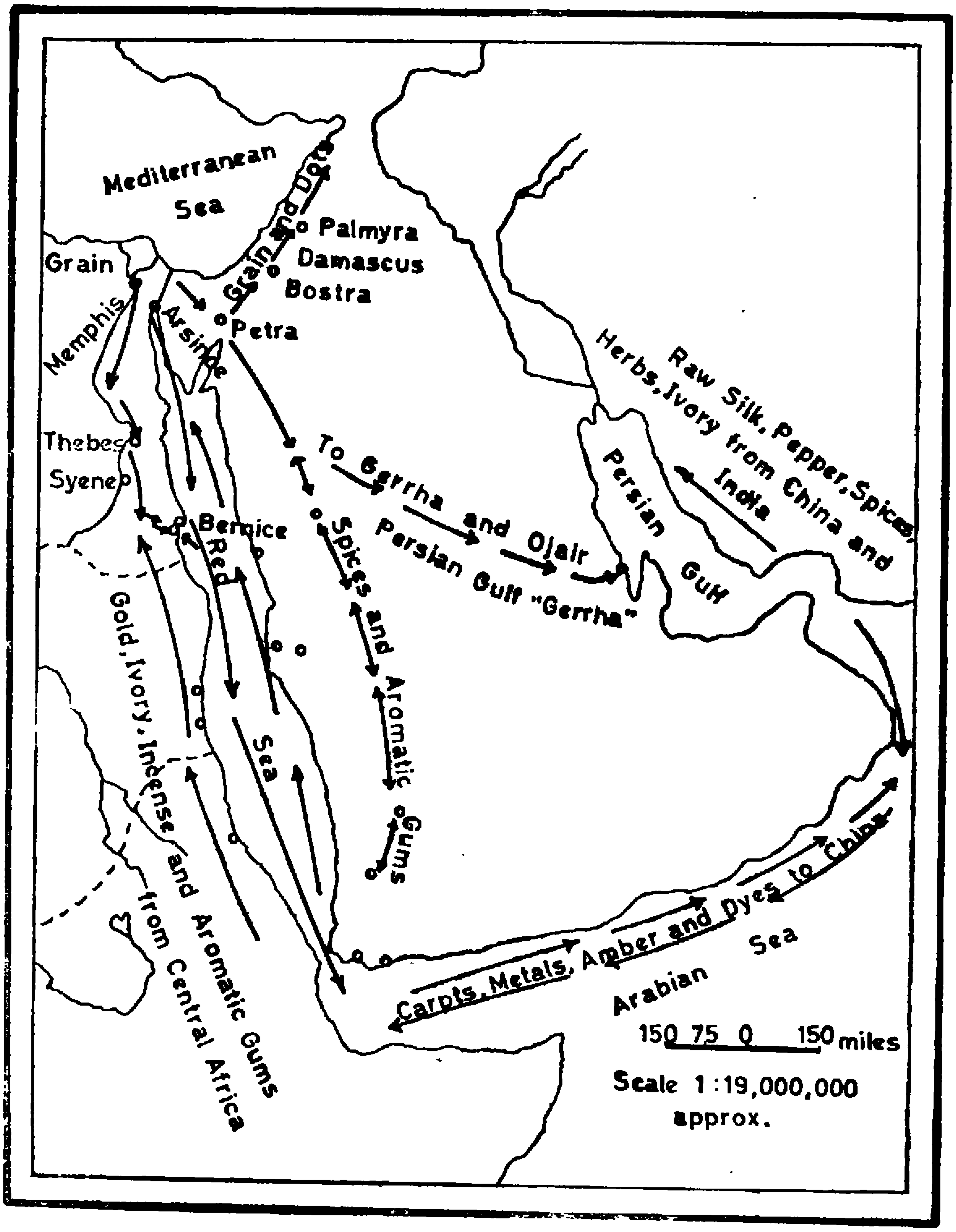

To Rome and the west, came from Arabia, incense, gum, aloes myrrh, laudanam, ginger, cinnamon and precious stones from Ethiopia and from east Africa ivory, apes, tortiose shell, rare marbles obsidian, spices and Negro slaves ; from central Africa, wild beasts for the area; from Parthia and Persia came rare essence ; from Egypt corn, papyrus linen, grass, jewellery, granite, basalt, alabaster and porphyry, grom palmyer came textiles, perfumes drugs. (3) .

In addition to all this, manufactured or raw silk, came from China through Parthia or India, from India came pepper, spikenerd and other spices (16) herbs, ivory, ebony, sadalwood, indigo, pearls, sardonyx, onyx, cosmetics textiles, tigers and elephants.

In return to the East, the Romans exported carpets, jewels, amber, metals dyes, drugs and glass. Chinese historians speak of an embassy coming by sea to the Emperor Huan-ti in 166 from the Emperor «An-Tun»—Marcus Antoninus (17) .

India imported also from via the Red Sea and the Egyptian ports a modest quantity of wines, metals.

Conclusion

The trade activities in the Red sea during the Roman Empire were so important in determining the political history of the area bordering the sea as well as the «raison a'étre» of the struggle between the various conflicting powers in order to master Arabia Felix, the southern gate of the Red Sea.

Dr. Yousry El-Gowhry

The second Abyssinian expedition to Arabia Felix during the Roman time was in A.D. 525. Some Arabic references mentioned that the Romans asked the king of Abyssina for religious reasons to invade the Yemen but the real aim was a political and economic one. The Byzantine purpose was to preserve the monopoly and control of the trade route to the Indian ocean via the Red Sea and to extend accordingly its political power over the Arabs in order to back its policy against the Persians. At the same time the Abyssinians were eager to secure their trade against the Arab pirates. So both the Romans and Abyssinians had a serious political and economic interest beside the religious aim to capture Arabia Felix.

Some historians reported in their writings that the king of Abyssinia ordered the Abyssinian viceroy in Yemen Abraham or Abramios, to invade the Sassanid dynasty in Persia in A.D. 520 (14) and to extend his aid to the Romans. Abraham took the caravan routes which led to Syria via Mecca but his expedition failed and returned back to Yemen.

Tye Persians

After the death of Abraham's son, Santurces (15) governed the Yemen and treated her people badly. So one of the national leader of Yemen, namely Saif Ibn Zee Yazin went to the Byzantine Emperor and asked for help against the Abyssinians. The Emperor Justinian promised to aid his people in order to secure the Roman economic and political interest in the Red Sea and Yemen. In fact Justinian did not offer any aid to the people of Yemen so they turned for help to the oriental power (that of Persia) where Emperor Keisra Ano Shirwan (Cyrus) A.D. 531—A.D. 578) sent an expedition to liberated Arabia Felix from the Abyssinian influence. Consequently, the Persian's interest increased in the erea after they mastered the Red Sea and the navigable trade route to India as well as the caravan route of Hijaz. Moreover they extended the area of their commercial influence along and accross the Red Sea by invading Egypt and Syria in A.D. 614.

Hence, the sphere of the Roman trade activities shrank in the Red Sea and in southwestern Asia and never extended again to the Yemen which fell under the Islamic influence.

The commercial goods

The vessels travelling through the Red Sea during the «Pax Romana» carried a multi-goods from all parts of the Roman world, from the Roman Empire itself and from outside the Empire.

India. He tried also to gain the friendship of Arabs. This point is reported in a book «Periplus Mares ERYTHRAEI (8) which pointed out that the Romans signed an agreement with the King of Saba who had a large area of land which extendes on the Red Sea, Hadramout and the east coast of Africa (9).

Under Augustus the navigable canals of Egypt were cleaned out and military operations were conducted on both sides of the Red Sea to check raiding and piracy. Trade with India flourished and Strabo reported that 120 ships were engaged in it (10).

About the middle of the first century A.D., a sea captain named Hippalus discovered the voyages that could be made from the Red Sea to India out of sight of land, thanks to the steady Monsoon winds. As a result of this discovery trade with India increased to such extent that Pling bewalis huge sums spent upon eastern luxuries (11). Large quantities of Roman coins have been discovered in southern India whence came spices and pearls, while silk, perfumes and ivory also reached Rome via the Red Sea in considerable quantities.

The Abyssinians :

During the second Himyarite kingdom (A.B. 300-A.D. 525) the Abyssinians invaded and colonized for the first time Arabia Felix in A.D. 340. The period between A.D. 270 and A.D. 370 is not clear in the history of southern arabs. The history books, therefore did not report the first Abyssinian colonization. The only reference to this historical event came through some writings belonging to the ancient kingdom of UXOM. (12).

Some writers suggested that the economic aspect was the main reason behind the Abyssinian colonization which was a reaction (13) against the Himyarites who used to attack Abyssinian's trade in the Red Sea during the first century A.D. However, the factor was that the Abyssinians came to the Red Sea as a new commercial power at the time of the Roman Empire. At the same time the celebrated dam of Marib was demolished in 446 A.D. Some authors reported that the decline of the dam was was due to the divergence of trade from Marib route to the navigable route of the Red Sea as well as to the commercial influence of the Romans in the area. So the Himyarites lost their source of welth and neglected the «sadd» which consequently declined and was demolished.

The first Abyssinian colonization did not survive more than thirty years the people of Yeman were able to liberate their land between the years A.D. 370— A.D. 378.

The Nabateans gained wealth from commerce, so when the Ptolemies tried to monopolize the navigable trade and capture the commercial activities in the Red Sea by establishing many Post points and ports on its coast, and by improving their friendship with the Arabia Felix people, the Nabateans realized the danger of commercial newcomers in the Red Sea and tried to attack the Ptolemies interests in the area and sometimes they put their hand on their goods. Accordingly Ptolemy Philadelphus, King of Egypt, devoted himself to promote Egyptian commerce and built a great fleet of three tons burden to guard the Ptolemies trade. The result was that Egypt became secure against the Nabatean raids and ptolemy maintained his control over the northern section of the Red Sea as well as the Gulf of Aqaba (3).

However, under King Aretas IV, King of Saba (9 .B .C-A .D .40), the country reached its zenith, Petra became a Hellenistic city, Arabic in speech, Greek in art. After Trajan annexed Arabia Petraea into the Empire, Bostra became the capital of province of Arabia and raised in its turn the architectural symbols of wealth and power. Petra decayed as Bostra and Palmyra became the crossroads of the desert caravans.

(C) *Arabia Felix* In the south west of Arabia Peninsula a mountain range and its streams gave milder temperature and fruitful vegetation to the Yemen of today. In this Area the Kingdom of Saba flourished, the Sheba of the Bible, so rich in frankincense, myrrh, cassia and cinnamon, aloes and nard, senna and gum and precious stones that the sabateans could build at Marib and elsewhere cities proud with temples. The arab merchants sold arab products at high prices and carried on caravan trade with northwestern Asia and an active commerce by sea with Egypt, Parthia and India.

During the reign of the first kingdom of Himyarite in Yeman (115 B .C-A.D. 30) Agustus, the Roman Emperor sent in 25 B .C. the governor of Egypt, Aeluis Gallus, to annex the Kingdom to the Empire in order to capture the trade routes which were monopolized by the kings of Saba (4) as well as to guard the commercial activities in the sea from the pirates. The Nabateans promised to aid the Romans'expedition... which started from Leuke Kome and then by land route through Hijaz and Marib, the capital of the Himyarite Kingdom (5). Hence it was not very far to the Incence land of Hadramout but the Roman general disillusioned as to the reputed wealth of Arabia Felix, marched back to the coast and left the Arabs to themselves (6).

However, the legions failed to take Marib and returned to Egypt decimated by disease and heat. (7) Augustus contented himself with destoring the Arabs of Adana «Aden» and thereby secured control of the trade between Egypt and

The Arabs were able to monopolize the trade within the Arabia Peninsula until the first century A.D. when the Greeks and Romans diverted the Indian trade routes towards the Red Sea and Egypt.

The conflicting powers :

The Red Sea was a meeting place and an overlapping area between the conflicting powers of the East and West during the «Pax Romana». The Roman authority represented the western power while the Eastern power centralized in Persia. Each of these powers tried to overbring Arabia and its people under its influence in order to capture, monopolize and restore the trade activities in the Red Sea.

The first and main power that of the Romans was centralized in the land of Pharaohs. They classed Egypt not as a province but as the property of the Emperor.

Internal trade was active but slow, land transport moved on animals. Much traffic went by inland waterways. A great canal, 150 feet wide was dug and completed in TRAJAN'S reign (1), it connected together both the Mediterranean Sea and the Indian Ocean through the Nile and the Red Sea, from whose ports at Arsinoe «Suez» (2), Myes Hormos and DERENICE ships left daily for Africa and India.

Across the Red Sea from Egypt lay Arabia Peninsula. Neither the pharaohs nor the Achaemenids nor the Ptolemies nor the Romans had been able to conquer the mysterious peninsula. The Greeks and Romans however divided Arabia in their writings into three main physical sectors which corresponded with the political divisions of Arabia during the first centrury A.D. These sectors were :

(A) *Arabia Deserta* which included most of the peninsula and knew only Arab nomads.

(B) *Arabia Petraea* or Arabia Petrix was situated in the northern fringe to the south west of the Syrian desert. Here the Nabatean arabs established a kingdom that slowly grew rich on passing caravans, until its rule extended from LAUKE KOME on the Red Sea along the eastern border of Palestine through GERASA and BOSTRA to DAMASCUS. During the first century A.D. Petra became the node of Arabia trade owing to its situation as a trading centre on the caravan routes between Mesopotamia and Yemarr as well as between Syria, Palestine and Egypt.

THE TRADE ACTIVITIES IN THE RED SEA DURING THE ROMAN EMPIRE

النشاط التجارى فى البحر الاحمر خلال الامبراطورية الرومانية

يرمى البحث الى بيان اهميـة البحر الأحمر كطـريق مـلاحى اثنـاء العصر الرومانى ، كما يرتكز على تحليل اثر النشـاط التجارى على الدور الذى لعبه الرومان بصفة خاصـة فى بلاد اليمن ، وجنوب غرب آسيا بصفة عامة .

وقد تعرض البحث فى بدايته الى لمحة تاريخية عن اهمية المنطقة كنقطةالتقاء بين الشرق والغرب ، ثم تناول بعد ذلك القوى المتصارعة على استغلال البحر الأحمر وعلى بسط نفوذها على بلاد العرب . وقد تمثلت هذه القوى فى الرومان والأحباش والفرس .

وتعرضت فى المقال بعد ذلك لدراسـة السلع الرئيسية التى تضمنها النشاط التجارى الرومانى ، وتوصلت فى النهاية الى أن النشاط التجارى فى البحر الأحمر لعب دورا هاما فى تقرير التاريخ السياسى للمنطقة المتاخمـة للبحر الأحمر أثنـاء العصر الرومانى ، كما كان محورا للصراع بين القوى الراغبة فى السيطرة على بلاد اليمن ــ البوابة الجنوبية للبحر الأحمر ــ

The aim of this paper is to show the importance of the Red Sea as a navigable highway during the «Pax Romana» as well as to focus and interpret the effect of sea commercial activities on the role which was played by the Romans in south western Asia especially in Arabia Felix.

Historical background :

Prior to the Roman time Arabia Peninsula was mainly the arterial commercial route between the Monsoon land in the East and the Mediterranean area in the west. The Red Sea was also the transit navigable trade way between the tropical area in East Africa and the coast of the Mediterranean sea.

The Port of «GERRHA», which was situated near the recent site of «el Akir» or «Ojair», on the Arabian Gulf, was the gateway of the Monsoon land's goods, wich were sent via the caravan route through Hufuf and Najran to Marib. Adena «Aden» was the receiption Port of African goods which were transported by sea to the countries of the Mediterranean Sea.

CONTENTS

Page

1. Dr. YOUSRY EL GOWHARY : The Trade Activities in the Red Sea During the Roman Empire. 1

2. Dr. SHAWKY EL GAMAL : An Unpublished document in the History of the Anglo-French Competition for the domination in Upper Nile. 9

3. Dr HOREYA T. MEGAHAD : The Empire of Western Sudan (A political Analysis). 23

4. Dr. SOAD SHAABAN : Bedscha-Hadandowa In Sudan (Anthropological rese arch). 43

In Arabic :

5. Prof. Dr. M. EL-SAYED GHALAB : The African Studies. 1

6. Prof. Dr. HASSAN OSMAN : Africa in Dantés Inferno 9

7. Dr. SAAD ZAGHLOL ABD RABOE : The Portuguese Imperialism In Angola (Period of Conquest 1482—1836). 47

8. Dr. SAEED IBRAHIM EL BADAWY : The Nuba -An Anthropo-geographic study 71

9. Dr. SAMIR IBRAHIM GHABOOUR : Birds as agricultural pests in Africa 101

10 Dr. FAWZY MIKAWI : The Trade Activity in Meroe Kingdom. 125

OUR BULLETIN

This is the first issue of this scientific bulletin published by the Institute of African Studies—Cairo University.

The goal of this bulletin as apparent from the essays published here is purely academic. It is to publish recent researches either done by the specialized staff of the institute or by others. These researches deal with the different aspects of the continent of Africa.

Our Institute views this bulletin as a complement to its scientific mission, because—as a specialized institute, it aims foremost to encourage studies dealing with our continent and also to publish all new research and findings about it. Its aim is also to exchange this knowledge with other Institutes and Universities or other scientific bodies either in African Countries or anywhere else all over the world.

As we welcome this exchange of knowledge which serves our combined efforts, we hope that these studies about the African Continent, its inhabitants their activities, their civilization and their contributions towards the progress of mankind may always develop and grow.

Our Bulletin will be issued annually in June, but we hope that in the near future two issues will appear each year.

Editor

Editor : Prof. Dr. M. EL SAYED GHALLAB

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :

Dr. SHAWKY EL GAMAL

33 Misaha Street. Dokki, Cairo, Egypt.

AFRICAN STUDIES REVIEW

Vol. 1 **1972**

Issued by the Institute of Research and African Studies Cairo University

AFRICAN STUDIES REVIEW

Vol. I **1972**

Issued by the Institute of Research and African-Studies Cairo University